

كارثة الخليج.. والنظام العالمي الجديد

حضرة مرزا طاهر أحمد

ترجمة : الحاج محمد حلمي الشافعي

الناشر

الشركة الإسلامية

KARETHA AL-KHALIJ WA AL-NEZAM AL AALAMI AL JADID

(The Gulf Disaster and the So-called "New World Order")

First Published in U.K. in 1991

Reprinted in 1994

اسم الكتاب: كارثة الخليج.. والنظام العالمي الجديد

الطبعة: الأولى (١٩٩١)

الطبعة: الثانية (١٩٩٤)

مطبعة "الرقيم"

إسلام آباد، تلفورد، سري، المملكة المتحدة

ISBN 1 85372 467 X

يطلب من:

الشركة الإسلامية المحدودة

**AL SHARIKATUL ISLAMIYYAH
ISLAMABAD
SHEEPHATCH LANE, TILFORD
SURREY GU10 2AQ
U.K.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ. فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة
الحجرات: ١٠ و ١١)

كارثة الخليج.. والنظام العالمي الجديد

مجموعة خطبٍ ألقاها الإمام الحالي
للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية
حضرة مرزا طاهر أحمد، أيده الله تعالى بنصره العزيز،
مُعلقاً على كارثة الخليج أيام اندلاعها
من منظور إسلامي وإنساني

الفهرس

الصفحة

الموضوع

مقدمة الناشر

لا تكونوا أحجار الشطرنج

البترول أحرقتقواهم

أنصرأحاك ظالماً ومظلوماً

لا تتحاكموا إلى القوى الغربية

ضلّوا سبيل التقوى

ثمره الرفض

العدالة أم العدوات الدفينة؟

السياسة الغربية ذات المكياين

احتجاز المدنيين غير إسلامي

لماذا تجويع الأبرياء؟

الدجال

ردود فعل غير إسلامية

الموقف الحالي خطير

عقارب من الأقارب!

أهمية سنة ٢٧١هـ

حماية المصالح الإسرائيلية

عداوات دفينة

على العراق تصويب خطئه

نصيحة درويش

إسرائيل.. المرض الحقيقي

أساس الاضطرابات

شخصوا المرض أولاً

الخطومنية انعكاس لمظالم الغرب

انتقام الغرب من إيران

مفهوم الأمانة عند الغرب

أكبر غلطة للمسلمين

متى تحرم موالة الكفار

العلاج الوحيد

المراد من الطور

العبرة الثانية

فرقة في وحدة

دعايات مغرضة ضد العنصرية

تزايد العنصرية

تنامي العنصرية في أوروبا

القومية الواحدة مفقودة

المسلمون في الإتحاد السوفيتي

مفهوم الأمة الإسلامية

فرقة في وحدة

تحاسد روسيا والصين

الغرب في قبضة إسرائيل

منافع يجنيها الغرب

الحدود الجغرافية.. من يملك حق تغييرها؟!

منطق الغرب

الغرب يناقض منطقته

مظالم الغرب على الأمم الأفريقية

حق لا يُمنح للبلاد الإسلامية

حماقة الدول الإسلامية

قضية المسجد البابري

صيانة شرف الديانات

انعكاسات تطرف المشائخ

الشيخ المتعصب هو المجرم

قائد عظيم

العنصرية والأناية.. أعظم خطر على السلام العالمي

فكرة الجهال

الغرب يزيّف الحقائق

الأقليات الهندية هدف العنصرية

التعصب في بريطانيا

فترة مصيرية للأتراك

أفريقيا ضحية مظالم الغرب

ألغام مدفونة

الحلم اليهودي لسيادة العالم

العنصرية في أمريكا

مظالم الغرب على الهنود الحمر

يوغوسلافيا

أسبانيا

التبّت

قنابل مدفونة

هبّوا لمحاربة العنصرية

حبّل الله

مسلسل الإرهاب الغربي

الإسلام يرفض العنصرية

الحل مسألة إسلامية

موقف الغرب

موقف العراق

ماضيهم الأسود

تاريخ بريطانيا الحالك
يكيلون بمكيالين
حروب الرئيس السريّة
إرهابهم وسذاجتنا!
خدّام الحرمين أم ناهبو الحرمين؟!
الإحتلال السعودي بمساندة الإنجليز
مشاركة المسلمين صورية
لماذا يصرّ العراق؟
أهداف الغرب
ضدان لا يجتمعان
نتائج تدمير العراق
١٥ يناير.. لماذا؟
أين الكرة الآن؟
صحّحوا قبلتكم
قبلتان!
نصيحتي للعراق
حقيقة "تضحيات" الغرب
صلاح الدين الأيوبي
النقطة السوداء
ليست مباراة كريكت!
رحماء للكفار أشدّاء بينهم!
منّ المستفيد؟
قسّت قلوبهم
لنضرب لهم مثلاً
ليس للإسلام وطن قومي
حقيقة ينساها المسلمون
وقت الاختبار

تأييد الموقف الأحمدى
الغرب هو المسؤول
لا يطيقون ازدهارنا
دور أمريكا وبريطانيا
أمر مدهش
العدوان من حق إسرائيل
مكافأة إسرائيل
أين مبادئكم؟
جواب "توني بن" هو جوابنا
حصدُ السلام بالحرب محالُ
الكبر البغيض
مّم تخافون عليّ!
الأمم المتحدة لا تستحق البقاء
خَوَنة بين المنتسبين إلى الإسلام!
السعودية ضليعة في الخيانة
السعودية في جيب أمريكا وإسرائيل!
لم نتوقّع منكم هذا!
إيران على عهدها
بلدان فرّطا في مركزهما
لماذا هذه الحرب البشعة؟
رأي المستر بوش
رأي العالم
السبب الحقيقي
جذور المؤامرة
المخطط الصهيوني
الماسون لن يتسلّطوا
خطوات المؤامرة ودور بريطانيا

نظام أمن مقلوب
لماذا رفضوا ربط المسألتين؟
كيس التسوّل!
أمريكا قتلت السلام!
حرب الفيل والبعوضة
عصبة الأمم والوعد الظالم
قسمةٌ ضيزى
فرار متعمد
حرب المصالح الغربية ضد إيران
عملية ضد مصر
حروب التوسع الصهيوني
قرارات تنفّذ وقرارات تُهمَل!
حقوق إسرائيل الامتيازية
أحلام بوش
حُلْمُه للبلاد العربية
حُلْمه لإسرائيل
إسرائيل لن تنسحب
مسألة أدوار
أمريكا قتلت السلام!
كلبهم أفضل من الإنسان!!
تعليمات أمريكية صارمة
صدام مسئول
أمريكا المسئولة الأولى
الخطّة من وضع إسرائيل
الأمم المتحدة مسئولة
بريطانيا مسئولة
أصوات أيدت الحق

تنازلات للصهاينة
حق تقرير المصير
اعتراف ناقص
تكلفة الحرب
قسوة وخداع الدجال
قلب الموازين
عقدة فيتنام
عداء الإسلام هو السبب
مظالم الغرب على اليهود
"عصفورين بحجر واحد"
تربية "هتلر جديد"
زاوية النظر الإسرائيلية
القط حارس اللبن!
فظائعهم خلقت النواصر والصوادم
حكمة إسرائيل.. شنُّ الحروب
إسرائيل تتحدى الإتحاد السوفيتي
هتلر خيالي وهتلر حقيقي
أعذار مختلفة
حقيقة الوعود الإسرائيلية
لا حق للفلسطينيين في الحياة!
"الثور الوحشي"
قوة الفيتو الأمريكي
نكتة مؤلمة
دجاجة تعيث الفساد
ذاكرة الإسرائيليين
فظائع الغرب على اليهود
اليهود يحتمون بالمسلمين

خطة قهر العالم
قتلة مستأجرون
أرض أبراج الجماجم
الظهر المكسور لن يُشفى
إني لكم ناصح أمين
عفاريت وفرسان
حيوانات الغاب
برودة العرب
مبادئ السياسة
المبدأ الأول
المبدأ الثاني
المبدأ الثالث
سبب هزائم المسلمين
دعاية مزيفة
نصيحتان للشباب
الغرب يدفن الحرب
حوّلوا آلامكم إلى الدعاء
نصيحتي للقوى المتحالفة
أعظم اللوم على المشائخ والساسة
تنقصهم الشجاعة
سياسة النفاق
فقدان الإنسجام
كل حروب المسلمين جهاد!
أعدّوا لهم
نصيحتي للعالم الإسلامي
اهتمّوا بالعلوم والفنون
لعنة الإستجداء

سياسة عدم الحياء
انتهجوا حياة البساطة
نكتةُ حكمةٍ
الغراب دليل قوم
روح السياسة الإسلامية
"إيدز" العالم الثالث
ليلة خمرة.. وغولان
دمويتهم ضد العراق
نصيحة للعرب
الثروة البترولية
"كومنولث" الاقتصادية
خطر الاستعمار الاقتصادي
التعاون الاقتصادي
قللوا النفقات العسكرية
كفوا عن الإستجداء
أضرار المعونة الاقتصادية
نظام اقتصادي للمساعدات
كيف تحل مشكلة كشمير؟
تصحيح الظروف الداخلية
القيم الإنسانية تُنقذ العالم
تشكيل "أمم متحدة" جديدة
تناقضات الأمم المتحدة
منظمة "أوبك" جديدة
اتحاد الدول المصدرة للأيدي العاملة
نصيحة وإنذار لإسرائيل
وعود بشأن اليهود
الدمار الأول

الدمار الثاني

وعدّ آخر

نبوءات عن الفتنة الإسرائيلية و "الإيدز"

الوعيد مشروط دائما

نصيحة للغرب

بالدعاء.. لا بالسلاح

الدُّعاءُ الدُّعاءُ

المراجع

فهرس الأعلام

مقدمة الناشر

سمعنا يوم الخميس ١٩٩٠/٨/٢ نبأ اجتياح القوات العراقية العربية المسلمة لدولة الكويت العربية المسلمة المجاورة لها. كان خبراً مزعجاً يكشف عن انهيار خطير في البناء العربي، وله آثاره الهدامة في البناء الإسلامي والعالمي.

وفي اليوم التالي كانت خطبة الجمعة التي ألقاها إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، تتناول هذا الموضوع الخطير. لقد أعلن فيها أن القتال بين طائفتين مسلمتين هو من الأمور التي تناولها القرآن الكريم بالعلاج والحل، وأن المسألة ليست مشكلة عربية أو إقليمية، وإنما هي مشكلة إسلامية، ينبغي أن يُتَّبَع في علاجها الوصفة الطبية القرآنية بأن يحلها المسلمون بأنفسهم بدلاً دعوة الغير للتدخل في أمورهم، حتى تكون يد الله تعالى مع أيدي المسلمين، وإلا تركهم عَنْكَ لأنفسهم ولن يجدوا عندئذ علاجاً ناجحاً ولا حلاً صالحاً.

ومضت الأيام فالأسابيع ثم الشهور، وإمام الجماعة الإسلامية الأحمدية يرقب الأحداث بعين المؤمن المسلم المشفق على أمر أمة محمد ﷺ. فاتخذ من خطب الجمعة المتواترة مئذنة يرفع منها صوت الإسلام.. صوت التقوى المجردة من الهوى والأعيب السياسة و أباطيل الساسة والاتجار بالكلمات. ولكن قادة العرب والمسلمين كانوا قد عقدوا العزم على صم الآذان وإغلاق العيون، وجلس الشيطان على عجلة القيادة، وسار بهم إلى النهاية المحتومة.. ف وقعت كارثة الخليج.

لقد تمكّن الدجال من سَوْق الأمم المتحدة، ورتب أجهزة الإعلام، وحشد قواه.. وأنزل بالأمة الإسلامية أشد الضربات. وذلك، لسوء الحظ، بسبب ما قام به بعض حكام المسلمين من إجراءات خاطئة حمقاء. فأصاب الأعداء أمة المصطفى ﷺ بجروح عميقة لن تندمل، فيما يظهر، لأمد بعيد. لقد ضاعت في الكارثة أموال و ثروات ومدّخرات كانت كفيلة بإنعاش بلاد إسلامية تحتاج اللقحة وشربة الماء. وأزهقت أرواح، وسُفكت دماء، وانتهكت حرّمات، وضاعت كرامات، وانقطعت أرزاق، وشردت جماعات، وغرست أحقاداً وثأرات، وضاع الأمن والأمان من الملايين. وانكشف غبار المعركة.. فإذا بالمتقاتلين المسلمين في خسارة.. وإذا الراح في المعركة طرف آخر لم يشترك فيها، وخرج بمعظم الأرباح. نعم.. لقد نالت إسرائيل كل الغنم، وحققت أغراضها، وضمنت أمنها، وتوقدت مكانتها، واستقرت قريرة العين هادئة البال.

ورفع الدجال صوته، وصاح: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، وسأضع نظاماً جديداً لهذا العالم. وكان نظامه الجديد يهدف إلى تقوية إسرائيل وتمكينها في الأرض، والقضاء على قوى المسلمين. لقد نبّه حضرته، أيده الله، أمة الإسلام وكذلك سكان دول العالم الثالث عن دموية حلم النظام العالمي الجديد. وقد أكدت الأحداث الأخيرة إلى حين صدور هذا الكتاب على صحة كثير من هذه المخاوف، وما تخفي صدورهم أكبر لو كانوا يعلمون.

هذه السلسلة من الخطب نقدمها للقارئ الكريم في صورة كتاب بعد تعديلات مناسبة وإضافات ضرورية من صاحبها.. عسى أن تجد آذاناً واعية، وقلوباً صاغية عامرة بالتقوى..

كي نعجل بقدوم النظام الإلهي الجديد، ونقضي على نظام الدجال المريد. آمين.

أُلقيت كل هذه الخطب في مسجد "الفضل"، بلندن، ماعدا الخطبة الأولى التي أُلقيت في إسلام آباد، تلفورد، مقاطعة سري، المملكة المتحدة. وقد وُضع تاريخ الإلقاء في آخر كل خطبة.

لقد وُضعت أرقام الآيات القرآنية باعتبار البسملة آيةً من كل سور القرآن ما عدا سورة التوبة. (الناشر)

لا تكونوا أحجار الشطرنج

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد، فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين.

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمر الله. فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أحوالكم. واتقوا الله.. لعلكم تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٠-١١)

البتروا أحرق تقواهم

منذ أكثر من عشر سنوات والمصائب الشديدة تنزل على العالم الإسلامي، ولا تزال الأمة الإسلامية تعاني كثيراً من المحن. ولو كان هذا الشقاء ينزل على المسلمين من خارجهم لكان شيئاً مؤلماً جداً، ولكن الأشدُّ ألماً ولا شك، أن الأمة الإسلامية نفسها هي المسئولة عما يصيبها من بلاء. لقد انقسم العالم الإسلامي إلى قسمين لسنوات طويلة، ودأب فريق منهم على خلق الشقاء والمصاعب أمام الفريق الآخر. لقد زوّدت الثروة البترولية منافع كثيرة لعديد من بلاد المسلمين، ولكنها في الوقت نفسه أحدثت بعض الأضرار كذلك. ومن بين هذه الأضرار، بل وأعظمها، أنهم فقدوا روح التقوى شيئاً فشيئاً، وصرف الثراء الدنيوي انهماكهم ناحية الدنيا تماماً. كان ولا يزال المؤرخون يسجلون هذه الحقيقة قائلين: إن علامات التقوى كانت موجودة في بلاد الإسلام عندما كانت فقيرة، ولكن يبدو كما لو أن ثروات البترول قد أحرقت تقواهم. وقامت حكومات المسلمين على أساس علماني دنيوي، مع أن مسئوليتهم الأولى أن يسلكوا سبل التقوى، وأن يدعوا مواطنيهم لمراعاة التقوى، وأن يقيموا العلاقات على أساس التقوى، وأن يحلّوا المشاكل بروح التقوى. ولكن الحال ليس كذلك.

أنصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا وَمُظْلَمًا

إن تعاليم القرآن الكريم عالمية، وقد لمس كلُّ مشكلة محتملة، ووصف لها العلاج المناسب أيضاً. فعلى سبيل المثال، نظر القرآن الكريم بعين الاعتبار إلى إمكان وقوع خلافات بين البلاد الإسلامية، قد تصل إلى حد أن تعتدي بعضها على الأخرى، وأن تتنازع وتتعارك. وعن هذا الاحتمال قال القرآن الكريم: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾.. إذا ما نشب مثل هذا النزاع بين قوتين مسلمتين، كان الواجب على العالم الإسلامي بأكمله أن يشترك ويسعى لإقرار السلام بينهما. ﴿فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى.. فقاتلوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمر الله﴾.. فإذا أصرت إحدى القوتين على التمرد ولم تتوقف عن أعمال العدوان.. فإن الحلَّ أن تتحد كل بلاد المسلمين وتكون يداً واحدة لتخضع الفئة المتمردة وتقهرها. فإذا أبدت هذه الفئة استعداداً للنزول على أحكام الله تعالى وقبول أوامره.. فيجب أن تتوقف أعمال القتال على الفور دونما تجاوزات ضدها، وتُبدَل الجهود من جديد لإقرار السلام بين الطائفتين المتنازعتين.

وأثناء بذل الجهود للمصالحة يجب أن تكون تقوى الله والقسطاس المستقيم في حسابان الجميع. ويعظ القرآن هنا مرة ثانية باستخدام العدل ويقول: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

ثم يقول القرآن المجيد: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.. فاذكروا هذه الأخوة بين المؤمنين، وإذن ﴿فأصلحوا بين أخوانكم﴾.. أي ينبغي أن توطدوا السلام بين إخوانكم.. ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

في ضوء هذه الآيات.. يتضح ويتأكد أمر واحد.. ذلك أن عالم الإسلام لم يضع في اعتباره هدي هذه الآيات القرآنية لحلّ خلافاته. لو أن قوى الإسلام حاولت حلّ خلافاتها في نور هذا التعليم القرآني الواضح، لما شبت تلك الحرب الدموية الفظيعة التي طال أمدها بين العرب وبين إيران، وإنما توقفت بعد شهر قلائل على الأكثر. المشكلة أنهم يزنون الأمور بميزان التحيز، ولا يحافظون على روح التقوى. فانقسمت البلاد المسلمة على نفسها وتحاربت لإحدى عشرة سنة، وساعدت بعضها ضد البعض، متناسين المبدأ الإسلامي الذي يقضي بأن يتخذوا قراراً موحداً، وأن يعلنوا الحرب جبهة واحدة ضد الجانب المعتدي. كان على كل البلاد الإسلامية: باكستان وإندونيسيا وماليزيا وغيرها من بلاد شمال أفريقيا أن توحد قوتها وتوقف عدوان الجانب المعتدي. لو أنهم فعلوا ذلك ما كان هناك ما يسمّى حرب العرب وإيران.

لا تتحاكموا إلى القوى الغربية

وثمة موقف مماثل مؤلم أمامنا اليوم بعد أن توقفت الحرب بين إيران والعرب، فها هم العرب قد انقسموا على أنفسهم، وهاجمت دولة عربية مسلمة دولة عربية مسلمة أخرى. وهناك جامعة الدول العربية التي تأسست لتنظر في مثل هذه القضايا. سمعت تصريح أحد ممثليها في برنامج تلفزيوني، واندحشت من أنه على الرغم من طول التجربة المؤلمة التي عانوها إلا أنهم لم يستعملوا عقلهم بعد، وبدلاً من تطبيق المبدأ القرآني فإنهم يعرضون من عند أنفسهم بعض المقترحات للتوفيق والصلح. ومما هو أشد ظلماً أن بعض البلاد التي لا علاقة لها بالإسلام.. قد اتحدت وأخذت أهبتها للتدخل في النزاع، بل إن بعض البلاد الإسلامية تدعوها للتدخل. لقد شاهدت في التلفزيون مقابلة مع خبير غربي أعلن فيها أنه بسبب الحرب الجارية بين العراق والكويت نشأت دائرتان مركزيتان.. إحداهما صغيرة، وهي دائرة العالم الإسلامي، والأخرى كبيرة، وهي دائرة العالم بأكمله. قال: نحن ننتظر ونأمل أن تتنبه الدائرة الإسلامية إلى مركز النزاع وتنجح في وساطتها لحلّه، ولكننا لا نرى آثار ذلك، وإنما هناك احتمال بضرورة تدخل الدائرة الكبرى في النزاع.

وفي هذه الخطبة الوجيزة أود أن ألفت انتباه العالم الإسلامي إلى ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام التي يمكن أن تحلّ لهم مشاكلهم. إنه لمن أشد العار والضرر أن يتدخل العالم كله في شؤون بلاد المسلمين، ويلعبوا بهم وكأنهم أحجار الشطرنج، ويستخدموا بعضهم ضد بعض كما كانوا يفعلون في الماضي. الواقع الحاضر هو أن المسلمين يستخدمون ثروتهم ضد إخوانهم. إن البترول الذي منحهم الله كبركة لعالم الإسلام، البترول الذي أتى برسالة التقدم العظيم للأغيار، وبفضله تجري عجالات صناعاتهم.. فكل مصادر الطاقة التي تتواجد منابعها

في بلاد المسلمين تخلق لهم وسائل الراحة.. هذا البترول تستخدمه البلاد الإسلامية ليحرق بعضهم بيوت بعض ويحولوها إلى رماد. هذا هو الواقع الذي لا تجد له تفسيراً آخر.

لا يزال هناك بعض الوقت، إذ اتبع عالم الإسلام سبل التقوى، وعزموا على السير بحسب تعاليم القرآن فإن ذلك سوف يسدّ الطريق أمام أية قوة غير إسلامية، فلن تسعى للتدخل في شؤون بلاد الإسلام. إن العمل بحسب الآيتين القرآنتين، يوجب حصر النزاع داخل العالم العربي، ذلك النزاع الذي انفجر بطريقة منذرة بالخطر الشديد. ذلك أنه لو استبعد العالم الإسلامي عن هذه المشكلة، وجعلها العرب مسألة محلية لا علاقة لها بالإسلام.. فإن يد المعونة الإلهية سوف تُرفع عنهم. ليس في القرآن ذكرٌ لأمة معينة، وإنما المهدي الذي يسوقه القرآن يذكر المسلمين على أنهم جماعة، وأهم جميعاً إخوة.

فالمشكلة ليست عربية بأي حال من الأحوال.. إنها مشكلة العالم الإسلامي.. إنها تتعلق بإندونيسيا تماما كما تتعلق بباكستان، أو الجزائر، أو ماليزيا أو غيرها من بلاد المسلمين. ينبغي أن يتشكل مجلس من كل هذه البلاد ليضع التدابير الضرورية لإجبار الأطراف المتنازعة على التصالح. وإذا لم يُد طرفٌ الإستعداد للتصالح فينبغي إذن أن تستخدم كل الدول الإسلامية قواتها مجتمعة ضد القوة العاصية، وعليهم أن يطالبوا كل القوى غير الإسلامية بأن يرفعوا أيديهم عن المسألة، وألا يتدخلوا في شؤونهم، ويقولوا لهم إننا باتباع تعاليم القرآن.. قادرون بأنفسنا على حلّ مشاكلنا وحسم نزاعاتنا. ولكننا للأسف لا نرى آثار اتباع هذه التعاليم أو العمل بمقتضاها.

ضلّوا سبيل التقوى

إن واقعة الحرب بين العراق والكويت.. أو نقول الهجوم العراقي على الكويت.. تحمل في طياتها كثيرا من المخادعة ونقض العهود. إنها ليست خلافاً بين العرب وهدمهم، ولكن دولا بترولية إسلامية أخرى متورطة في هذا الأمر. فمثلا إندونيسيا كانت تشكو بشدة من الإخوة العرب المسلمين الذين يؤلفون منظمة "أوبك".. أنهم أنفسهم ينقضون الاتفاقات في الخفاء، ومن ثم فإن كل نفع يمكن التوصل إليه عن طريق القرارات الجماعية ينقلب إلى خسارة. تلجأ كل دولة إلى وسيلتها الخاصة، وتحاول بيع بترولها سراً لتجمع أكبر قدر من المال. وهكذا نجد نقصاً في التقوى خلف هذه الأعمال. فهي ليست مسألة حرب بين العراق والكويت، ولكنه ضعف التقوى فيما بينهم من تعاملات.

يجب على أية منظمة مسلمة دولية تقوم لعلاج المصاعب المترتبة على هذه الحرب بين الدولتين، أو هجوم دولة على أخرى، أن تصل إلى أعماق النزاع، وأن تمحص الأسباب التي تنشأ عنها تلك المواقف الخطيرة من حين لآخر، وأن يضمّوا إلى هذه المنظمة إيران على قدم المساواة، فلا تبقى بلد مسلمة خارج هذا الأمر. إذا أمكنهم فعل ذلك.. فكما يقول القرآن الكريم: ﴿والله يحبّ المقسطين﴾.. فإن محبة الله سوف تظاهرهم، وينالون العون الإلهي ويفلحون في جهودهم، ولا ريب. وقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ يعني ضرورة إقامة أواصر المحبة بين الإخوة.. فهم إخوتكم وإخوة بعضهم البعض. فاتّبِعوا سبُل

التقوى لأن رحمة الله من نصيب أهل التقوى. ومن ثم فكل أمر يتعلق بالإسلام أو القرآن لا حل له بدون التقوى.

لقد أوجز سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام تحليل جميع المصاعب التي تواجه المسلمين في كلمات قلائل، ولكنها تحتوي على تحليل يحيط بكل المواقف.. قال حضرته: "لقد ضلوا عن سبيل التقوى." فاسم الإسلام باق، ولكن لم تعد هناك تقوى، لقد ضاعت منهم. وإذا ضاع طريق التقوى فلا يبقى شيء سوى التجوال في متاهات الأدغال وكتبان الصحراء.

ولكوني إمام الجماعة الإسلامية الأحمديّة.. أقدم نصيحةً مُلحّةً متواضعةً إلى جميع إخواننا المسلمين، بغض النظر عن أنهم يعتبروننا إخوة لهم أم لا: إن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله تتعرض لأشد الأخطار، وإن كل القوى المناهضة للإسلام تتلمّس الذرائع لتتدخل حتى في أموركم البسيطة.

ولقد مضى عليكم دهر طويل وهم يتلاعبون بكم كقطع الشطرنج لا حول لكم ولا قوة، ويضرب بعضكم البعض أضراراً بالغة. فعليكم من الآن أن تمسكوا بالتقوى أشد التمسك. إن أمة محمد صلى الله عليه وآله يُنظر إليها في العالم اليوم بعين العار، ويتخذون منها أضحوكة. تنظر كل القوى العظمى في عالمنا إلى العالم الإسلامي بالازدراء الشديد، وتشعر أن دول المسلمين في قبضتهم كالفأر في براثن القط، بوسعها أن تلعب به كما تشاء ووقتما تشاء، وتمسك به قبل أن يدخل الحجر. هذا هو الحال المحجل الذي يمثل أشد العار، ويلطخ وجه العالم الإسلامي باستمرار، ويتضرر شرف الإسلام ومكانته. فاتقوا الله تعالى، وارجعوا إلى تعاليم الإسلام، وليس لكم من ملجأ سواه.

ثمرة الرفض

وإني لأشعر بأن هذه المرحلة من الحن والانحطاط وما يرافقها من بؤس وشقاء.. ليست سوى ثمرة رفضهم للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. لا شك في هذا أبداً. ورسالي الأخيرة لكم بهذا الصدد أن عليكم الإذعان لإمام الوقت. عليكم بقبول كل من يقيمه الله لكم، فهو الذي لديه المقدرة على قيادتكم. ومن دونه، تكونون كجسد بلا رأس.. جسد يبدو في الظاهر حياً، ولكن الأطراف تضطرب من الألم والوجع، بينما الرأس الذي جعله الله لهداية الجسد وقيادته مفقود.

فعليكم بالعودة وتوطيد علاقتكم بالقيادة الربانية، لأنه لا سبيل لكم إلى السلام والرخاء بعد رفض القيادة التي أقامها الله تعالى. لقد طال زمن الحن.. أما الآن فيجب أن تتوبوا إلى الله عز وجل وتسعوا إلى غفرانه تعالى. دعوني أؤكد لكم.. أنه مهما كانت الأمور قد أوغلت في السوء.. لو أنكم استسلمتم اليوم للقيادة التي أقامها الله تعالى فإنكم ستنهضون قوة عظمى في هذه الدنيا، بل وسوف تنشط الحركة العظمى لسيادة الإسلام بحيث لن تستطيع قوة أخرى أن تحاربها، وأن ما يتطلبه قروننا مديدة سوف يصبح مسألة عقود معدودة، بل سنوات قلائل. وسواء لحقتم بنا أم لا، فإن الجماعة الإسلامية الأحمديّة سوف تخاطر بالجسم والروح والمال، كما هو دأبها من تقديم التضحيات في الماضي والحاضر، ولن تتوقف عن تقديم التضحيات في الغد كذلك. ولسوف

يُكتب شرف النصر النهائي من قدر الجماعة الإسلامية الأحمديّة وحدها. فهلمّوا وكونوا من أهل هذا الحظّ التاريخي الطيّب المبارك. عسى الله تعالى أن يوفّقكم إلى فعل ذلك، وعسى الله تعالى أن يوفّقنا من خدمتكم. لقد وهبتم أفضل الخدّام الذين هم.. باسم الله تعالى وفي سبيله، وفي حب المصطفى ﷺ.. مستعدون ومتشوقون في كل وقت عصيب أن يقدموا التضحيات من أجلكم.. ولكنكم لا تنتفعون بهم وتحرمون أنفسكم من خدماتهم. وإن هذا لمن أشد سوء حظ العالم الإسلامي في الزمن الحاضر. عسى الله تعالى أن يمنحكم الفطنة والفهم!

أما عن الجماعة الإسلامية الأحمديّة فإن نصيحتي لكم.. أنه سواء انتفعوا بكم أم لا، وسواء عدّوكم إخوة لهم أم لا.. عليكم من خلال الدعاء أن تدأبوا على مساعدة أمة محمد ﷺ، وألا تنسوا أبدا تعاليم المسيح والإمام المهدي (عليه السلام) ما تعريبه: "ياقلب، تذكر دائما أن هؤلاء المعارضين من المسلمين.. ينتسبون إلى النبي الحبيب ﷺ، ويدعون بحبه. فمن أجل ذلك الحبيب كن دائما بهم مترفقا." عسى الله تعالى أن يوفّقنا إلى فعل ذلك. آمين.

٣ أغسطس ١٩٩٠

العدالة أم العداوات الدفينة؟

الموقف في الشرق الأوسط يزداد سوءاً يوماً بعد يوم. ولما كان معظم سكان هذه المنطقة من المسلمين، ولذلك فمسلمو العالم كله قلقون حتماً للوضع. كما أن هذه الأراضي المقدسة التي هي أعز شيء عند المسلمين، مكة والمدينة، حيث كان المصطفى ﷺ يطأها بقدميه، وتعطرت أجواؤها بأنفاسه المباركة، هذه المقدسات معرضة للأخطار والمؤامرات، ولذلك يُحس العالم الإسلامي كله بالألم العميق، ويصيب عامة المسلمين في كل مكان قلق وكره شديدان. ولكن كجماعة منظمة، خالية من أية أهداف سياسية، وساعية لخدمة الإسلام خالصة لوجه الله تعالى.. تمتاز الجماعة الإسلامية الأحمديّة بين كل المسلمين بأنها أشدهم تألماً وقلقاً. وبقولي هذا قد يظنّ غافل أن هذا تباهٍ أجوف، أو ادعاء صرف، أو أنه يؤذي مشاعر المسلمين الآخرين.. حيث يقولون بأن هذه الجماعة يحسبون أنفسهم حملة لواء الإسلام المعتمدين أو أصحاب الترخيص المعترين، وكما لو كنا لا نحمل تعاطفاً صادقاً للإسلام، ولكنني عندما أحلل لكم الموقف سيتضح لكم أنه لو كان هناك في العالم جماعة تحس بالألم الصادق من أجل الإسلام فإنما هي الجماعة الإسلامية الأحمديّة.

السياسة نجسة

لقد أصبحت السياسة اليوم نجسة وخاوية من العدل والتقوى. والدول الإسلامية التي تتعالى باسم الإسلام لا تبني أبداً سياستها على القيم الإسلامية، ولا على العدالة الإسلامية السامية، وإنما ترتبط بالمصالح الأتانية. ولهذا نجد تناقضاً بين ممارسات العالم الإسلامي. وباستثناء الجماعة الإسلامية الأحمديّة، تجردون كل فرقة من الفرق الإسلامية قد انحازت اليوم إلى دولة إسلامية دون أخرى وأخذت تؤيدها، في حين أن متطلبات التقوى تقتضي أن يكون التأييد للقيم الإسلامية فقط. لو كان هناك حب صادق للإسلام لأخلصوا فقط لمتطلبات الإسلام، التي هي متطلبات القرآن المجيد، والتي هي متطلبات السنة المحمدية الشريفة.

ولو فكرنا في السياسات الحالية على ضوء تلك المتطلبات لوجدنا أنه لا سياسات المسلمين، ولا سياسات غيرهم تقوم على أخلاقيات سيدنا محمد ﷺ. الدول الأخرى تدعي ادعاءات عريضة باسم العدالة، كما لو كانوا هم وحدهم المعنيين بتوطيد أركان العدل في العالم، ولولا هم وسلطانهم لاخترت العدالة من الدنيا. وتدعي الدول الإسلامية أيضاً ادعاءات ضخمة باسم الإسلام، ولكن بالنظرة الفاحصة ترى أن العدالة التي يقدمها القرآن المجيد معدومة في الفريقين كليهما.

السياسة الغربية ذات المكيالين

سأتحدث الآن بصفة خاصة عن الموقف الذي نشأ حالياً. بناءً على بعض الشكايات، قام العراق بالهجوم على دولة مسلمة صغيرة مجاورة، وقبل أن تدرك الدنيا ما حدث، سيطر العراق على البلد تماماً. ونتيجة لذلك حدث هياج عالمي. والذين لم يُحسوا من قبل بأي ألم من أحداث مشابهة في العالم، ولم يهيجوا ولم يسارعوا إلى تقديم

المساعدات الإستثنائية، فجأة تجلّى تعاطفهم مع الكويت متوهجاً بقوة شديدة، وأحدثوا هيجاناً قوياً لا نكاد نرى له مثيلاً في التاريخ الحديث.

ولا أريد الحديث أكثر من ذلك عما وقع حتى اليوم، فالذين يقرأون الجرائد يعلمون بما جرى وبما يجري، ولكن أود أن أضع أمامكم أموراً قليلة، لأريكم إلى أي حدٍ يحرص هؤلاء على متطلبات العدالة الإسلامية، أو إلى أي مدى تخلو السياسة المعاصرة منها.

عندما اتخذت أمريكا وحليفاتها ما ارتأته من خطوات لعزل حكومة بغداد وإجبارها على الخضوع، بدا أن هذا البلد الإسلامي الكبير سوف يواجه ظروفًا خطيرة لا قبل له بها. ولذلك ازداد اهتمامي تلقائياً، ونظرت في الموقف نظرة عميقة.. ما يجري من محادثات، وما يُقترح من حلول. مؤخراً زار أمريكا الحسين ملك الأردن، وظُن أنه يحمل خطاباً معه، ولكن اتضح أنه لم يحمل خطاباً، بل رسالة شفوية وبعض المقترحات. وأثناء ذلك كانت لغة الحرب الكلامية في التلفزيون والراديو والجرائد فيما بين الرئيس الأمريكي و الرئيس العراقي تبين خطورة الموقف، وكيف أن قادة الدول العظمى في العالم أيضاً يتخلون عن كرامة الإنسانية المعتادة، ويستخدمون لغة هابطة. يتعجب المرء كيف أنهم يتبادلون الشتائم، ويستعملون ألفاظاً من مثل: كذاب، سيء السيرة، غير أمين وما إلى ذلك من سباب. والسبب وراء كل ذلك أن دولة مسلمة كبيرة احتلت دولة مسلمة صغيرة؟

لقد وقعت حوادث مماثلة بشكل أشد خطورة في أماكن أخرى من العالم.. ولا تزال تقع كثيراً بحيث لو أخذت تلك الحوادث بعين الاعتبار لكانت الحادثة الأخيرة أقل أهمية بكثير. فيتأكد أن هناك أسباباً كثيرة وراء هذا التصعيد الاستثنائي السريع. كان الاحتلال قد تم، وبقيت مسألة هضمه. ولكن ردود فعل العالم كانت شديدة لدرجة أن أرسل الرئيس العراقي رسالة إلى الرئيس الأمريكي: إنك إذا أردت العدالة فينبغي أن تُتبع العدالة في كل المنطقة. نحن على استعداد لإعادة الحكومة في القطر العربي الشقيق، ونعيد السلطة إلى الأسرة الحاكمة لتصير الأحوال كما كانت من قبل. ولكن ثمة مواقف مماثلة في المنطقة. هناك احتلال غير شرعي تم بمعرفتكم وتعاونكم، عليكم أن تساعدوا في تحرير المنطقة من الاحتلال. هناك مثلاً احتلال الإسرائيليين للضفة الغربية بالأردن، ذلك الاحتلال الذي يزداد رسوخاً كل يوم، ويوطنون هناك مهاجرين الروس. هذا احتلال من أناس يختلفون في كل شيء حتى في الدين، ويحمل لهم العرب عداوة شديدة، والمحتلون يشددون قبضتهم ويوطنون احتلالهم، ولكن قيم العالم الغربي صامته لا تبدي حراكاً نحو هذا، ولا تظهر العدالة الغربية أي اهتمام مطلقاً. فضَعُوا هذا أيضاً في الاعتبار. هناك سوريا أيضاً.. الدولة الإسلامية التي أرسلت قواتها إلى لبنان واحتلتها، وتبعث جنودها لتفعل ما تشاء وقتما تشاء. فينبغي أن توقفوهم وترغموهم على الانسحاب.

يجب أن تضعوا الأحداث التي تنتمي إلى نفس المنطقة في سلة واحدة للنظر فيها.

هذا العرض العراقي له مبررات جيدة، ولو أنك تحدثت على ضوء متطلبات العدل فينبغي فعلاً أن تنظر في الأحداث التي وقعت بالمنطقة ككل.

وهناك نقاط أخرى تتعلق بالموضوع. إذا نظرت بمنظار التقوى والعدالة فليس هناك مبرر شرعي لهجوم العراق على الكويت، ولكن أيضاً ليس هناك مبرر ولو ضعيف لتحتل إسرائيل الضفة الغربية من الأردن وتضمها إليها بصفة دائمة.

وبالإضافة إلى ذلك نسب إلى العراق بعض أعمال العنف والعدوان. فمثلاً أذاعت وسائل الإعلام الغربي أن أحد البريطانيين قُتل بأيد العراقيين عند الحدود أثناء محاولته مغادرة البلاد.

وهذه، إن صحت، حادثة واحدة، لو قُورنت بما حدث في لبنان أو في المناطق التي دأب اليهود على ارتكاب اعتداءاتهم فيها، أو لو قُورنت بهجوم إسرائيل على العراق لتدمير المفاعل النووي العراقي في وضح النهار بلا حياء، لو قُورنت بكل هذه الأحداث ما كانت شيئاً يذكر. ولكن لم يرفع أحدهم عندهم إصبعاً واحدة، ولم يحرك الإعلام الغربي ساكناً! عندما يُقتل رجل واحد منهم تزجر وسائل الإعلام في أنحاء العالم، ولكن هناك آلاف الناس العزل المضطهدين عجائز وأطفالاً يرقدون عاجزين في المعسكرات، تُقَطَعُ منهم الرقاب، وتحطم رؤوس أطفالهم بالأحجار، ويُذبحون أمام عيون أمهاتهم الناحبات، ثم لا تنجو الأمهات من القتل بعد ذلك. وقد وقعت هذه الأحداث الرهيبة في لبنان، ولكن لم يرفع أحد منهم الصوت ضدها.

السؤال الآن: هل هذه الأمور من العدالة أم هي شيء آخر؟ إذا كانت مبرراتهم قائمة على العدالة، فلا بد من أن تشمل العدالة كل نواحي العالم بنفس النظرة، فمعايير العدالة لا تتغير.

كما نشروا إشاعات بأن جنود العراق أساءوا معاملة مضيفات الطيران البريطانية واغتصبوهن، وهاجت أيضاً وسائل الإعلام. ولكن منذ عدة أشهر يتعرض السكان المسلمون الفقراء رجالاً ونساءً وأطفالاً في كشمير لاعتداءات وحشية مستمرة فُتُغْتَصَبُ النساء وتُمارَس أنواع العدوان. وقد وصلتني أخبار عن أحداث وحشية تقشعر منها الجلود وتخلع من هولها القلوب. ما هي الدول الغربية التي لامت الهند على هذه المظالم؟ وأية وسائل الإعلام الغربية أذاعت هذه الفظائع أمام العالم بصورة ملفتة؟ يغمضون أعينهم عن كل هذه الأحداث الوحشية التي تتكرر كل يوم! وقبل أن يهدأ صراخهم وضجيجهم بشأن تلك الحادثة التي قيل إنها وقعت في العراق.. تبيّن أنها محض كذب واختلاق!

احتجاز المدنيين غير إسلامي

إن العراق أيضاً لا يوفي بمتطلبات العدالة الإسلامية. فالإسلام لا يسمح، حتى في حالة الحرب، أن يُتخذ المواطنين المنتسبون لدولة محاربة رهائن للمقايضة والمساومة، ولا يجوز اضطهادهم بأية صورة تخالف التقوى. فالاضطهاد هو ضد التقوى على أية حال. إن الإسلام ضد كل إعتداء، تشهد بذلك كل وقائع النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ. لم يكن هناك حادثة واحدة تعرض فيها أبناء أمة يعيشون في بلاد المسلمين لأي بغي أو تجاوزات، وإن كانت أمتهم في حرب مع المسلمين. كانوا دائماً أحراراً، يتحركون كيفما يشاؤون، ولم يرتكب أحد من المسلمين ضدهم أي عمل ظالم، بل يُوصي الإسلام بحماية أي إنسان إذا طلب الحماية وإن كان من الأعداء.

ولكن مسؤولي العراق تجاهلوا هذه القيمة الإسلامية الأخلاقية السامية، واعتبروا النزلاء البريطانيين والأمريكيين المقيمين في العراق والكويت ممنوعين من مغادرة البلاد، وحرموهم من الحياة العادية في مساكنهم، وحشروهم في فنادق معينة. ولم يسلم النزلاء من البلاد الإسلامية أيضاً من هذا القيد. ويتضح من تطور الأحداث أن هؤلاء النزلاء سوف يُتخذون رهائن في العراق. وهذا الإجراء مخالف للقيم المعروفة في العالم، دعك من القيم الإسلامية السامية. فأين القيم الأخلاقية؟ في عالم اليوم، سواءً في بلاد الإسلام أو غيرها، لا توجد سياسة تفي بمتطلبات الأخلاق الإسلامية العادية. هناك ثغرات واسعة في كل مكان.

لماذا تجويع الأبرياء؟

وأخيراً، اعتماداً على قرارات مجلس الأمن، يُحكمون بالقوة العسكرية الحصارَ على العراق من جميع الجهات. منعوا كل شيء يدخل أو يخرج من البلد. وبهذا يرتكبون نوعين من التجاوزات الأخلاقية الخطيرة: أولهما أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون قد شملت في قرارها المواد الغذائية أو ضرورات الحياة، والثاني أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون قد قررت إجبار كل دول العالم على المشاركة في المقاطعة.

وفي هذين المجالين تقوم أمريكا وبريطانيا بخداع مكشوف. إذ إنهم من ناحية يتهمون العراق بارتكاب أفعال غير أخلاقية، ونحن نعترف أنها غير أخلاقية من الوجهة الإسلامية، ومن ناحية أخرى هم بأنفسهم يرتكبون أفعالاً رهيبة غير أخلاقية، يغلفونها بلغة الدبلوماسية، فيخفون خطورتها، ولكنها في الحقيقة لو قورنت باحتجاز أربعة آلاف بريطاني، أو ألفين من الأمريكان، بل وقتلهم، لا سمح الله، لكانت هذه أخف كثيراً من تلك. ذلك أنهم يدخلون الأردن في هذا الظلم. ودولة شرق الأردن كانت دائماً مخصصة للعالم الغربي، بل كانت مخصصة لهم لدرجة منحلة. وهي كانت أشد البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط إخلاصاً للغرب. ومع أن المملكة السعودية هي أيضاً من المخلصين لهم جداً، إلا أن ذلك ليس وفاء للغرب فحسب، بل إن المصالح السعودية امتزجت بالمصالح الأمريكية حتى صارت شيئاً واحداً. فالمسألة ليست وفاء. ولكن شرق الأردن الدولة الصغيرة معروفة بولائها للغرب منذ زمن طويل، ولها علاقات صداقة بل أخوة مع البريطانيين والأمريكان. وكانوا يضعون هذا البلد على رأس قائمة أصدقائهم في المنطقة. والمشكلة أن الأردن لو قاطعت العراق لتعرضت للموت، ولن يكون أمامها خيار سوى محاولة البقاء على حياتها. وهذه لا تستطيع صدَّ العراق، لأنها لا تمتلك القوة أمامه ولو لبضع ساعات. ولذلك تكون الأردن تحت هذا القيد.

ولكن الغرب تجاهل ذلك، وقرر جعل الأردن هدفاً لتهديده إياها بالحصار إذا لم تشارك في مقاطعة العراق. ولما كان الغذاء وضرورات الحياة تدخل في مسألة الحصار كان ذلك مؤامرة لقتل الناس جوعاً بطريقة مؤلمة للغاية، لإرغامهم على فقدان شرفهم وكرامتهم أو التنازل عن موقفهم.. بصرف النظر عن كون موقفهم عادلاً أو غير عادل!! ليس هذا فحسب.. بل هناك أهداف شريرة أخرى ترتعد لها الفرائص.

الدجال

أين هي العدالة؟ إن السياسة الغربية وممارستها الدبلوماسية تسمى في قاموس الإسلام "دجالاً".

وقد وصلت بلاد الغرب اليوم إلى أقصى حدود الدجلِ باسم الدبلوماسية والسياسة. يغلفون جرائمهم دائماً بأغلفة رقة في الكلمات، كما أن دعاياتهم القوية تقدم كلامهم في صورة منطقية.

فالأزمة تزداد عمقاً يوماً بعد يوم. وهناك أخطار شديدة ترفع رؤوسها وتتضح. ولكن هناك أخطاراً أخرى لم ترفع رؤوسها بعد بحيث يمكن أن يراها الإنسان العادي، ولكنك إذا درستها بعمق فسوف تراها. إذا نظرت إلى بركة ماء صغيرة فإنك ترى الماء أول الأمر، فإذا اقتربت رأيت السمك الطافي عند السطح، ولكنك لو دنوت أكثر لرأيت السمك الذي يكون عند القاع والذي لم تكن تراه بادئ النظر.

وهكذا هي الأمور السياسية الدنيوية.. ينظر الناس العاديون بالنظرة السطحية، ثم بعد ذلك يرون من السمك ما يرفع رأسه. أما إذا نظرت بعين المؤمن وبصيرة الذكي.. رأيت الموقف الصحيح إلى أبعد الأعماق. ومن هذه الزاوية هناك أخطار كثيرة لم تتضح بعد، وسوف يبديها الزمن، ولكنني أدعو الله تعالى معكم أن يبعد تلك الأخطار التي تحوم على رأس العالم الإسلامي!

ردود فعل غير إسلامية

وفيما يتعلق بالفرق الإسلامية وردود فعل المسلمين فهي ردود مؤسفة شديدة الخطورة. في إحدى خطبي الأخيرة أوضحت الأمر للعالم الإسلامي، وصرحت للجرائد.. وسواء نُشرتْ تصريحِي أم لا.. ولكنني طلبت أن يُرسل موجز هذه النصيحة أو المقترحات إلى قادة المسلمين. وخلاصة الأمر هو أن يعود الجميع إلى تعاليم القرآن الكريم.. لأنه يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ (سورة النساء: ٦٠).. أي أن أسلمَ طريق لحسم النزاع أن تعرضوا الأمر على الله ورسوله، والوجهة التي يوجهكم إليها القرآن وسنة رسول الله ﷺ ينبغي عليكم أن تسيروا فيها. وفي هذا وحده السلام، وفي هذا وحده الحياة. فبدلاً من مسامرة ركب السياسيين الدنيويين لتسوية خلافاتكم، عودوا إلى تعاليم القرآن المجيد، واستمدوا النور من النهج الذي يرسمه لكم القرآن بكل وضوح.. وهو أنه في حالة النزاع بين بلدين مسلمين بما يهدد بنشوب حرب بينهما.. يجب على كل البلاد الإسلامية، وليس على المسلمين من شعب واحد فقط، أن تجتمع وتتشاور، وتبذل ضغوطها على البلد الذي يميل إلى الشرّ. عليهم أن يستمعوا للطرفين، وأن يسعوا لإقرار السلام العادل بينهما. فإذا لجأ أحد الطرفين المتنازعين إلى العدوان والهجوم رغم كل محاولات الصلح، فواجب المسلمين جميعاً أن يقاتلوا هذا الباغي. ولم يرد في أي توجيه قرآني أن نلتمس المعونة من الآخرين لفضّ نزاع بين المسلمين.

لو كانت هذه التعاليم في حسابان المسلمين لتغيّر الموقف وما صار إلى ما هو عليه من سوء وخطورة بالغة. على ضوء هذا التوجيه القرآني إني على ثقة كاملة بأنهم إذا عملوا به.. فإن إتحاد البلاد الإسلامية، مع ما يملكونه من قوة.. سيكون قادراً على إجبار الدولة الباغية منهم وكسر عدوانها وبغيها، مهما كانت قوتها، إن هي استمرت على موقفها الباغي. لو لم يكن ذلك ممكناً ما شرع الله تعالى هذا التعليم. إنه تعليم من الوضوح والدقة واليقين والثقة بأنه مهما كانت الدولة المسلمة الباغية قوية.. وحاول المسلمون الآخرون تسوية الأمر

طبقاً لتعاليم الإسلام، واتحدوا جميعاً، وجمعوا قواهم، فإنهم سيقدرّون على إجبار هذه الدولة على الخضوع لقرارهم. إنها بشارة أبدية يحملها القرآن الكريم لمن ينتفع بها ويطبقها.

الموقف الحالي خطير

ولكن الموقف الحالي أصبح خطيراً بعد أن دعت السعودية شركاءها للتدخل الفوري وإرسال قواهم. فهذا هي قوات أمريكا وبريطانيا بدأت تصل إلى هناك، بل ويسعون للضغط على الدول الكبرى لتشارك بعض المشاركة. ووصلت من الشرق والغرب وحدات بحرية، وقوات جوية وبرية. والهدف أن يكون العراق وبعض حلفائه كالأردن في جانب وسائر العالم في الجانب الآخر. ومع ذلك يقولون إنها خطوة دفاعية، يحاولون بها وقف انتشار الخطر.

وهناك دول إسلامية وقعت معظمها تحت ضغط القوى العظمى، وأجبرت أو تطوعت لأجل مصالحها لإرسال قواتها أيضاً. وقد بلغت الحماقة بدولة باكستان، فانضمت إلى الدول التي وعدت بإرسال جيشها إلى السعودية كي يقاتلوا إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية ضد الدولة العراقية المسلمة.

إن الموقف يشتد خطورة بسرعة كبيرة. والظن بأن كل هذه الاستعدادات والخطوات الضخمة هي لحماية السعودية فحسب حماقة كبرى. فمن أشد حمقاً ممن يظن أن كل هذه العمليات الهائلة الجارية، والحصار البحري من جميع الجهات، وهذه الطائرات المقاتلة المتطورة الخطيرة التي لم تُستخدم في حرب سابقة، وكل هذه الأسلحة الحديثة التي تجمّع.. هي لمجرد حماية السعودية من العراق!؟

إن الخطر الذي أحشاه أنهم بحجة الدفاع عن السعودية، سوف يجرمون العراق من الطعام والمؤن من جميع الجهات، ثم يسمحون لإسرائيل بمهاجمة العراق. وباستمرار الأردن في الطريق الذي يسير فيه ومساندته للعراق بسبب ظروفه القهرية.. يكون لهم عذر كبير في معاقبة الأردن كحليفة للعراق. ويضم اليهود الضفة الغربية من الأردن، ويحتلون ما تبقى منها، ويحتل العراق ما تستطيع من الأراضي الأردنية.. ثم بعد ذلك يعاقبون العراق عقاباً شديداً.

ومن هذه الناحية هناك خطر من أن يزداد هذا الضغط، وبتأثير الجوع الشديد يضطر العراق إلى الركوع. فإذا أحسوا في ذلك الوقت أنه من المناسب إعطاء الإشارة إلى إسرائيل والسماح لها بالهجوم.. فعلوا ذلك. ويمكنهم القول بأننا ننضم إلى القوات الإسلامية، ونمكث هنا لحمايتهم، ولا دخل لنا بالحرب بين إسرائيل والعراق، والعالم الإسلامي كله معنا في عملياتنا الحربية الدفاعية، ونحن لم نرتكب أي عدوان. هذه مسألة بين العراق وبين إسرائيل، وعليهما تسويتها ولن نتدخل بينهما. وما دامت قوات البلاد الإسلامية قد حُبست هناك فلن نستطيع الانفصال ومساعدة العراق ضد إسرائيل.. لو أنها حاولت ذلك!

واعلموا أن هناك خطراً حقيقياً من الانتقام من العراق وتمزيقه إرباً. ذلك لأن نار الانتقام لن تهدأ حتى يقضوا قضاءً نهائياً على هذا البلد الإسلامي الصاعد ليكون قوة كبرى في المنطقة. ولقد نشأ هذا الهدف في إسرائيل أولاً. وما زلت أطلع على تصريحات إسرائيل في الصحف؛ وعلى الدعاية التي تقوم بها إسرائيل منذ زمن طويل

بأنها تتعرض للخطر العراقي. وهذه الأشياء شديدة الصلة بنفس الشيء. كيف أغرّوا العراق ليحتل الكويت.. ثم تلتها هذه الأحداث؟ الله تعالى أعلم! ولكن كل هذه الأحداث ليست من قبيل المصادفات.. بل هناك أسباب وراءها. هناك مؤامرات تُدبّر بلبيل وتحاك تحت الأرض. هناك عملاء CIA في بعض المواقع، وهناك الخونة داخل البلاد الذين ينفذون المؤامرات السرية بذكاء خارق لتحقيق أهداف القوى العظمى. وقد ورد ذكر هذا النوع من النشاط في آخر سور القرآن الكريم.. فإن ﴿الوسواس الخناس* الذي يوسوس في صدور الناس﴾ هو تلك القوى الخبيثة التي تبذر بذور الشر، ثم تترد مبتعدة، ولا يعرف أحد من أين بدأ هذا الشر أو كيف حدث؟ ولو حدثت خطورة حمقاء.. لا يُعرّف المسئول عنها؟ ولكن في الحقيقة وراء ذلك دائماً بعض الدول الكبرى. ومن هذه الزاوية أيضاً اتخذ الموقف شكلاً خطيراً للغاية.

عقارب من الأقارب!

ولو تفحصت تاريخ العالم الإسلامي تبين لك أن قوى الإسلام لم تتضرر أبداً إلا لوجود تحالفات بين البلاد الإسلامية وأعداء الإسلام. وتاريخ الإسلام كله شاهد عدل على هذه الحقيقة. فكلما وقفت قوى الغرب عائفاً أمام تقدم قوة إسلامية، أو حطمتها أو أضرت بها من خلال أنشطة حربية معلنة أو مستترة.. تم ذلك دائماً بفضل معونة دولة إسلامية. وسأذكر لكم هنا التاريخ بإيجاز.. في نقاط جديرة بالاهتمام.

أهمية سنة ٢٧١هـ

ذكر المصلح الموعود (عليه السلام)، الخليفة الثاني للإمام المهدي المسيح الموعود (عليه السلام)، توضيح هذا الأمر أول مرة في التفسير الكبير عند شرح القيمة العددية للمقطعة القرآنية ﴿المر﴾.. عندما تناول الحديث الشريف الذي يدل على أن القيمة العددية لهذه المقطعة فيها إشارة إلى أحداث جسام من تاريخ الإسلام. والقيمة العددية للمقطعة ﴿المر﴾ هي ٢٧١. وهذا العدد يمثل القرون الإسلامية الثلاثة الأولى.. التي هي خير القرون، القرون الآمنة المصونة حسب بشارة المصطفى ﷺ. وعام ٢٧١هـ هو العام الخطير الذي حُفر فيه أساس انحطاط العالم الإسلامي، وكل الذي وقع بعده من انقسامات وعلامات ضعف في أماكن متنوعة بدأ في الواقع في تلك السنة. وأهم الأحداث التي قدمها المصلح الموعود كعلامات لذلك هي أنه في عام ٢٧١هـ عقدت الحكومة المسلمة في أسبانيا معاهدة مع البابا لضرب حكومة بغداد المسلمة وهزيمتها.. ووعد البابا بمساعدة مسلمي أسبانيا. ولما كان النفوذ البابوي قوياً ومؤثراً في عالم السياسة الغربي وقتئذ، بحيث يمكن اعتبار حكوماتهم حكومة البابا نفسه.. فكانت معاهدة خطيرة جداً، وهي تشبه مؤامرة اليوم التي قررت بها حكومة السعودية العمل مع قوى الغرب على تدمير دولة مسلمة.. عاصمتها اليوم بغداد أيضاً.

وفي الجهة الأخرى، وفي عام ٢٧٢ أو ٢٧٣ هـ عقدت معاهدة مماثلة بين حكومة بغداد والإمبراطور الروماني. لم تكن حكومة بغداد يومئذ تمثل العراق وحده، وإنما بلاداً أخرى معه، ولذلك من الأنسب أن تسمى الحكومة الإسلامية في بغداد. وكان الغرض من المعاهدة تضافر الطرفين للقضاء على حكومة المسلمين في أسبانيا.

فكان عام ٢٧١هـ فاتحة الطريق إلى تخريب سلام المسلمين إلى الأبد. وكل حدث جلل وقع بعد ذلك على رؤوس المسلمين تورطت فيه حتما دولة مسلمة متأمرة على غيرها من المسلمين.

في عام ٦٣٧هـ (١٢٥٨م) دمر هولوكو خان بغداد. هكذا كان قدرها. يخرنا التاريخ أن المستعصم آخر خلفاء العباسيين كان غاية في الضعف. كان وزيره من الشيعة، ويحمل ضغينة للمستعصم لما اتخذه من إجراءات عنيفة ضد الشيعة. والحق أن أعمال المستعصم كانت عدوانية، ولم يكن له الحق فيها. فانتقم منه بأن دعا هولوكو خان لمهاجمته. كان هولوكو ماضياً في غزوه.. ولكنه كان متردداً في الهجوم على بغداد ظناً منه أن ذلك غير مجدٍ أو معقول. فبعث إليه الوزير الشيعي رسالة يشرح له أن رهبة حكومة بغداد لا أساس لها، وأنها دولة فارغة من الداخل. وعمل الوزير على تشتيت الجيش الإسلامي زاعماً للمستعصم أن خزانة الدولة لا تتحمل عبء ذلك الجيش الضخم. وأرسل جزءاً من الجيش إلى حدود لا خطر يتهدها. وباختصار، دُعي هولوكو لدخول بغداد. فوقع بها الخراب الفظيع، وسقطت الحكومة المسلمة.

وليست المناسبة للدخول في تفصيل هذا الحدث المؤلم، ولعل الكثيرين منكم قد قرأوا عنه.. فقد كتبوا روايات محزنة عن بغداد ودمارها.. وهي حادثة مشهورة، وفيها اشترك فريق من المسلمين من داخل بلاد الإسلام في التآمر مع أمة من الخارج، وطلبوا منها الهجوم على بغداد!

وبعد ذلك في عام ١٣٨٦م خُربت بغداد مرة ثانية على يد تيمورلنك. وفي هذه المرة أيضاً كان نتيجة لنفاق وشقاق بعض المسلمين، الذين أتاحوا لتيمورلنك الفرصة كي يدمر بغداد ويقضي على الإمبراطورية الإسلامية. والمرة الثالثة كانت على يد الأتراك العثمانيين. ففضى المسلمون أنفسهم على حكومة بغداد المسلمة وذلك في عام ١٦٣٨م.

وبعد ذلك طلبت الحكومة الإنجليزية مساعدة الأسرة الحاكمة السعودية للقضاء على الحكومة التركية. كانت الأسرة هي نفسها التي تحكم السعودية اليوم وتنتمي إلى نفس الطائفة. وكانت الكويت في ذلك الوقت تعين الإنجليز عوناً ملحوظاً. ولولا عون هذه الأسرة السعودية، وهي أسرة سياسية، استغلت الفكر الوهابي للوصول إلى الحكم، ولولا قبائل الكويت لما تمكن الإنجليز من القضاء على الإمبراطورية التركية في العالم الإسلامي. رفعوا شعار "التعريب" وغيره من الأعمال.. إنها قصة طويلة. وهكذا في تلك المرة أيضاً استخدمت قوة أجنبية بعض المسلمين للقضاء على إمبراطورية إسلامية عظيمة.

دمّر الأتراك حكومة بغداد أولاً، ثم بمساعدة المسلمين في الكويت والسعودية قُضي على حكومة الأتراك وكُسرت شوكتهم. وهناك موقف مشابه يحدث مرة أخرى. فبمساعدة الحكومة السعودية، وبتأييد من الحكومات المجاورة لها.. تتعرض دولة مسلمة كبيرة لخطر شديد. وكما قدّرت.. فإن الغرب قرر هذه المرة أن ينال العراق عقاباً شديداً رهيباً.. حتى يكون عبرة للآخرين لعشرات من السنين.. فلا تحاول دولة إسلامية أن ترفع رأسها ضدهم أو أن تتحرر من سلطانهم.

حماية المصالح الإسرائيلية

والسبب الأكبر وراء ذلك هو إسرائيل. إنها دأبت على إحداث جلبة شديدة منذ فترة طويلة.. تتظاهر بالخوف من هجوم عراقي كيماوي. يقولون نحن دولة صغيرة، ولو هاجمتنا العراق لمحتنا من على سطح الأرض. وسواء أكان الخطر حقيقياً أو وهمياً، ومن دون البحث عن المسئول.. فمن المتيقن المؤكد أن إسرائيل ومصالح إسرائيل هي السبب الأكبر خلف الموقف الحالي. ويبدو الموقف الآن وكأن عالم الإسلام قد هبَّ للدفاع عن مصالح إسرائيل وحمايتها. وفي سبيل ذلك قرروا القضاء على دولة مسلمة ارتكبت فعلاً بعض أعمال غير إسلامية منافية للتقوى والعدل، ولكنها بالرغم من ذلك.. لا تستحق الدمار الشامل والخراب الكامل.

عداوات دفينية

لطالما انتُهكت العدالة ولا تزال تُنتهك في كثير من أنحاء العالم، ولم تحرك القوى الكبرى ساكنا، ولم ترفع إصبعاً ضدها. إن ما تفعله هذه القوى ليس من أجل العدالة بل هناك عداوات دفينية تحركهم للانتقام. وهذا الهجوم الشرس هو في حقيقته موجه ضد الإسلام.. وإن كان ظاهره الهجوم على دولة مسلمة ارتكبت أعمالاً غير إسلامية. هذه العداوات عميقة، ولها جذور تاريخية. لقد اتخذوا قراراتهم هذه على مستويات عليا. رأوا أن العراق دولة إسلامية ناهضة قوية، ولو تركوها لتشب وتنهض فسوف تبتلع البلاد المجاورة، وتخلق بذلك اتحاداً إسلامياً قوياً في منطقة الشرق الأوسط الذي يحتوي معظم الثروات البترولية في العالم، سوف تكون له القدرة على الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد وفي الميادين الأخرى، وقد يصبح قوة عسكرية كبيرة. هذه هي مخاوفهم. وأياً كانت تلك المخاوف، فإن الخطر الأكبر الذي يجب أن يراه العالم الإسلامي اليوم.. أنه بمساعدة وتأييد بلاد إسلامية تُتخذ قرار لتدمير دولة إسلامية صاعدة.. حتى ينمحي أثرها. والفئة الحاكمة التي تدير دفة الأمور في هذا البلد هي المسئولة عن ذلك. فماذا يكون الحلّ في مثل هذا الموقف؟

على العراق تصويب خطئه

أرى أن الوقت لم يفت بعد بحيث لا يمكن السيطرة عليه. ولكن ليس أمام المسلمين طريق للخلاص والسلام سوى طريق العودة إلى الله ورسوله. أما العراق فعليهم أن يكفوا عن تشويه القيم الإسلامية، وأن يتوقفوا عن تعريض الإسلام لمزيد من سخرية العالم. يجب أن يخلّوا سبيل كل الأجانب من جميع الجنسيات.. ويتركوهم أحراراً يغادرون العراق وقتما يشاءون، ويقولوا لهم: لا حق لنا عليكم، وسوف نسوي حساباتنا مع حكوماتكم وليس معكم. أنتم أفراد أبرياء في ذمتنا. إن تعاليم الإسلام تعتبر كل أجنبي مقيم بسبب مشروع في بلد إسلامي أمانةً في يد الدولة.. حتى وإن دخلت في نزاع أو قتال مع بلده. وخيانة هذه الأمانة له عواقب وخيمة وتبعات رهيبية.

إن نار الانتقام المشتعلة اليوم سوف تتأجج بسبب هذه الخيانة وتزداد التهاباً.. فتحرق مئات الألوف من المسلمين. إن قادة الدول وأعوانهم نفر قليل العدد، ولكن الضحايا سيكونون من عامة المسلمين الأبرياء، وهم الذين سيكونون وقوداً للحرب، وهدفاً للانتقام بعد الحرب.

لذا يجب على قادة العراق أن يسلكوا سبيل التقوى ليتفتح أمامهم طريق السلام. فعليهم أولاً أن يطلقوا حرية النزلاء الأجانب، وثانياً أن يبلغوا العالم الإسلامي باستعدادهم لقبول قراراتهم والخضوع لأحكامهم، ولتقديم كافة الضمانات بالانسحاب من الكويت، وإقامة السلام. ليس لهم شرط سوى أن يكون القرار للدول الإسلامية وحدها، ولا يتدخل غيرهم في الأمر.

يجب أن تتم هذه الخطوة بالقوة والفعالية كما جرى في معاهدة السلام مع إيران بعد حرب دموية طويلة.. ضاعت فيها الملايين بين قتلى وجرحى، وأعاد لها العراق كل أراضيها. إذا أمكن ذلك فلم لا يفعلونه الآن قبل سفك الدماء؟ ينبغي على العراق أن يُقدم على الخطوة التالية، فينسحب من الكويت، ويؤكد للعالم الإسلامي أنه كما عقدنا معاهدة سلام مع إيران للوقوف أمام القوى المضادة للإسلام كذلك نحن مستعدون لمعاهدة سلام معكم جميعاً لحمايةنا من اعتدائهم.

فعدوانهم علينا عدوان على بلاد الإسلام كلها، سوف يدمرون به قوات الإسلام بحيث لن تنهض لعشرات السنين، وسوف تمزق الدول الإسلامية كل ممزق، وتضطر للاعتماد على الأعداء كلية. إن هذه السحابات المرعبة تزجر مرعدة، والبرق المحرق يلمع. فإذا كانوا لا يرونه فذلك مدهش حقاً!.. ألا تسمعون أصوات الرعد، ولا ترون الأخطار المحدقة.. وتتصرفون كشأن الجهلة، فتتفرقون إلى حزينين، وتستعدون لمقاتلة بعضكم بعضاً!

لا بد وأن يبعث العراق بهذه الرسالة، ويذيعها مرات ومرات في أنحاء العالم بكل وسائل الإعلام. يجب أن يخبر عالم الإسلام ويقول: إننا نعترف بخطئنا، ونخضع لمحكمة الإسلام. فقط استبعدوا الآخرين. هذا النداء سوف يجعل الرأي العام الإسلامي يهب مؤيداً العراق بقوة تجعل الحكومات الأخرى.. التي لجأت لسوء نياتها إلى طلب المعونة من غير المسلمين.. لتعدل من موقفها وتتصرف تصرفاً سليماً إزاء هذا النداء. وإذا لم تعدل هذه الحكومات موقفها.. وكان تصرف الدول الإسلامية إرضاءً لله، وعلى ضوء تعاليمه بالرجوع إلى القرآن الكريم. فإن الله تعالى سيكون حامي العراق، وسوف يصونهم من كل خطر يحوم حولهم.

نصيحة "درويش"

إن دعوتي هذه دعوة "درويش". إنها نصيحة إنسان متواضع.. ولو وعأها قلب وانصاع لها انتفع بها، لأنها تعاليم القرآن الكريم. أما إذا رفضتم نصيحتنا بدافع الكبر والرعونة.. فإني أحذركم اليوم.. بأن عالم الإسلام سوف يواجه أخطاراً فظيعة لا قبل له بها.. وسيبقى بسببها باكياً يندب حظه، ضارباً برأسه في الصخر لأمد بعيد. ولن يكون له مخرج منها، ولن يكون له سبيل لاستعادة قوته الضائعة وشرفه وكرامته التي اكتسبها.. ويمكن أن يكتسبها.

الواقع أن بلاد المسلمين قد وصلت إلى مرحلة بحيث إذا استمروا في التقدم بهدوء وحكمة، بعيداً عن العنف، فإنهم في العشر أو الخمس عشر سنة القادمة سيتمكنون من أن يكونوا قوة عظمى، لا ينظر إليها الآخرون نظرة

سوء حتى وإن أرادوا ذلك. أما إذا تعثروا الآن وارتكبوا الخطأ.. فسوف يقعون في وهدة الهلاك يتعذر منها النجاة.

وأودّ في نفس الوقت أن أذكر الجماعة الإسلامية الأحمدية بأن يبتهلوا إلى الله تعالى بجدٍ وإلحاحٍ وقلبٍ متألّم. ومهما كانت التجاوزات التي ترتكبها الحكومات الإسلامية ضدنا، أو التي ارتكبتها في الماضي، أو سوف ترتكبها في المستقبل.. فهذا فعلهم الذي يحاسبهم الله عليه، ولكننا معشر الأحمديين المخلصين للإسلام وقيم الإسلام.. لا نخشى أن ننبّه إلى خطأ تقع فيه دولة مسلمة.. ونسألهم في تواضع.. أن يصححوا خطأهم، ويصلحوا من أنفسهم. ولربما صاروا أعداء لنا بسبب نصحننا لهم، أو ربما فكروا في الانتقام منا في قادم الأيام.. ولكننا لا نعبأ بذلك.. لأن موقفنا خالص لوجه الله تعالى. نحن نعرف أن روح الإسلام إنما هي في القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ. وإذا كنا نحب القرآن وسنة المصطفى ﷺ فلا بد وأن نحافظ على هذه الروح، ونحميها بأرواحنا. والأحمديون في كل أنحاء العالم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل ذلك، ولن يتوقفوا عن قول الحق، ولن تستطيع قوة في العالم منعه من التعبير عن الحق.

وأما إذا لم يرضَ أحدٌ بنصيحة حقة تهدف إلى صالح الناس فلا ضير.. فإن ملاذنا إلى الله تعالى، وثقتنا في ربّنا حل جلاله، ولا نخشى ساسة الدنيا.

أودّ أن أسوق لكم البشرى بشأن النصيحة التي قدمتها آنفا.. فقد كان مقدرا لي أن أقدمها اليوم.. قدّر الله تعالى ذلك منذ زمن طويل. لقد كتب الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) في كتابه (حمامة البشرى):
"إن ربي بشرني في العرب، وألهمني أن أموهم وأريهم طريقهم، وأصلح لهم شؤونهم، وستجدوني في هذا الأمر إن شاء الله من الفائزين."

فالمهمة التي عين الله الإمام المهدي المسيح الموعود من أجلها هي هدايتهم إلى طريق الحق، وتصحيح مواقفهم.. وأنا خادمه المتواضع، وخليفته.. أقوم الآن بمهمته. وعلى ضوء البشارة في هذا الوحي، أبشر عالم المسلمين جميعاً.. أنهم إذا اتبعوا النصيحة المتواضعة من هذا "الدرويش".. فلا شك أنهم سوف يفلحون ويعلنون في هذه الدنيا وفي الآخرة. أمّا، لا سمح الله، لو أنهم نبذوها تحقيقاً لمصالحهم الدنيوية الزائلة، وألقوا مصالح الإسلام وراء ظهورهم، ولم يبالوا بتعاليم الإسلام.. فلن تكون هناك قوة لإنقاذهم من غضب الدنيا وغضب الله تعالى.

عسى الله تبارك وتعالى أن يُقرّ عيوننا من قبل العالم الإسلامي، ويُسعد قلوبنا، ويزيل عنا الهم والحزن، ويفرج عنا الكرب والألم الذي يعاني منه بالتأكيد كل مسلمٍ أحمدي!.. آمين.

١٧ أغسطس ١٩٩٠

إسرائيل.. المرض الحقيقي

منذ قرون عديدة ومنطقة الشرق الأوسط لا تبرح تعاني من تدهور مستمر، وتحقق بها الحروب والاضطرابات وأحداث العنف، وتنزل بها صنوف البلايا والشدائد الأليمة. وقد زادت هذه الأمور ولا تزال تزداد في العقود الأربعة الأخيرة من هذا القرن. ولعله لا يتعذر معرفة العلة وراء ذلك، ولكن لا الشرق ولا الغرب يبدون اهتماما لتحري الأسباب. والواقع أن السلام في هذه المنطقة قد اختل في الأربعين سنة الماضية مرات عديدة، وفي كل مرة تعرض سلام العالم كله للاضطراب. ولكن كان رد فعل الغرب على ذلك أنهم في كل مرة صعّدوا هذه الأخطار بدلا من إزالتها. وبعد كل تجربة من هذه التجارب كانت ردود فعل المسلمين الذين يعيشون في هذه المنطقة هي نفس ردود الفعل التي تعود عليهم بالضرر، وتزيد من معاناتهم مرة بعد أخرى. إنهم بعد مرورهم في تجارب متكررة يصلون إلى نفس النتائج التي ثبت خطأها. وهذا ليس من سمات أهل العقل والذكاء بأي حال. ولكن وجود رجال أذكيا في الجانبين أمر لا مرأى فيه، فلا بد إذن من سبب آخر.. لأنه بدلا من أن يحل الموقف فإنه يزداد سوءا.

أساس الاضطرابات

الحق أن أساس كل هذه الاضطرابات هو إسرائيل. ومع أن الغرب كان بعد كل حرب يقدم تحليلا للموقف، ويخبر بالأخطاء التي وقع فيها أهل الشرق الأوسط وقادتهم، والتي تسببت في كل تلك الأضرار.. لكنهم لم يستبينوا جذور المرض أبدا، ولم يلقوا بالا نحو تصحيح موقفهم.

ومثالا لذلك فإنهم كانوا يلومون الرئيس المصري عبد الناصر، ويتهمونه بالجنون، وفقدان الاتزان، وأنه لم يكن يدرك خطورة القوى العظمى ضده، وأنه وحلفاءه العرب جميعا لا يساؤون شيئا إزاء تلك القوى العظمى.. وأنه في كل مرة يذهب إلى الحرب لبيوء بالهزيمة، ويزداد موقفه سوءا. فطبقاً لتحليل الغرب: يقوم قائد مجنون، ويستولي على قلوب شعبه بفضل حماسه، ولكنه محروم من الذكاء، فلا يفعل لهم شيئا مفيدا. ونتيجة لذلك فإن تصرفاته حيال أعدائه تنقلب عليه وعلى أصدقائه. وفي كل مرة يحارب فيها الآخرين لا يحقق أهدافه، بل يؤوب دائما بالخسران.

وكان الحال كذلك أيضا مع من تبعه من القادة. وهم يقدمون نفس التفسير بشأن الرئيس صدام حسين، ويوجهون الأنظار إليه قائلين: هاكم قائدا مجنونا آخر قد قام، تركز جذوره على الناصرية، بل والنازية الهتلرية. وهم يعرضون في التلفزيون هذه الأيام أفلام هتلر، وأحداث الحرب العالمية، يسترجعون بها ذكرى أيام هتلر، ليثيروا الغرب دونما حاجة للتعليق، وليربطوا بطريقة لا شعورية بين صدام حسين ودوافعه وبين النازية ودوافعها.

شخصوا المرض أولاً

هذا هو التحليل الغربي. ولكننا لم نسمع من أي خبير غربي يبين لنا: إذا كان هؤلاء القادة مرضى حقاً، فما هو المرض الذي أوجد هذه العقول المريضة؟ ولم يفكروا أنه حتى لو قطعت تلك الرؤوس المريضة فسيبقى المرض، ليتولد منه مزيد من الرؤوس التي لن تكون أبداً خالية من المرض وتأثيراته.

ما هو هذا المرض؟ إنه إنشاء دولة إسرائيل في هذه المنطقة، ثم استمرار التمييز في تعامل الغرب مع إسرائيل. فما كان هناك موقف يثير مسألة رعاية مصلحة إسرائيل في مقابل مصلحة العرب المسلمين.. إلا وكان الغرب دائماً وأبداً، ودونما حالة استثنائية واحدة، يهرع إلى تفضيل مصلحة إسرائيل، وتضحية بمصالح العالم العربي المسلم. ولقد عبر أحد الشعراء عن جوهر هذا الموقف بما معناه:

من كان يلبس كلبه وشياً ويقلع لي جلدي * فالكلب خير عنده مني، وخيرٌ منه عندي

هذا هو التشخيص الدقيق النهائي للمرض، وهذا هو ما غرس في قلوب العرب. وتحليلهم هذا يقوم على حقائق واقعة. فالعالم الغربي لا شك يكسو كلابه، ويتركهم عراة. هذا هو الحال الذي يطابق تماماً ما يجري مع إسرائيل مقارنة بالعرب. هكذا كانت دائماً استجابة الغرب في كل مناسبة ليتخلصوا من العالم العربي الجاهل في نظرهم، ويحموا العالم من أذاه، وسبيلهم الوحيد لذلك هو تفكيك العرب وتفثيتهم إلى قطع صغيرة، وتدمير كل إمكانيات نهضتهم في المستقبل.

هذا هو التحليل الغربي، وإن كان ليس بالفضاعة والإجرام مثلما حدث بعد الحرب العالمية الأولى، ثم تكرر بعد الحرب الثانية، وتحليلهم في الحالين كان خاطئاً. فما داموا لا يلقون نظرهم على الأسباب الأساسية التي ولدت النازية أو الناصرية أو الصدامية، ولا يشخصون المرض تشخيصاً صحيحاً، ولا يتنبهون إلى علاجه الصحيح.. فإن تلك الرؤوس ستقوم مرات ومرات لتقطع مرات ومرات، وستبقى سبباً مستمراً لقطع رؤوس أخرى، ولا بد أن يكبر هذا الورم السرطاني، إلى أن يأتي وقت يفلت فيه من سيطرة حكومات الغرب القوية.

الخومينية انعكاس لمظالم الغرب

إن السلطة التي أعطيت لصدام حسين هي في الحقيقة انعكاس لمظالم الغرب و لموقفهم اللامبدئي. إنه الغرب الذي وضع أساس الخومينية من قبل. وفرنسا هي الدولة التي لجأ إليها الخوميني، وعاش فيها ردحا طويلاً من الزمن. وبنفوذ فرنسا ومساعداتها تحرك جهاز الإعلام المتخصص حتى أشعل الثورة التي ما تزال قائمة. لقد أحس الغرب أنه إذا لم يصل الخوميني إلى السلطة، ولم تتملك الثورة الدينية زمام الأمور في إيران.. فإن الكراهية الشديدة نحو الشاه سوف تزداد عمقا في الشعب، وينتهي الأمر إلى ثورة شيوعية. فلم يكن حب الغرب للخومينية أو لذلك المفهوم الإسلامي الذي ظهر في إيران.. وإنما الخوف من عدو أقوى هو الذي أجأهم إلى تغذية الخومينية حتى تنال القوة والسلطان. ولما كان هؤلاء رجال دين، ويعرفون أن قيامهم كان نتيجة للشعور الديني، رأوا أنه لكي تبقى جذوة هذا الشعور الديني مشتعلة.. لا بد من خلق كراهية مكان كراهية، أو تحويل مسارها وجهة أخرى، فسمّوا أمريكا "الشیطان الأعظم". فالثورة الأولى قامت على الكراهية ضد شاه إيران؛

ثم ضد أمريكا حليفته القوية. فاستخدموا هذه الكراهية نفسها، وصوروا أمريكا على أنها الشيطان الأعظم. وبكل وسيلة احتفظوا بالحماس الديني حيا في الشعب، لأنه كان متصلًا بمشاعر الكراهية وقائما عليها. ونتيجة لذلك تدعمت الخومينية.

فكل تعكير لصفو السلام في المنطقة من قبل، أو الحروب المروعة، أو الاضطرابات وسفك الدماء والمظالم.. تقع مسئوليتها الأساسية على العالم الغربي. أقول الأساسية.. لأن عدوان الشاه كان مدعوما من الغرب، فهم المسئولون. إن أمريكا تملك القدرة الهائلة على التجسس والمخابرات وكشف المعلومات من أماكن عديدة، بما لا يعرفه أهل تلك الأماكن، وتبلغهم تقارير المخابرات الأمريكية، وتعرفهم بكل تلك الأمور؟ فمن العجيب مثلا أن ثورة قلبت النظام مؤخرًا في بلدنا باكستان، واشتكى الحكام لأن أمريكا لم تبلغهم بالأمر! رئيس الحكومة أزيح من موقعه، وتغير الحزب الحاكم، فيشتكون لأن أمريكا لم تخبرهم عن ذلك. بلدك الذي تعيش فيه.. لا تعلم ما يجري بداخله، وتشتكي لأن الأمريكيان لم يبلغوك بما يجري من ورائك! هناك نقص في الوعي بات واضحًا في بلاد الشرق. وكلما رأينا زيادة في عدم إحساسهم بأنفسهم؛ كلما تزايد إحساس الأعداء وتدخلهم في أمورهم.

أقول: كيف يمكن إذن ألا يكون الأمريكيان عالمين بالطغيان الذي أطلق الشاه عنانه في إيران؟ ولا مدركين مدى خطورة ردود الفعل المتنامية في البلاد! فأمریکا هي المسئولة عن كل تلك المظالم لأنها ربّتها ودعمتها. ولا يمكن لعاقل أن يعفي أمريكا من هذه المسئولية. ليس هذا إحساسًا بالكراهية أو مسألة مشاعر.. إنما هي حقيقة لا يجد إنسان عادي الذكاء مندوحة عن الاعتراف بأن الملكية التي كانت في إيران تربت تحت رعاية أمريكا. ولذلك فإن كل التفاعلات التي حدثت بسببها تقع تبعاتها الحقيقية على أمريكا. وكل فعل قامت به أمريكا للسيطرة على تلك الأحداث كان لازمًا لحماية مصالحهم، أو بحسب زعمهم، لحماية المصالح العالمية.

لقد أحسوا أن الاستفادة من هذا التفاعل قوتان لا غير: إما الخومينية الدينية، وإما الشيوعية. ولما كانت الشيوعية عدواً أشد خطراً، لو وصلت إلى السلطة ما أمكن عقد تلك المعاهدات والاتفاقات التي تمت اليوم بين روسيا وأمريكا، ولا قامت الصدامية، بل كان هناك خطر شديد على الشرق الأوسط من قبل روسيا وإيران الشيوعية، ولكان خطراً لا قبل لهم به.. فبالنظر إلى مصالحهم، أو لأجل سلام العالم كله كما يقولون، خلقوا الخومينية، وغدوها حتى شبت وقويت. ثم استخدم الخومينيون ذكاءهم واتبعوا طريقاً وسطاً لاستمرار نظامهم وحمايته من شرور التأثير الأمريكي. كان طريقاً وسطاً بمعنى أنهم ساروا بين أمريكا وروسيا، ولكنه بميزان عدالة الإسلام لا يعد وسطاً، لأنهم اتخذوا من القتل والاعتقال رياضتهم اليومية.. ذات اليسار وذات اليمين، وفعلاً ذلك باسم الإسلام، وهكذا قاسى العالم الإسلامي كثيراً من الشدائد.

انتقام الغرب من إيران

ثم لما أراد الغرب الانتقام من إيران الخومينية.. خلقوا الصدامية، وشجعوا العراق بكل السبل، وطلبوا من النظم العربية الخاضعة لنفوذهم مساعدة العراق، كما ساعدوه مباشرة. وفي اليوم الذي واجه العراق فيه خطراً

شديداً، وبدأ أن الجيش الإيراني على وشك ابتلاع بغداد.. أعلنت أمريكا صراحة أن هذا لن يحدث؛ أو بالأحرى لن تسمح بذلك أبداً. وسرعان ما زادوا قوة العراق الدفاعية حتى وصلت إلى مستوى هجومي. واليوم يروجون الدعاية في العالم.. من أن صدام طاغية قاسي القلب، لا يتردد في استخدام الغازات السامة ضد البشرية.. الغازات التي تفتك بالأعصاب وتحث القروح وتختق المصابين، وأنه لا بد من تحرير العالم من هذا الطاغية. مع أنهم هم أنفسهم الذين علموه بالأمس صنع هذه الغازات المهلكة. كانوا يعلمون كل شيء عن تلك المعامل الكيماوية، بل أقيمت تحت سمعهم وبصرهم، وهم الذين أعطوه سر الصناعة وتكنولوجياها.. لأنهم يومئذ كانوا يواجهون العدو الأكبر: إيران. ولو ادعت هذه البلاد اليوم أنه لم يكن لديهم علم بذلك، وأن العراق فعل كل ذلك وحده سرا.. لكان قولهم كذبا محضاً. فعندما بدأت المعامل الكيماوية في ليبيا صناعة غاز الأعصاب.. ضربوا المعامل بالقنابل، وأعلنوا للعالم أنهم لن يسمحوا بأن تقام هذه المعامل مهما كان الثمن، لأنها تمثل خطراً شديداً على سلام العالم. وقدموا التفاصيل كاملة صحيحة لدرجة مذهلة. قالوا إن ليبيا تزعم أنها معامل أسمدة وبعض الكيماويات، ولكن ها هي صور المعامل من الداخل، وهذا ما يصنع بداخلها، وهذه مقاديره. كانوا يعرفون تفاصيل المعامل وكل شبر فيها، وعرضوها أمام أنظار العالم. فكيف كانت عيونهم مغلقة تجاه العراق، في حين أنهم هم الذين ساعدوه.. عندما أرادوا بكل ثمنٍ غالٍ أن يمنعوا إيران من السيطرة على العراق أو العالم العربي بإحراز نصر حاسم كيلا يخرج الأمر من سلطانهم وسيطرتهم؟

في ذلك الوقت، كانت إيران هي التي تصرخ بأن هناك انتهاكا صارخاً، وظلماً فاضحاً، وقسوة بالغة؛ وتنشر الصور التي تبين ضحايا الغازات السامة. أمّا وسائل إعلام الغرب فقد توقفت عن نشر هذه المشاهد بعد أن عرضتها مرة أو مرتين.

والآن، لما أرادوا أن يفضحوا ويعيروا هذا الرجل الذي يصفونه بالجنون والمرض العقلي، والذي خلقوه بأيديهم.. نشروا نفس المشاهد الفوتوغرافية التي سبق ونشرتها إيران، وقالوا للعالم: هذا هو الطاغية الذي ارتكب جرائم القسوة ضد إخوانه الإيرانيين المسلمين؛ فكيف يسلم العالم من مظالمه؟.. كيف سييدي رحمة نحو الآخرين ويعاملهم بالإنسانية؟

فهذا هو نفس التصرف القديم.. ونفس الطريقة القديمة. إنهم لا ينظرون إلى المرض الذي أثمر العقول المريضة. يتجاهلون أنهم أنفسهم القوى التي تساعد دائماً على خلق المرض. إنهم يخلقون المرض من بدايته حتى يصل إلى مراحل الأخرى، وفي النهاية يحولون الانتباه إلى العقول المريضة، لأنهم يريدون فصلها عن أجسادها، متظاهرين للعالم أنهم مضطرون إلى ذلك.. وإلا صارت خطراً على رؤوس العالم.

لماذا يظهر هذا العقل المريض؟ إنه بسبب المعاملة الظالمة المستمرة.. من جانب الغرب.. مع العالم الإسلامي، وخاصة مع العرب والإيرانيين. إنها معاملة ظالمة، قاسية، جائرة.. على الرغم من أن الغرب فاز بصداقات كثيرة من هذه البلاد، وساندها وعاونها في الظاهر، ولكن أفعاله كشفت بوضوح.. أنه يريد استغلالها، وأفضل طريق لذلك أن يقيم معها علاقات صداقة. إنهم يصادقونهم كي يحصلوا على كل ثرواتهم البترولية ودائع في بنوكهم.

يستغلونهم مرتين: أولاً: تصبح هذه الأموال ثروة تضاعف من قوة رؤوس الأموال العالمية في الغرب، وثانياً: تكون هذه الأموال رهينة في أيديهم يجسونها عند التهديد بأي خطر.

مفهوم الأمانة عند الغرب

إنهم يتحدثون عن الأمانة في أماكن أخرى، ولكن يتغير مفهومهم عن الأمانة عندما تكون تحت قبضتهم.. يقولون: عندما يذهب مواطن منهم إلى بلد آخر يكون أمانة لديهم، ويجب ألا يخونوا هذه الأمانة؛ ولكن فيما يتعلق بالثروات التي وضعت لديهم في البنوك في زمن السلم بناء على نظام الحماية التي تمنح للنظام الاقتصادي العالمي، أو وقوعاً في خطأ الاعتماد عليهم.. فإنهم يضعون أيديهم على تلك الثروات، قائلين: نحن نحمدها لصالح العالم. كم من دولة شرقية جمّدوا أموالها في حالة الحرب وزمن الخطر! والآن جمّدوا أموال الكويت.. بقصد إعادتها فيما بعد لأنهم أصدقاء، وجمّدوا كل ثروات العراق في جميع البلاد. هذه هي أشكال دقيقة من الخداع.. ولكنهم مهرة في تقديم الخداع وكل تلك المظالم في لغة مصقولة. إنهم أساتذة هذا الفن.

أكبر غلطة للمسلمين

وفي مقابل هذا، وفي كل مرة، يحاول العالم العربي التعس محاربة الذكاء بالعاطفة ويدعون عواطفهم ترتطم بالذكاء فإنها تتحطم هباءً بدون فائدة، ويقع المسلمون في العار والمذلة أكثر فأكثر.

إن أكبر غلطة وقع فيها العالم العربي، ولا يزال يكررها، أن الأهداف السياسية والأمر الدينيوية التي لا يتغير رد فعل الأمم الأناثية إزائها دونما تفرقة دينية، فإنهم بدلاً من الاحتفاظ بها في إطارها الذي تنتمي إليه.. يحولونها إلى قضية دينية. فتتزايد الكراهية التي خلقوها باسم الإسلام.. مع أن المجتمع الإنساني يعطيهم حق مقاتلة الذين هاجموا مصالحهم، ولكنهم يحولونها بلا مبرر إلى جهاد ديني. فيعطون المهاجمين فرصة إضافية؛ فبعد أن كانوا يهاجمون العالم الإسلامي فقط.. إذا بهم يهاجمون الإسلام أيضاً، ويقولون للعالم كلها: إن المرض الحقيقي هو الإسلام ذاته وليست إسرائيل وراء هذه المشاكل. إنما الإسلام هو الدين المتلوي ويعلم الالتواء. إنه دين غير منصف، وينشر الفكر الظالم، وكل هذه الأمراض هي ثمار الفكر الإسلامي.

إن عملية إيران مثلاً.. كانت عملية غير إسلامية ولا صلة لها بالإسلام. ولو أنهم عرضوا الأمر على العالم، دون خلطه بالإسلام، وقالوا: إننا كنا من قبل ضعفاء لا حول لنا ولا قوة، ولكن جاء دورنا الآن للانتقام.. لوأفق العالم على أن الإيرانيين قد تعرضوا فعلاً للعدوان المستمر، ولكان من الممكن أن يتفهم العالم موقفهم. ولكن السياسة المسلمين لجهلهم المطبق لا يقولون للعالم قولاً سديداً.. بصراحة ووضوح: إننا لا حول لنا ولا قوة، وهم قد ولدوا فينا الكراهية الشديدة بصب المظالم علينا قرونًا، وكلما نتاح لنا الفرصة نتصرف كرجل ضعيف يجد حجراً فيلقطه ويقذفه، ولا يبالي بما سينزل به من عقاب، ولا ما سيفعله به الأقوياء. إنهم بدلاً من أن يعرضوا الموضوع على أساس من التقوى، وطبقاً لتعاليم الإسلام، وبالقول السديد في وضوح واستقامة.. وبما ينطوي على منافع رائعة، فإنهم مرة أخرى يعطونهم الفرصة لمهاجمة الإسلام. في الأولى دعوهم لمهاجمة

ذاتهم، ثم اليوم يدعونهم لمهاجمة روحهم.. فيقدمون تعاليم الإسلام في صورة مشوشة مشوهة، بحيث بدأ المثقفون في العالم يعرفون أن أفعالهم لا علاقة لها بالدين، ويقولون: ما دام هؤلاء بأنفسهم ينسبوننا للدين فلا بأس.. نحاجم دينهم وننسب إليه الالتواء، ولا ننسبه لعقولهم.

فالقادة الذين وصفهم الغرب أمام العالم بأنهم مرضى - والحق أنهم مرضى، بسبب ما خلقوه من شرور - هم الذين أعطوه الفرصة لينسب المرض إلى الإسلام، ويعرض هذا التشخيص الخاطئ أمام العالم حتى يُرغم العالم على قبوله.. لأن كلمات المريض مسموعة أكثر. المريض يقول: أنا مصاب بصداع، وتناولت كيت وكيت من الطعام فأصابني الصداع. إذا قال الطبيب غير ذلك فلا يقتنع الناس، ويقولون: إن المريض خير من يشخص سبب مرضه. يعرضون هذه الرؤوس المريضة قائلين: هذه الرؤوس بنفسها تعلن: ديني هو المجنون. ديني يأمرني بظلم النساء والأطفال، والقيام بعمليات التخريب، وإفساد أمن المدن بالمتفجرات، والانتقام لمعاننا بأي صورة كانت، والله يعيننا، فالإسلام يؤيدنا ويعلمنا أن نفعل ذلك باسم الدين!

إن هذا خطأ تماما، وليس ثمة تبرير له مطلقا. كل ما قلته لكم أمور حيثما عرضتموها على العالم سيضطروا إلى قبولها كتبرير لوجود هذه الرؤوس المريضة ويعرف سبب مرضها. ولكن الأسف أن هؤلاء الظالمين لم يسمحوا للعالم أن يهاجمهم وحدهم، بل وعرضوا الدين أمامهم ليكون أيضا هدفا للهجوم.

هذا ملخص طغيان الغرب وظلمهم الذي يعتبرونه اليوم شرعياً. ومن أهم الأمور الآن أن تتفهم القيادة الإسلامية الأسباب، وتوجه كل انتباهها إلى المرض الحقيقي، وتنبه الآخرين إليه. عليهم أن يقدموا هذا التحليل أمام العالم بوضوح، ويقولوا: إننا اضطررنا للانضمام إليكم ضد صدام حسين.. ولكن ذلك لا يعني أنكم أبرياء، وأن الخلاص من صدام حسين أو القضاء على العراق هو العلاج للعالم الإسلامي؛ بل سيكون ذلك سببا إضافيا لهدمه، وتستمر الأسباب تفعل فعلها، وتبقى الأمراض التي تسبب اضطراب السلام مرة بعد مرة في منطقة الشرق الأوسط، ويشعر العالم بالأخطار من قبلهم مرة تلو الأخرى.

وإذا تحدثنا عن العدالة، فسترون أنه بعد كل حرب تحتل إسرائيل جزءا من بلاد المسلمين، ويساندها الغرب ليصبح الاحتلال أبديا. إنهم لم يعيدوا شيئا من الأرض التي احتلوها إلا لمصر. ولم يسلم الإسرائيليون سيناء لمصر إلا بعدما اضطروا لركوع أمامهم وقبول شروطهم.

لقد اضطرت في النهاية إلى عقد معاهدة مع إسرائيل، اعتقدوا أنهم يقطعون بها مصر عن العالم الإسلامي نهائيا، وتصبح هدفا لكراهيتهم، ويصبح استمرار وجودها متوقفا علينا، وما دمنا نعصدها فإنها تعيش، وإلا تتحطم وتنهار. هكذا كانت توقعاتهم التي على أساسها أعادوا تلك المنطقة الصحراوية لمصر بعد أن احتلتها إسرائيل. وسوى ذلك لم يعيدوا أي أرض احتلتها إسرائيل للمسلمين الذين لم يقبلوا بمعاملة تضطروهم للسجود أمامهم.

كم طالت بالأردن مصادقتهم؟ إنهم حتى اليوم يذكرون في نشرات الأخبار.. أن انظروا أصدقاءنا.. كنا نعتمد عليهم أكثر من أي شيء. كم كنا حمقى! لقد ظهر أنهم أصدقاء غير مخلصين. ولكن الغرب لا يرون إلى معاملتهم تجاه الأردن. طوال هذه المدة لا يزال شطر كبير من الأردن تحت احتلال عدوه، ولم يزل هؤلاء

الأصدقاء يساعدون العدو على الاستمرار في هذا الاحتلال غير الشرعي.. ومع ذلك استمر الأردن على صداقته لهم!

متى تحرم موالاة الكفار؟

وحيث يقول القرآن المجيد بعدم موالاة الأعداء.. خلق بعض الملات (المشائخ المتعصبون من مدرسة العصور الوسطى) انطبعا خاطئا حول ذلك الأمر، ونتيجة لذلك أعانوا أعداء الإسلام على تشويه سمعته. ألا، هذه هي الأوضاع التي يقول فيها الإسلام لا توالوا أعداءكم! لا توالوهم على حساب متطلبات الإسلام والعدل. هذه هي حكمة ذلك التعليم القرآني؛ فقد صرح القرآن المجيد بأن الله تعالى لا ينهاى عن مصادقة أولئك الذين لا يظلمونكم ولا يظلمونكم، بل أحرى بكم أن تعاملوهم بالحسنى. يقول تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوهم وتُقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة الممتحنة: ٩-١٠)

هذا هو الإسلام، ولكنهم تجاهلوا تعاليم الإسلام الحكيمة، واتبعوا فهمهم الذي ألبسوه رداء الذكاء. فحيث تحرم الموالاة كانوا يوالون، وحيث أمروا بالصدقة والموالاة وعلموا كيف يوالون تجنّبوها! هذا هو آخر شكل من أشكال مرضهم. إنهم ابتعدوا عن التقوى.. وعن تعاليم الإسلام. قال المصطفى ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين.. ولكن ما أكثر ما لدغوا، ثم يضعون أصابعهم في نفس الجحر، وحتى اليوم لم يفهموا.

أما موقف الغرب فكل عاقل متبصر إذا حلله وجد أنه أيضا في الحقيقة موقف جاهل أحمق. فإنه برغم تكبد الخسائر مرة بعد أخرى لم يستطع تشخيص المرض، ولم يدرك أنه مادام هذا المرض فستستمر الأخطار تحوم حول العالم بنفس الطريقة تماما. ومن الناحية الأخرى، فإن البلاد الإسلامية أيضا، بالرغم مما قاسته مرارا وتكرارا.. لم يتعلموا من أخطائهم المتكررة. فما هو العلاج؟

العلاج الوحيد

إنه علاج واحد، علمنا إياه سيدنا محمد المصطفى ﷺ.. وقد ذكرته من قبل، وأود اليوم أن أذكركم به. هناك نبوءات طويلة أريد أن أشير إلى واحدة منها. جاء في الحديث النبوي الشريف: "... أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: "أني قد أخرجتُ عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّزُ عبادي إلى الطور (أي اجعله لهم حماية)... فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى.. (أي يدعون الله ويرغبون إليه في إهلاك يأجوج ومأجوج، وإنجائهم من مكابدة بلاتهم وشرهم...)." (صحيح مسلم، كتاب الفتن)

يقول النبي الأكرم ﷺ في حديثه عن الأيام الآخرة إن يأجوج ومأجوج سوف يتسلطون على الأرض، وأنهم ينهضون موجة بعد موجة، وأن موجات سلطاتهم سوف تغطي المعمورة كلها، وأن المسيح الموعود بجيئه في الأمة الإسلامية سيحاول مع أتباعه قتالهم بقصد هزيمتهم. وعندئذ يخبر الله تعالى المسيح الموعود بأنه لا يملك

إنسان على الأرض القوة على قتلهم، بل ولم يُعط المسيح الموعود نفسه هذه القوة أيضا. هناك علاج واحد: إنه اللجوء إلى الطور(الجبل) والابتهاال إلى الله تعالى. فالدعاء هو وحده القوة التي تؤدي إلى الفوز على هذه الأمم.

المراد من "الطور"

ولكن ما المراد بالطور، أي الجبل؟ أعتقد أن النبي الكريم ﷺ هو المراد بالجبل هنا. يقول الله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعاً متصدِّعاً من خشيةِ الله﴾؛ أي لو أوحى الله تعالى هذا القرآن إلى جبل لاهتز لعظمته ولتحتطم إلى شظايا. إن جبال الدنيا لا تملك القدرة على تحمل جلال هذا الوحي؛ ولكن المصطفى ﷺ كان وحده أعظم الجبال وأعلاها وأشدها. فالمراد من قوله (فحرّز عبادي إلى الطور) أن عُودوا إلى عَظْمَةِ المصطفى ﷺ، وتعوذوا بتعاليم المصطفى ﷺ. الجئوا إليها واستمدوا القوة منها. إذا فعلتم ذلك وابتهلتم إلى الله ﷻ.. يكون دعاؤكم قد غُذي من عَظْمَتِهِ، فلا يضيع أبداً، وتنالون نصيباً من عَظْمَتِهِ، كما تأخذ دعواتكم قسطاً منها.

العبرة الثانية

والعبرة الثانية.. أنه لم يرد في الأحاديث أن الله تعالى أمر أحداً من مسلمي ذلك الوقت أن يبتهل ويدعو؛ إنما أمر أتباع المسيح الموعود بالدعاء. ومعنى هذا أن إيمان الآخرين من مسلمي ذلك الوقت بقوة الدعاء يكون قد رُفع من الناحية العملية، ولن يولوا اهتماماً بالدعاء. ومن لا قيمة عندهم للدعاء فلا معنى ولا فائدة من إشراكهم في وصفة الدعاء.

بوسعكم الآن رؤية تصريحات الحكام المسلمين التي تصدر الآن. فمنهم من يقول: هلموا إلى أمريكا، واطلبوا معونتها وحمايتها. ومنهم من يقيم معاهدة مع إيران أو يتفق معها في أمور لينتفع من قوتها. ولا أحد منهم يقترح الاتجاه إلى الملاذ الإلهي، ويفكر في ملجأ المصطفى ﷺ. لم يذكروهم أحد: أيها المسلمون، هذا وقت الدعاء والابتهاال إلى الله تعالى.. لأنه السبيل الوحيد للنصر على الأعداء. ولكن هناك جماعة وحيدة فريدة.. جماعة الإمام المهدي والمسيح الموعود.. مسيح محمد المصطفى ﷺ.. قدر الله تعالى أن تكون نجاة العالم الإسلامي بفضل دعائهم، بشرط أن يلوذوا بملاذ عَظْمَةِ محمد المصطفى ﷺ، ويتحصنوا بشخصيته وسنته، ويواظبوا على التضرع والابتهاال إلى الله تعالى.

ولو اقترح حل مؤقت لهذه المشكلة.. فليكن من المعلوم أنه سوف يكون الحل الذي يسير بأهل الشرق الأوسط وبالعالم كله نحو وضع أسوأ مريع للغاية. لن يكون حلاً يزيل البلاء. إذا كان هناك حل فهو معكم أنتم.. يا جماعة المسيح المحمدي. عليكم أن تتضرعوا إلى الله تعالى بلا انقطاع، لأن هذه الآلام سوف تستمر إلى زمن طويل، وللموقف تقلبات كثيرة، وسوف يدخل في مراحل متجددة. وإذن فلا تؤخروا الدعاء، فلم يفت الوقت بعد، ونحن القوم الذين دَعَوْا من قبل.

وعلى ضوء الموقف كما حللته أمامكم.. أؤكد لكم أنه لا علاج لأمراض هذه الدنيا، وأمراض الأمة الإسلامية سوى الدعاء. وعليكم أيضا أن تبتهلوا من أجل العالم الغربي، كي يمنحهم الله العقل والفتنة. لقد فشلوا من

قبل مرات عديدة في أن يحلوا مشكلات الدنيا بمكرهم وسياستهم. لم ينجح مكرهم وذكاؤهم مرة واحدة، ولم يكن له نفع للعالم، بسبب دوافعهم الأنانية وراء مهارتهم، وإفراطهم في الغرور خلف قراراتهم النهائية. إن الذكاء الحقيقي هو في التقوى، والدنيا لم تفهم هذا السر بعد. عندما يؤكد القرآن الكريم على التقوى فإنه لا يقصد أن نكون كالملاط المجانين (المشائخ المتعصبين)، وإنما يؤكد على التقوى التي تُورث الفراسة، فتجعل المؤمن يرى بنور الله تبارك وتعالى. إن العقل والتقوى اسمان لمسمى واحد، وكل ذكاء محروم من التقوى سوف يؤول في النهاية حتما إلى الفشل والخسران. سُمّوه إن شئتم مهارة، ولكنه ليس ذكاء. فعالم اليوم.. من الشرق أو من الغرب.. خالٍ من الذكاء والفطنة الحقة.. لأنه محروم من التقوى.

فيا جماعة محمد المصطفى ﷺ.. يا جماعة المسيح المحمدي (عليه السلام).. الذين حملتم أمانة التقوى.. أوفؤا بحق هذه الأمانة. وما دتم باقين عليها مستحقين لهذه الأمانة.. فلسوف يهبكم الله النصر، وتمضون قادرين على قلب المستحيل ممكنا، ولسوف تظهرونه للعالم. عسى الله تعالى أن يعيننا على تحقيق ذلك! آمين!

٢٤ أغسطس ١٩٩١

فرقة في وحدة

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارَفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (سورة الحجرات: ١٤)

في خطبتي الماضية ذكّرت الجماعة بما يتفتح أمامهم في الوقت الراهن من ميادين جديدة للمعارك يحارب فيها الإسلام القيم غير الإسلامية. وميادين الجهاد هذه ليست من نوع جديد، وإنما وجدت في كل الأزمنة، وكانت لها دائما أهمية نسبية عظيمة. وفي هذه المرحلة التي نمر بها ستُحارب معركة بين القيم الإسلامية والقيم الاجتماعية. وإن أهل الغرب الذين ينتمي أغلبهم إلى النصرانية سوف يتعمدون نقل المعركة من ساحة الفكر إلى ساحة الفوارق الاجتماعية، وفي حسابهم أنهم على هذا الأساس سوف يجمون الأمم الغربية من الإسلام!

دعايات مغرضة ضد العنصرية

ثم إنها العنصرية التي سوف تتأجج بقوة عظيمة. فبرغم ما تسمعونه من أصوات ترتفع في الغرب ضد التفرقة العنصرية، حتى يعتبرون نسبة أحد إلى العنصرية سبة شديدة، ولكن ذلك كله رياء وتظاهر. فكل حركة قامت هذه الأيام ضد العنصرية إنما بدأها اليهود على نطاق واسع؛ وكان الهدف دائما وقف التعصب العنصري ضد اليهود وحدهم. وما دامت التفرقة العنصرية من جانب اليهود فلا حرج ولا اعتراض على ذلك. هناك دعاية عالمية واسعة النطاق.. تتردد في جنبات أوروبا وأمريكا بصفة خاصة لتحطيم أي حركة تميز عنصري ضد اليهود. وفي هذا الصدد يحيون فظائع التفرقة العنصرية أيام النازي.. ويضعونها أمام الغرب في صورة مسرحيات ومطبوعات تُذاع في الآفاق، ويهددون بالويل والثبور حتى لا يجبي أحد هذه الجرائم ضدهم مرة أخرى. وفي الوقت ذاته لا يزال العقاب ينزل بمجرمي الحرب القدامى حتى اليوم.. ليذكر الناس بأنه إذا حاول أحد منهم معارضة اليهود بمشاعر التعصب أو حاول اضطهادهم.. فلن يُغفر له ذلك أبدا.

فالحركة التي تجدها ضد العنصرية هنا إنما هي في الواقع تتعلق بهذه الدائرة المحدودة. والواقع أن العنصرية تتزايد بين هذه الأمم بقوة عظيمة، ولكنها موجهة نحو بلاد الشرق وأفريقيا، أو ضد الإسلام.. حيث يقدمون الإسلام أحيانا بصورة أمة، ويستحثون مشاعر التعصب ضدها، وأحيانا يقدمونه كدين وكمجتمع، ويثيرون مشاعر العنصرية الدينية والاجتماعية ضده.

تزايد العنصرية

وكل ما حدث في روسيا وما زال يحدث، وما وقع من تطورات بعد هدم سور برلين، وما ترتبت عليه من التغيرات العالمية، فقد كنت تحدثت عنها في خطبتي الختامية بالاجتماع السنوي الماضي بالمملكة المتحدة. ومن هذه التطورات ازدياد مشاعر العنصرية. وهذا الوجه له أهمية خاصة بصدامهم مع الإسلام. ولما كانت الجماعة الإسلامية الأحمدية هي وحدها التي أسست في الواقع لحماية القيم الإسلامية.. وتملك مقومات هذه

الحماية، والله جل وعلا يظاهاها.. لذلك ينبغي على الجماعة أن تفهم هذا الأمر بدقة وعمق حتى تكون مستعدة بذكاء وكفاءة لترد الهجوم عن الإسلام من أي سبيل يأتي، وتهمزه في نفس السبيل.

تنامي العنصرية في أوروبا

والتغيرات التي وقعت في أوروبا، والتي أشرت إليها، سوف ينتج عنها تنامي القومية ثم العنصرية في أوروبا.. مع العلم أن هناك صلة عميقة بين القومية والعنصرية؛ والفارق الوحيد بينهما هو المجال. وسكان روسيا لا ينتمون إلى قومية واحدة. هناك أنواع شتى من الدول في العالم، بعضها تقوم على القومية وتستقر عليها؛ وبعضها تقوم على فكر معين. وفي دولة إسرائيل يجتمع الأمران معا: القومية والفكر. ولكن وحدة القومية في معظم بلاد العالم غير واقعية، وإنما تضم الدول قوميات شتى، ويجاهدون جميعا حتى لا تتجه أفكار القوم ناحية الفوارق القومية.. وإلا انقسم الوطن إلى أجزاء. وهذا أعظم مشاكل المملكة المتحدة. فمن ناحية هناك سكتلندا شمالا، وويلز غربا، ثم إيرلندا. والاختلافات بين الشمال والجنوب تتخذ شكل الفوارق القومية. وأهم هذه الفوارق فيما بين الإنجليز والأسكتش، والإنجليز والويلش، والإنجليز والإيريش. ترون بريطانيا العظمى أو المملكة المتحدة دولة واحدة، عندما تتعرض لخطر خارجي أوسع مدى تتلاحم مصالح هذه الأمم سويا، وتقوى البلاد من الداخل، ويبرز مفهوم بريطانيا العظمى. ولكن عندما يأتي السلام ترفع الفوارق القومية رؤوسها، ويتهدد خطر فقدان الثقة فيما بينهم، وتبدو صلات الأناثية، ويشرعون في تقييم علاقاتهم بمعايير القومية. وتؤدي الأناثية على مستوى القومية إلى انقسامات؛ فيقول أهل الجنوب بضرورة الحفاظ على مصالح الجنوب، ويقول الإنجليز لن نضحى بمصالحنا من أجل الأسكتش. ويشعر الويلش بأنهم يعاملون معاملة ظالمة، وأنهم يُستغلون ولا ينالون حقوقهم مثل الآخرين.

القومية الواحدة مفقودة

هذا مثال يبين أن معظم بلاد العالم سواء أمريكا أو المملكة المتحدة أو ألمانيا أو أية دولة أخرى.. لا تقوم حقا على أساس أمة واحدة. وبحسب قول العلماء، لو كانت هناك دولة تقوم على قومية واحدة فهي تركيا. ولكن هذا أيضا ليس صحيحا في الواقع، لأن الأكراد يرون أنفسهم منفصلين تماما عن القومية التركية.. فقيمهم ولغتهم ومزاجهم مختلفة تماما عن الأتراك الآخرين. وهذا هو السبب في الكراهية الشديدة وفقدان الثقة بين القوميين. ويقوم الأكراد بدعاية واسعة في العالم، والله أعلم بمدى ما في قولهم من صدق أو باطل.. بأنهم يتعرضون منذ زمن طويل لفظائع من جانب الترك. وباستثناء الأكراد، يمكن القول بأن تركيا وطن قومي يضم أمة واحدة.

ثم الغريب أن عدد الأتراك داخل تركيا أقل مما هو في الخارج، وهم بنسبة ٢:٣. أي أن مقابل كل تركيين يعيشان داخل تركيا هناك ثلاثة يعيشون خارجها. ولا أعني بذلك المشتتون منهم في أماكن مختلفة من أوروبا، فهذا هو الواقع بالنسبة لكل الشعوب في كل بلاد العالم تقريبا؛ وإنما أعني بذلك الأتراك المقيمين في روسيا، ويسمون هناك التركمان. ومع أنهم أنفسهم منقسمون، وتنشأ فيهم حركات انفصالية شتى، ويبالغون في ذكر

المخاطر التي تواجه كل ولاية تركية من جانب جارها التركية، ويتخذون مواقف الحذر والتوجس، ولكن في نفس الوقت يبرز فيهم شعور جديد بأنهم شعب تركي، وينبغي لهم الاتحاد مع تركيا الأم. ولسوف يجتزم هذا التفكير في المستقبل، وسوف يُعتبر صالح تركيا مرتبطاً بفكرة اتحاد الأتراك في أنحاء العالم، واستخدام كلمة تركيا لبلد أوسع بكثير مما هي عليه الآن، وسيتولد مرة ثانية تصور تلك الدولة التي أُطلق عليها الإمبراطورية العثمانية.

المسلمون في الاتحاد السوفيتي

وفي الجانب الآخر يوشك أن يلعب الإسلام في تلك البلاد دوراً. فالبلاد القريبة من إيران، أيًا كانت لغتها.. بها نفوذ إيراني، وسوف تستقطبهم إيران. وكون كثير منهم من الشيعة سوف يساعدهم إيران في هذا الشأن. ثم هناك شعوب سنية، وبصرف النظر عن اللغة التي يتحدثونها.. سوف يجتذبهم عالم الإسلام السني بثرواته، وذلك إذا تركه العدو ليفيق.

على أي حال لقد وصل الاتحاد السوفيتي إلى مرحلة التفكك، وهو على وشك الانقسام. إذا ما برزت قوة مفاجئة تحول بينهم وبين الانقسام فهذا شيء آخر، أما إذا بقي الحال كما هو عليه، فلا أرى بحسب دراستي للموضوع أية قوة داخلية أو خارجية يمكن أن تحفظ الاتحاد السوفيتي. والسبب الأساسي في انقسامه أن وطنهم قام على نظرية، وذلك كما صنعت النظرية باكستان. إن قيام الاتحاد السوفيتي كبلد على خريطة العالم لا يستند إلى قومية معينة، وإنما إلى النظرية الشيوعية. أما قبل ذلك.. فقد كان غزو القيصر لكل هذه المناطق استعماراً محضاً.. احتلت فيه هذه القوة الأوروبية كثيراً مما جاورها من المناطق الإسلامية، كما كان الأمر المسلمون قد غزوا روسيا وحكموا الأجزاء الأوروبية منها. ثم تغير الموقف. وعند ثورة ١٩١٨م في روسيا أسست النظرية الفكرية وطناً لا يقوم على أمة. وبدأت روسيا دعاية قوية في العالم بأن الوطن لا يتأسس على القومية، وإنما يقوم على الفكرة. وقالوا إن نظريتهم عالمية، وسوف تقوم بها الأمة الشيوعية العالمية على الأرض. وارتفاعاً من هذه الفكرة مهّدوا كثيراً لتوليد النزاعات بين البلاد الصغيرة. وعندما انتشرت هذه النظرية قامت بعض المعارك ضد القومية. ولكنها صادفت في بعض الأماكن صداماً مكشوفاً مع الإسلام الذي يدعو أيضاً إلى إقامة الوطن على أساس من النظرية، إذ إن الإسلام أيضاً يدعو إلى إقامة وطن عالمي على أساس النظرية الفكرية. والحق أنه لا يوجد مفهوم للأمة غير ذلك. وهناك شكل محدود من هذا المفهوم في فكرة الأمتين المنفصلتين التي تبناها المسلمون القاطنون في شبه القارة الهندية والتي أدت إلى انقسامها إلى باكستان والهند، وليس لدي الآن وقت لسردها بالتفصيل ووضع الصورة الصحيحة أمامكم.. أنه إلى أي مدى كان مفهوم الأمتين عملياً، وإلى أي حد ليس عملياً، وما علاقته بالواقع، والجهد الرائع الذي قام به مسلمو الهند لإقامة باكستان، وما هي محركاته ودوافعه، وهل فعلوه بعد قراءة فكرة دكتور إقبال، وتأثروا بأفكاره، أم هناك أسباب مختلفة تماماً؟ على أي حال هذا موضوع منفصل، ولكن ما أود قوله هو أنه عندما هزمت النظرية الشيوعية في روسيا.. التي كانت محوراً ترتبط به الأمم بقوة في الاتحاد السوفيتي، وانفلت الزمام منها.. فلا بد

من الانقسام والفرقة، ولا يمكن لقوة في العالم أن توقف ذلك.. إلا إذا حدث رد فعل بسبب ضغوط خارجية، ورأت هذه الأمم أن من صالحها الترابط مع بعضها. ولكن فكرة المصالح التي لمت شمل الولايات في أمريكا الشمالية ليست قابلة للتنفيذ في روسيا الآن؛ لأنه بالرغم من سابق اتحاد هذه الأمم تحت النظرية الشيوعية، فإنها عوملت معاملة غير عادلة باستثناء الأمم الغربية في الاتحاد السوفيتي. وحتى الجانب الأوروبي من الاتحاد كان مقسماً إلى عدة أمم. وفيما يتعلق بالنظام الاقتصادي الروسي والتواصل بين هذه الأمم.. فواقع الأمر أن الشعوب المسلمة وبعض الأمم المتخلفة الأخرى لم يكونوا أبدا شركاء متساوين في الاتحاد السوفيتي. وبالنظر لمصالحهم الاقتصادية وازدهارهم الصناعي فإنهم لا أقوا الإهمال، وبدلاً من محاولة التعايش سوياً تحت مفهوم المصالح المشتركة القومية فإن الموقف انعكس تماماً. فليست هذه الأمم مستعدة للتفرق تلقائياً بسبب انهيار النظرية الاشتراكية الروسية، بل إن ذكريات الفظائع والمظالم السابقة تحثها على ذلك أيضاً.

أما الإسلام فإنه كدين لا يستطيع في الوقت الحاضر أن يكون له تأثير هناك، لأن الغالبية العظمى من هذه الشعوب صاروا في الواقع غير متدينين، وإن دعوا أنفسهم مسلمين، ليس الشباب وحدهم، بل في القادة الدينيين أنفسهم لن تجدوا تصوراً حقيقياً لذات الله ﷻ، وإنما هو مفهوم من نوع خيالي. فالعبادة الحقة لله تعالى، وبذل التضحية لأجله، وإحداث تغير داخلي تتطلب نضالاً طويلاً. يجب إعادة إنشاء الإسلام في نفوسهم بالتدريب، وهذه أيضاً معركة هامة ينبغي على الأحمديّة كسبها.

نعم، إن الإسلام سوف يؤثر عليهم بطريقة أخرى، ألا وهي علاقة الإسلام بالقومية. ويمكن أن يقوم المسلمون في الاتحاد السوفيتي بتطبيق مفهوم الأمتين الذي قدمه دكتور إقبال شكلاً منه، ليتحرروا من اتحاد الجمهوريات السوفيتية، ولحثم على التمرد. ولكنهم لن يفعلوا ذلك لأنهم لا يؤدون الصلاة أو أنهم في الثورة الجديدة سوف يحرمون من الحرية الدينية، وإنما الهدف عكس ذلك تماماً. لسوف يبرز هذا المفهوم القومي كقوة عظيمة. إنهم في هذه الأحوال المتغيرة في الاتحاد السوفيتي.. يمنحون حرية دينية، ليس في المناطق المسلمة وحدها، وإنما في المناطق الأوروبية أيضاً، ومن أجل النصرانية يقومون بتغييرات كثيرة في القوانين.. سوف تؤثر بالتأكيد في المناطق الإسلامية أيضاً. فلو كان رد فعل المسلمين هذا لأجل الإسلام لرأينا تزايد تدخل الحكومة في أمورهم؛ ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما الواقع أنها لما كانت تتدخل في أمورهم لم يكن من جانبهم رد فعل. على أي حال.. لا يوجد في الوقت الحالي جزء من الاتحاد السوفيتي يستطيع طلب التحرر باسم الإسلام. فالأجيال الجديدة التي تفكر في التمرد على الحكومة المركزية الروسية ليس لهم علاقة بالإسلام.. بل الغالبية العظمى منهم لا تعرف كلمات الصلاة ولا تستطيع تلاوة القرآن الكريم. إن حب الإسلام يستيقظ، ولا ريب؛ وهذا هو الحب السوي الذي يجب أن ننتفع به، ولكن تحول الحب إلى عمل لفكرة خيالية لا علاقة لها بالواقع. وإنما حدث إلى الآن أن هذا الحب يتحول إلى عنصرية، أو إلى صورة قومية، ونتيجة لذلك تشب أفكار التمرد بين هؤلاء الناس.

مفهوم "الأمة الإسلامية"

وهذه أفكار سيستغلها العالم الإسلامي من خارج روسيا. فعالم الإسلام السنّي سوف يحاول استقطاب أصحاب هذه الأفكار، وعالم الإسلام الشيعي سيفعل نفس الشيء. كذلك فإن الفوارق المذهبية والقومية الأخرى الموجودة بين طوائف الإسلام ستطفو على السطح لتتنافس كل منها في التأثير على أكبر عدد ممكن من مسلمي الاتحاد السوفييتي. وهذا ميدان للمعارك سوف ينفتح، وسوف يتضرر هؤلاء المسلمون السوفييت إذا لم تتحرك الجماعة الإسلامية الأحمدية بسرعة لتقدم لهم حقيقة الإسلام، ذلك الإسلام الذي لا علاقة له بالعنصرية، ولا علاقة له بذلك المفهوم عن القومية الموجود في العلاقات الدنيوية بين الأمم. إن للإسلام مفهوماً عالمياً ينفي كل عنصرية وقومية؛ وحيثما توجد هذه النظريات الخاطئة يعاني الإسلام منها أضراراً فادحة. ولذلك أعلن القرآن الكريم في الآية التي تلوثها عليكم: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ بأن الناس متساوون.. ولا تفرقة بينهم إلا من حيث كونهم ذكراً وأنثى. ولا يمكن أن تقوم عنصرية أو قومية على أساس من الذكر والأنثى. ولو فعلتم ذلك لكان خطأ محضاً، لأنه بدون الذكر والأنثى لا يمكن للجنس البشري أن يستمر وجوده. ويعني قوله ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾.. ليعرف بعضكم بعضاً، ويتميز أفرادكم بالأسماء. ولكن لا ينقسم الناس إلى جماعات على أساس من الأسماء. فلا يجوز مثلاً أن يتحد كل من اسمه عمرو ضد من اسمه زيد؛ ويكوّنوا حزباً ضد الآخرين. إن هذا الاختلاف في الأسماء وسيلة للتعارف فقط، ثم ليس لها بعد ذلك أهمية. ولا يجوز أن يترتب على ذلك أي نوع من التحيز والتعصب، ولا يمكن منطقياً أن يقع ذلك.

وهكذا وضع القرآن الكريم هذا المثال مستخدماً كلمة (تعارف)، فبين أنكم لو ذهبتم وراء ذلك لوقعتم في الحماقة والجهالة. انقسام الناس إلى أمم يمتد إلى حدود التعارف فقط. وإذا ما بقي هذا الانقسام للتعارف على الأمزجة والطبائع فلا اعتراض على ذلك، ولكن لا يحق لهذا الانقسام أن يتعداه.

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.. فلا يسمح القرآن الكريم للفرقة بين أمة وأمة أخرى وبين فرد وفرد آخر إلا على أساس واحد.. ذلك هو التقوى. فإذا كان المرء تقياً لقي التكريم، بصرف النظر عن قوميته أو عقيدته أو لونه أو مولده. فالتقوى تربط ساكن إنجلترا بساكن ويلز، والتقوى توحد بين أهل ويلز وأهل إسكتلندا، والتقوى تصل بين الإسكتلنديين والإيرلنديين. وبالمثل ستجعل جميع هؤلاء في انسجام مع من يعيشون في أفريقيا، وتجعلهم في وئام مع العرب ومع أهل روسيا والصين واليابان وأمريكا، بل كل سكان الأرض الذين يتصفون بالتقوى سوف يتحدون سوياً. وهذا هو مفهوم الأمة كما يقدمه الإسلام، وليس هناك أي مفهوم آخر للأمة. سيكون التكريم على أساس من التقوى وحدها. والتقوى وحدها هي التي تستحق ألا تغيب عن الذهن وتبقى ماثلة فيه دائماً. والذين يتمثلون في المزاج، ويتحدون باسم الخير والفضيلة سوف يكونون أمة من المتقين، ولكن لا علاقة لها بالانقسامات أو الفوارق السياسية.

فرقة في وحدة

وفي الوقت الذي تؤثر فيه هذه التغيرات في روسيا، ويتفاقم مفهوم القومية في صور خاطئة، يحدث هذا في أوروبا وبلاد الغرب أيضا، وتنشأ أنواع جديدة من التحيز العنصري تتصل بالداخل والخارج أيضا. فمن الداخل سوف تبدأ في أوروبا مشاعر عدم الرضا وفقدان الثقة، وهي بالتأكيد سوف تحرض أمة على أمة. إذا كانوا اليوم يغبط بعضهم بعضاً ففي الغد سوف يتحاسدون. تبدو أوروبا من جانب تتوحد، ولكن بذور الفرقة قد بذرت في تيار الوحدة هذه،

ولا مناص من أن تنبت في أوروبا المتحدة خلافات شديدة وسوف تُثار المزيد منها، بسبب عدم الثقة والغيرة بين بعضهم البعض. خذوا على سبيل المثال ألمانيا التي سوف تنهض كقوة كبرى. لا تتحدث بعض الدول صراحة عن مخاوفها من المخاطر المتوقعة من ألمانيا.. ولكنها في باطنها قد تنطوي على شيء من الخوف. أما هنا في المملكة المتحدة فإنهم يعبرون عن هذه المخاوف مرارا، ويقولون إن ألمانيا سوف تنهض كقوة عظمى، ومن المحتمل أن تعيد أخطائها الماضية التي ترتبت عليها حروب عالمية كبرى. فمنذ فترة قريبة استقال نائب وزير من منصبه هنا لنفس السبب، عندما عبّر عن هذه الأفكار في ألمانيا، واعتبرها الألمان أفكار الوزارة البريطانية، مع أنها كانت فكرته الشخصية. أما الوزارة فلم تتصل من قوله فحسب، بل مع أن له حق التعبير عن رأيه.. جعلته يستقيل. والأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل لا يزالون يرفعون أصواتا كهذه مرة بعد مرة. فمنذ وقت قريب في السويد، في مقابلة تليفزيونية مع أحد المفكرين البريطانيين وهو "أنتوني بيرجس" MR. ANTHONY BURGESS، وربما غطتها بعض الصحف أيضا، قدموا الضيف بوصفه مفكرا له معرفة عميقة بالإسلام، وله علاقات واسعة قديمة مع البلاد الإسلامية، ومكث بها مدة طويلة، وأحب دراسة الإسلام كثيرا حتى خُشي عليه من الدخول في الإسلام.. ولكن الله حفظه من هذا السخف! قدّموه كما لو أنه قد اقترب من الإسلام جداً حتى اكتشف شيئا ما فارتدّ راجعاً! قدموه على أنه الخبير بسياسات المسلمين وجوهر الإسلام. وكان هذا في الواقع هو الغرض من زيارته لأوروبا والإدلاء بآرائه في مناسبات عديدة. لقد جعل الإسلام هدفاً لهجمات الشرسة. وتتلخص أحاديثه في أنه لو كان هناك دين في العالم يناهض حرية الإنسان وحرية الضمير فهو الإسلام، وأن أشد الأخطار التي تواجه حرية الضمير اليوم تأتي من جانب الإسلام. وفي النهاية طُرح عليه ذلك السؤال الذي يتردد على ألسنة الإنجليز: في أي صورة سوف تنهض ألمانيا في هذا العالم؟ وقال في أثناء جوابه: كما أن ألمانيا تبرز هذه الأيام كخطر يتهدد أوروبا.. كذلك ينتصب الإسلام خطرا يهدد حرية الضمير. عند ذلك تصدّى له عضو من شرق أوروبا في المحفل الذي كان فيه، وعارضه بقوة قائلا: إن المثال الذي ضربته مثال خاطئ. قد أتفق معك في حال الإسلام، ولكن ألمانيا لن تكون خطرا. إني أعرف الجيل الحاضر جيدا. إنك تقوم بهذه الدعاية بدون أساس. ولكن هذه الأمور ليست من قبيل الدعاية، بل تتصل بسيكولوجية البشر. فالأمم التي تتصف في جوهرها بالأنانية، ويتصل مفهومها عن العدالة اتصالا عميقا بالقومية.. تتغير مفاهيمهم عن العدالة في المعاملات المتبادلة. فعندما يكون هناك نزاع خارجي.. تمتزج مفاهيم العدالة عند الإنجليز

والويلش والإسكتش والأيريش وتوحد وتبرز كمفهوم بريطاني. وبالمثل يبرز مفهوم ألماني واسع لا ينتمي إلى شرق ألمانيا أو غربها، ولا إلى شمالها أو جنوبها. فالوطنية تأخذ بالتدرج لون العنصرية، وتأخذ في الانتشار داخل الحدود الوطنية، وتوحد الأمم الصغيرة وتكون جبهة ضد الأمم الأخرى. وعندما تتصادم مصالحهم جميعا مع العالم الخارجي يتغير مفهوم الوطنية إلى مفهوم العنصرية. فيبدأ مفهوم الأبيض والأسود، ويتصارع الحمر مع الصفرة، ويقع ذو اللون البني فيما بين هؤلاء وهؤلاء، ويقاسون ويلاصقون التعصب من الفريقين. ففي أمريكا مثلا.. يُعتبر الهنود والباكستانيون أمة منفصلة في نظر السود، ويُنظر إليهم أيضا كمستعمرين. وهم يلقبون نفس المعاملة من البيض. ونفس المخاطر تشب في أفريقيا أيضا؛ فالاختلاف لون بشرة الباكستانيين عن لون الأفارقة يعاملهم هؤلاء على أنهم أمة منفصلة، يتحاملون ضدهم بوصفهم دخلاء جاءوا لاستغلالهم. على أي حال فإن هذه التحيزات القومية تتسع وتتحوّل إلى تعصب ضد اللون.

تحاسدُ روسيا والصين

أيّا كانت الفوارق التاريخية بين روسيا والصين.. فإنهم ينسبونها عموما إلى اختلافهما في فهم الفلسفة الشيوعية وفي تفسيرها، ولذلك لم تتمكن الدولتان من الاتحاد. والحقيقة أن هذه الفوارق سطحية، وإنما الفوارق الجوهرية أن روسيا في قمة عظمتها وقوتها لم تتحمل أن تحكم الشيوعية العالم عن طريق ذوي البشرة الصفراء من الصين، ولم تتحمل الصين أن يُحكم العالم من خلال الشيوعيين البيض الأوروبيين. فالغيرة التي كانت بين البلدين إنما كانت لما بين الأمة البيضاء والأمة الصفراء من تحاسد وغيرة. ومع أنها ظلت مكتومة ولم تبرز في هذه الصورة.. إلا أن العارفين بسيكولوجية القومية يعرفون أنها ليست صراعات على المفاهيم الشيوعية، وإنما هي الغيرة بين اللون الأصفر واللون الأبيض والأحمر.. التي كانت وراء هذه الخلافات وما نشأ عن ذلك من عدم ثقة. وأيا كانت المواقف المتغيرة فإن هذه الفوارق سوف تزداد فيهم. وعلى الجماعة الإسلامية الأحمدية أن تحارب هذه الفوارق مباشرة.

الغرب في قبضة إسرائيل

وفي الختام أناشدكم مرة أخرى الدعاء من أجل صالح العراق والعرب والأمة الإسلامية. لقد أوضحت الموضوع بالتفصيل من قبل، فلا داعي لتناوله مرة أخرى. الموقف الجديد الذي برز أمامنا، كما سبق وذكرته، يكشف كيف أن عالم الغرب قد وقع برُمته في قبضة إسرائيل، وبات فريسة لسياساتها.. بحيث لا مفر لهم من القضاء على القوة العراقية الصاعدة.. لكي تضعف قوى البلاد الإسلامية الأخرى وتتفتت وتتفرق.. ولكن ينبغي عند التنفيذ ألا تكون المعركة بحيث يقف المسلمون في جانب والنصارى في جانب آخر، أو أمم الشرق في ناحية وأمم الغرب في ناحية أخرى، بل سياستهم هذه المرة تمحضت عن خطة محكمة، ليدخلوا فيها بلادا أخرى حتى اليابان. وهناك بالفعل محاورات داخل اليابان للمشاركة في الهجوم لتدمير العراق؛ وقد قدموا بالفعل مشروعات أمام البرلمان الياباني لتغيير القانون الياباني الذي فصل حسب إملاء قوى الغرب، والذي أرادوه قانونا لا يتبدل، والذي يقضي بالألا يخرج الجيش الياباني عن حدوده الوطنية للمشاركة في أي حرب، وألا يتورط في

أي عمليات عسكرية داخل حدود بلد آخر. وهو نفس القانون الذي فصلوه لألمانيا ثم ألغوه. إنهم لعداوتهم للإسلام، ورتطوا اليابان في هذه الحرب حتى تشارك في القضاء على القوة الإسلامية الصاعدة.. فلا يجتج أحد بأنها لعبة العالم الغربي وحده، ولا يكون هناك تقسيم شرق وغرب أو إسلام ولا إسلام، بل ينبغي أن تشارك بلاد عربية وإسلامية وغربية. اليابان قوة عظمى، ولها مصالح اقتصادية ترتبط كثيرا بالبلاد المنتجة للبتترول. وحتى لا تبقى اليابان بمنأى عن الصراع فتكون الكراهية المتولدة عن هذه الحرب وفقا على الغرب وحده، خططوا أن تدخل هذه الدولة في هذا المأزق لتتال نصيبها من العواقب، خصوصا أنها المنافس الاقتصادي الوحيد للغرب. فإنهم بذلك كبير وخطة خبيثة.. أشركوا اليابان معهم.

وسوف ألخص لكم ما يدور في الندوات، وما يقوله أهل الفكر منهم كي تعرفوا مدى فظاعة خطتهم، وكيف سياترب عليها أضرار عميقة ولأجل طويل؛ أضرار لا يقتصر أثرها على عالم الإسلام وحده، وإنما سوف تصيب دول الشرق الأخرى أيضا؛ وربما لا تسترد بعض البلاد عافيتها من جرائها، وتمكث طويلا تلحق جراحها ولن يكون أمامها خيار بديل.

منافع يَجْنِيها الغرب

أولا، هذه الحرب التي سوف تُفرض هناك، من أين يأتون بنفقاتها الهائلة، ومع ارتفاع أسعار البترول.. كيف يعالج الضرر الذي يصيب الصناعة الأوروبية؟ إنهم يعقدون ندوات في بلاد عديدة تلقيت التقارير عما دار فيها، ولا أستطيع أن أقدم لكم التفاصيل كلها.. لكن في ندائي للدعاء أخبركم بإيجاز أن الخطة تقضي بأن تتحمل البلاد العربية المسلمة كل نفقات هذه الحرب المسلطة عليهم. ولقد وقعوا تلك الاتفاقيات مع السعودية والكويت وبلاد أخرى، وسوف تلتزم السعودية بدفع النصيب الأكبر. ولما كانت معظم ثروة السعودية في قبضة الأمريكان فلا مجال للسعودية للتهرب من الدفع.

وثانيا، إنه بسبب ارتفاع أسعار النفط المرتقب وقعت اتفاقية بأن تسدد البلاد العربية للغرب أية أضرار مالية تترتب على هذه الزيادة. ولا نستطيع الجزم بالطريقة التي سويت بها تلك الاتفاقيات، ولكن أهل الرأي منهم يبنوا هذا الأمر بوضوح في تلك الندوات، ولا دليل لنا وراء ذلك. لقد صرحوا بأن العرب مضطرون إلى عدم تخفيض أسعار البترول المصدر للغرب حتى لا تطالب الدول الأخرى بتخفيض مماثل. وعلى أي حال لن يتضرر اقتصاد الغرب.. لأن العرب وافقوا على رد أي زيادة في أرباحهم البترولية من بلاد الغرب.

وثالثا، قرروا أن المسألة ليست مجرد استرداد الكويت، بل لا بد من إبادة القوة المتنامية لصدام حسين.. في كل موقع ومن كل وجه. لذلك تسمعون تلك الضجة الجديدة بأن صدام حسين لا يملك أسلحة كيميائية فقط، بل لديه أيضا أسلحة بيولوجية، يستطيع بها نشر الجراثيم المهلكة في الأماكن الأخرى، وأن عنده تكنولوجيا متقدمة لهذا الغرض، يصعب اتخاذ إجراءات وقائية ضدها. فعنده مثلا جراثيم الجمرية التي تصيب الجلد بأورام شديدة خبيثة تسمم الدم وتقضي على المصاب في حال أليم. ومع أن اكتشاف الجمرية كسلاح هو من اختراع الغرب

إلا أنهم يقولون بأن العراق حصل على هذه التكنولوجيا، ولديه أسلحة التيفويد والكوليرا وأمراض أخرى كثيرة.

ومع وجود أمصال واقية وشفافية من هذه الأمراض إلا أنهم يذيعون الدعايات بأن العراق يعد مزيجاً رهيباً من هذه الجراثيم لنشرها في العالم.. ويتعذر وقاية كل إنسان منها. وفي حدود علمي أنهم لم يذيعوا هذه الأمور على العالم إلا قبل أيام على الموقف الحالي، كما أن العراق لم يهدد بذلك، وكل ما هدد به العراق هو الحرب الكيماوية؛ ولكنهم يستخدمون هذه الدعاية لشغل الرأي العام العالمي وخداعه والسيطرة عليه. والله تعالى أعلم بمدى ما في ذلك من حق أو باطل، ولكن هدفهم من ذلك أن لو دمرنا العراق بأكمله وسوينا به الأرض ولم نترك منه شيئاً.. فلا بد من إقناع الرأي العام بالسبب وراء ذلك.

إنهم عندما يعلنون في الغرب أنهم عقدوا اتفاقيات حول كذا وكذا من الأمور فلا يعني ذلك أنهم يفشون أسرارهم، وإنما يفعلون ذلك مضطرين بغرض الدعاية.. لأنهم يعرفون أن أهل الغرب يميلون إلى الأسباب الاقتصادية كثيراً، ويقولون في أنفسهم لو كان هناك عجز فسوف نقاسي من أضرار اقتصادية كبيرة من جراء هذه الحرب.. فلن يسمحوا للسياسيين بدخول الحرب. فهذه أسبابهم الاضطرارية. ليس هناك جاسوس ينشرها، فهم بأنفسهم ينشرونها ويتحدثون عنها علانية، لأنهم يريدون إقناع الرأي العام الغربي، وهم يقبلون بهذه التضحية لتحريكه في اتجاههم. وهذا معناه أنهم قد أعدوا للحرب إعداداً تاماً. بل إن عالم الإسلام نفسه مستعد لمساندته في هذه الحرب المفروضة للقضاء الأبدي على مصالح الإسلام على المدى البعيد. هل يمكن أن ينشأ في ذهن الإنسان فكر أشد فظاعة من أن معظم البلاد الإسلامية، بما فيها باكستان، سوف يعينون عالم الغرب معاونة تامة، ويتحملون مسئوليات أعمالهم كاملة.. لإبادة قوة إسلامية صاعدة بحيث يزول أثرها من فوق سطح الأرض!؟

نحن لا نملك سلاحاً سوى الدعاء. ولقد طلبت من الجماعة الدعاء، ودعوت بنفسي. وإني على ثقة من أنكم ذكرتم هذا الموضوع في دعائكم. هذا خطر يتهدد كل عالم الإسلام. إنه ليس خطراً عادياً.. بل سوف تتلوه أخطار كثيرة، وسوف تكون له ردود فعل، وتنشأ بعده نعرات قومية أكثر، ويتزايد مفهوم العنصرية، وسوف تمر خريطة العالم القادمة بمراحل من التغيرات العالمية، وسوف تأخذ هذه الخرائط وقتاً حتى تتشكل، ولكن إذا ما نشطتم في هذه المرحلة، ومن خلال دعائكم، ومن خلال قدراتكم الفكرية والخلقية.. إذا كنتم مستعدين لمحاربة كل هذه المخاطر، ولوضعتم جبهة جريئة بإزائها، عازمين بقوة وإخلاص كامل على ألا تتأخروا أبداً عن أي تضحية لحماية الإسلام.. فإني أؤكد لكم أن دعاءنا وجهودنا المخلصة سوف تسيطر على الموقف في العالم بطريقة طيبة. وبإذن الله تعالى لن ندع المؤامرات ضد الإسلام لتنجح.

اللهم أعنا ومكنا من ذلك. آمين!

٢٦ أكتوبر ١٩٩٠

الحدود الجغرافية..

من يملك حق تغييرها؟

إن الموقف الذي تمر به الأمة الإسلامية في هذه الأيام لموقفٌ يصيب كل مسلمٍ أحمدي بالهم الشديد، وبدلاً من أن تنقص الهموم فإنها في ازدياد. وسبق أن ذكّرتُ الجماعة الإسلامية الأحمدية بالدعاء والابتهاال، أود اليوم أن أذكرها تارة أخرى بالدعاء والضراعة إلى الله العلي الكبير.. بجدية تامة وإخلاص عميق وألم بالغ. ينبغي على كل أحمدي أن يرفع أكف الضراعة إلى الله عساه جل وعلا أن يزيل، بفضلله وكرمه، ما يواجه الأمة الإسلامية من أخطار. ومع أن السحب المتراكمة الداكنة السوداء تحيط من كل اتجاه، إلا أن الله تعالى قادر على أن يغير اتجاهها إن شاء. ليس هناك جزء من العالم في الوقت الحاضر إلا والمسلمون يواجهون فيه أخطار مباشرة وغير مباشرة، وإهم حيثما كانوا غير مستعدين لمقاومة كل هذه الأخطار، ولن تجد في أي مكان ردود فعل إسلامية تتسم بالعقل والحكمة. لذلك، فمن واجبنا أن نقدم لهم النصح الضروري، ونسعى لإفهامهم.. سواء أنصبتوا لنا أم أبوا.. لا يجوز أن نحصر أنفسنا في إطار النصح وحده.. لأن النصيحة لدى من يسدون آذانهم، والإيضاح عند من يغلقون عيونهم، والهداية لمن طبع العناد على قلوبهم.. لا تعطي ثمارها الطيبة مهما أراد المرء أن يفعل. ومن ثم فالدعاء ضرورة ملحة، والدعاء مطلوب كي يكون للنصيحة أثرها. أما بالنسبة للعالم الخارجي، فالدعاء أيضاً لازم لتغيير اتجاههم. فينبغي أن يكون لدعائكم وجهان: أحدهما أن يخلق الله تعالى قيادة عاقلة بين المسلمين، وأن يهب العقل لولاية الأمور فيهم، وينعم عليهم بنور التقوى، ويمكّنهم من إدراك الموقف الراهن على حقيقته؛ والثاني أن يحول الله تعالى اتجاه كل أولئك المعتدين الذين يهاجمون أو سوف يهاجمون الإسلام من العالم الخارجي؛ وأولئك الذين يناهضون الإسلام تحت عباءة الإسلام.. وأن يحبط الله كل جهودهم ويعودوا بالفشل التام.

سأضع أمامكم الآن موجزا لما يحدث على الساحة. لقد سبق وأن ألقيت عليه الضوء من زوايا متنوعة. فكما يعرف الإخوة إن هذا الصراع مع العراق هو في الواقع بسبب احتلاله الكويت. ولقد قدمت لكم سببا أو سبيين لما تقوم به قوى العالم من حشد ضد العراق، ولكن هناك أسبابا أخرى عميقة، وسوف أسردها لكم في المستقبل بإذن الله تعالى، وسأتناولها بمزيد من التفصيل، وأحكي لكم عن الأيدي التي تنسج هذه المؤامرات بالفعل.

منطق الغرب

ملخص هذا الصراع أن بلدا مسلما احتل إقليما، يحسب أنه كان جزءا من بلده، كان قد اقتطعه البريطانيون وأقاموا هناك دولة مستقلة. هذا هو موقف العراق. وفي مقابل ذلك يقال: إننا لو تركنا بلدا يحتل منطقة على أساس من الحق التاريخي فسوف يفرض ذلك خطرا جسيما على سلام العالم، ولا يمكن بأي ثمن أن نسمح لبلد أن يتخذ مثل هذه الخطوة العدوانية. فلا ينفك قادة الغرب يرفضون القول بأن اهتمامهم ينصب على منابع

البترو، ويقولون: بل إنما هو السلام العالمي الذي يهمننا، واحتلال بلد لإقليم ما على أساس أنه كان ينتمي لها تاريخياً فهو شيء سخيف تماماً، ولا يمكن أن نسمح له.

الغرب يناقض منطقته

دعونا نلق نظرة سريعة على تاريخ هذه الفترة لنرى ماذا كان يجري ونفحص المنطق الذي قدموه لتعرف على حقيقته. فبالنسبة للأراضي الإسلامية.. تأتي فلسطين في المقدمة، حيث تحكم إسرائيل الجزء الأكبر منها، بل زحف سلطاتها على الضفة الغربية من نهر الأردن. وهذا في الواقع نزاع تاريخي، فمنذ آلاف السنين حكم اليهود هذه الأرض وبنوا فيها المعابد، وهي عندهم ذات أهمية قصوى. وبهذا التاريخ القديم في الذهن قامت القوى الغربية وغيرت جغرافية هذه المنطقة، وأنشأت دولة إسرائيل. مع إن العالم الإسلامي كله ومعه العديد من القوى الأخرى ما برحوا يصرخون قائلين بأن التاريخ القديم الذي يرجع إلى ثلاثين أو أربعين قرناً من الزمان.. تنبشونه بحثاً عن شظية في جبل من الرماد.. لتنفخوا فيها وتشعلوا ناراً! أي حق لكم اليوم لقبول هذه الدعوى عن الماضي السحيق لتغيروا خرائط العالم اليوم؟ ولكن نفس القوى الغربية العظمى التي تتلهف اليوم لتدمير العراق، أصرت عندئذ على القول: يجب تغيير الجغرافيا على أساس من التاريخ القديم.. فالجغرافيا شيء دائم التغير!

وبوسعكم النظر إلى تاريخ ولاية "كشمير" أو ولاية "جوناغر" أو "حيدرآباد دكن" بالهند وبلاد كثيرة غيرها.. التي تقف شاهداً على أنه في زمننا هذا، وفي الفترة التي نمر بها، قد غيروا الجغرافيا استناداً إلى التاريخ، أو بدون أي سند تاريخي.. ومع ذلك لم يتعرض أمن العالم إلى أية أخطار. لقد وقعت كثير من التقسيمات السياسية والجغرافية.. ولكننا لم نسمعهم ينوحون بسبب تلك التغيرات، ولم تحدث محاولات لتوحيد العالم يداً واحدة لإعادة تلك التغيرات الجغرافية إلى حالتها الأولى!

مظالم الغرب على الأمم الأفريقية

ليس ذلك فحسب، وإنما لو ننظر إلى تاريخ أفريقيا نجد مشهداً أكثر عجباً وأشد رهبة. سأقرأ لكم مقتطفات من مجلة تدعى "الحقيقة الواضحة" (The Plain Truth) تصدر هنا في بريطانيا، كي تعلموا من ذا الذي له حق تغيير جغرافيا العالم، ومن لا يملك هذا الحق. يتلخص الموضوع الذي أوردته المجلة المذكورة تفاصيله، وهو مسجل أيضاً في صفحات التاريخ بكل دقة، أنه في نوفمبر ١٨٨٤م اجتمع مندوبو ١٣ دولة أوروبية مع مندوب الولايات المتحدة في برلين لتقسيم أفريقيا بما فيه صالحهم. وعند القيام بهذه التقسيمات الاستعمارية الغربية في أفريقيا.. لم يضعوا في حسابهم صالح أي أمة أفريقية أو دولة أفريقية. لم يقسموا الناس على أساس من القومية أو اللغة أو المصالح الاقتصادية أو الموارد الطبيعية من مناجم وغيرها. لم يقدرُوا إذا كان بعض الأقسام ضئيل الحجم بدرجة لا تسمح له بالاستقلال الاقتصادي، وبعضها كبير الحجم بدرجة تهدد حقوق الدول الأخرى ومصالحها.

هذا ما نجده في التاريخ، وهذا ما غطاه المقال في المجلة جيداً. ونتيجة لتلك التقسيمات حصلت هذه المعاناة

الشديدة التي كان على البلاد الأفريقية مقاساتها ولا تزال تقاسي منها. لقد فتتوا قارة أفريقيا إلى دويلات صغيرة جدا، أو أقسام كبيرة جدا.. بهدف أن تعود المنفعة منها جميعا إلى دول الغرب، وأن يستمر انتفاعها منها على مر الأيام. وإن معظم المصاعب والمشاكل التي تعاني منها أفريقيا بعد تحرر بلادها تعود إلى هذا التقسيم الجائر. مع تصاعد مفهوم الوحدة الوطنية يتصاعد أيضا مفهوم وحدة اللغة، ويجد الإنسان أن هذه الحدود الجغرافية مختلفة تماما عن الحدود الوطنية واللغوية. ثم هناك أيضا عداوات تاريخية داخل الأمم الأفريقية، فمثلا في ليبيريا هناك عداوات بين بعض الأمم، بل وتمتد العداوة خارج نطاق الدولة الواحدة لتغطي مناطق كبيرة. وقد فصلوا بعض هذه الأمم المتعادية بحيث يفرض الأقوى منها نفسها على الأضعف.

فهناك أشكال كثيرة جعلت أفريقيا اليوم محاطة بالاضطراب وانعدام الثقة وشتى أنواع البغضاء. لا يوجهون انتباههم إلى إزالة هذه المظالم، ولا يرون ذلك ضروريا..! ولقد تفاقم الأمر إلى حد القول بأن إزالة هذه المظالم يتطلب تقسيم أفريقيا من جديد، ولكن هذا أيضا يعرض سلامها لمزيد من المخاطر أكثر مما تعاني منه اليوم.

حق لا يُمنح للبلاد الإسلامية

هذه هي خلاصة الرابطة بين التاريخ والجغرافيا! وإذا عدنا إلى مسألة احتلال العراق للكويت، وحللنا الموقف كله وجدنا أنه إذا احتل هذه الأراضي الإسلامية بلد غير إسلامي وغير حدودها الجغرافية.. فلن يتعرض سلام العالم لخطر ما، بل إذا قامت قوة غربية أو اتحدت كلها لتغيير جغرافية قارة كبيرة ودمرتها، أو لو قسمتها لتبقى أبد الدهر منطقة متفجرة كالبركان.. فإن هذا لن يمثل تهديدا للسلام العالمي! ولكن إذا احتل بلد إسلامي بلدا إسلاميا آخر.. فهذا هو التهديد الذي ما بعده تهديد لسلام العالم بأجمعه، وهذا ما لا يطيقونه ولا يسمحون به أبدا!!

هذا هو المنطق الأساسي الذي يبرز أمامنا بعد التحليل. وعلى الرغم من أن كل هذه الأمور معروفة تماما، وليست تاريخا نقبتُ عنه بحيث لم يكن مألوفا لدى المسلمين المتورين أو لدى القادة المسلمين.. فكل شيء أمامهم، ومع ذلك فإنهم لا يدركون ما يحدث أو سوف يحدث في الشرق الأوسط، وأن الضرر كله سوف يقع على رأس الإسلام وأتباع الإسلام، وأن النفع كله سيصل إلى الحكومات غير الإسلامية وإلى أهل الأديان والقوى غير الإسلامية. وكما سبق أن ذكرت.. إن غم الحرب كله سوف تحتمله البلاد الإسلامية. كل هذا الذي يجري على الساحة من نقل جنود وقوات كبيرة ونشرها من قارة إلى أخرى يتطلب جبالا من المال. وإن نفس الثروات التي أودعتها السعودية والمشيخات في بلاد الغرب سوف تتحول بطريقة قانونية إليهم، ويقولون: إنها تخصكم، ولا مطمع لنا فيها! والنتيجة أنهم يدمرون دولة إسلامية صاعدة دمارا أبديا، ليؤكدوا بذلك أن مجرد تفكير المسلمين في اتخاذ خطوة مستقلة لصيانة عزة أنفسهم يعد من الجرائم.

ولقد حاولنا بأقصى جهدنا لتوجيه العراق، وبعثنا لهم الرسائل وقلنا: بحق الله تعالى، ومن أجل صالحكم وصالح الإسلام.. الذي تعتبرونه صالحكم أيضا.. تراجعوا عن خطوتكم الظالمة، لأن تغيير الحدود الجغرافية على أساس من التاريخ لم يعد ممكنا. وكما قلت، لم يعد هذا ممكنا حتى لأفريقيا، بل لمعظم بلاد العالم. فإن مصلحتكم

ومصلحة الكويت ومصلحة الإسلام تبقى في أن ترجعوا عن هذه الخطوة التي اتخذتموها، وبدلاً من هذا اعملوا على تقوية أنفسكم وتوحيد العالم الإسلامي. ولكنهم لم يهتموا بذلك لسوء الحظ.

حماقة الدول الإسلامية

وبلاد العرب أيضاً لم يفكروا أنهم بانضمامهم إلى القوى غير الإسلامية وبتحمل ثمن هذا الظلم كاملاً، يعملون لتدمير دولة مسلمة، ليضطرب بعدها سلام المنطقة كلها إلى الأبد. سواء تعرض سلام العالم للخطر أم لا.. فإن هذه البلاد التي استأجرت المقاتلين من الخارج، والتي سوف تتحمل غرم الحرب كاملاً.. أوكد لهم أنهم لن يكونوا أبداً قادرين على العودة إلى الماضي. لسوف ينزلقون من سيئ إلى أسوأ، ولن يعود السلام إلى المنطقة مرة أخرى. وبعد ذلك، وكما قلت لكم، لم يبق إلا الدعاء. عسى الله تعالى أن يرحمهم ويمنحهم العقل والحكمة. ومهما كان نصحننا ضعيفا في ظاهره.. فعسى الله جل وعلا أن يضيء عليه بفضل من القوة.. فتميل إليه القلوب وتتقبله. إن الله وحده هو القادر على تغيير الأحوال. ما أجمل ما قاله كاتب المقال في مجلة "الحقيقة الواضحة": إن القدر الإلهي هو الذي يمكن أن يحل هذه المأساة بسلام.

قضية "المسجد البابري"

ولنلق نظرة على الهند. ما حدث في الماضي قد حدث، ما كان يحدث في كشمير لا يزال يحدث اليوم. ولكن المأساة العظمى أنهم أيضاً يقومون الآن هناك بنوع آخر من التغيير الجغرافي على أساس تاريخي. يقولون إن بابر (ظهير الدين محمد بابر ١٤٨٣-١٥٣٠)، مؤسس الإمبراطورية المغولية في الهند مكان سلطنة دلهي، وهو من سلالة تيمور لنك وجنكيز خان) هدم معبداً هندوسياً في أيوديا، يسمى "معبد رام" وشيد مكانه مسجداً يسمى "المسجد البابري". أما الشواهد التاريخية على هذه الدعوى فلا يزال الجدل حولها مستمرا في إحدى محاكم الهند. والدعوى في أساسها تستند إلى رؤيا منامية لدرويش مسلم، رأى فيها جثمان "رام" مدفوناً تحت المسجد البابري حيث كان هناك معبد هندوسي! هذه الرؤيا القديمة لذلك الدرويش هي المرجع الذي يؤسس عليه الهندوس قضيتهم، ويقدمون مستندات أخرى ليس لها أساس تاريخي حقيقي. على أي حال.. المسألة في يد القضاء. وبغض النظر عن كون الدعوى صادقة أم باطلة.. لو حاولوا تغيير الجغرافيا على أساس تاريخ مضى منذ حوالي ٤٠٠ عام، واعتبروا ذلك عملاً شرعياً فلا بد وأن يكون ذلك طبقاً لذلك المبدأ.. مبدأ القوى الغربية: إذا فعله غير المسلمين فهو عمل شرعي، أما إذا فعله المسلمون فهو غير شرعي! لم يكن البناء شرعياً للمسلمين وقتئذ، وليس الاحتفاظ به شرعياً لهم اليوم، وهو شرعي للهندوس وقتما يشاءون، ولهم أن يغيروا ممتلكات اليوم، وجغرافيا اليوم بناء على التاريخ القديم.

ففي الهند أيضاً يواجه المسلمون خطراً عظيماً أشد من التغيرات الجغرافية التي تحدث في أماكن أخرى.. لأن التهديد هنا موجه إلى شرف الإسلام ووحدة الإسلام. إنه خطر يواجه عقيدة عظمة الله ووحداية الله. فالمكان الذي يعبد فيه إله واحد.. يريدون أن تعبد فيه أصنام زائفة ترتبط بأله باطلة لا وجود لها! فتغيير مكان يعبد فيه الإله الواحد، ويرفع فيه لواء وحدانية الله.. ليصير مكاناً لعبادة الأصنام.. ليس حدثاً عادياً، ولكنه هجمة على

قواعد الإسلام كله. وسوف ينتشر تأثير هذا الحدث بعيدا في كل اتجاه في الهند، ونتيجة لذلك سوف يضطرب سلام المسلمين فيها، وسوف تبدأ سلسلة من الاضطرابات يتعذر وقفها. هذا أمر هام جدا من ناحية العواطف ومن ناحية العقيدة، ويجب على عالم الإسلام فهمه.

صيانة شرف الديانات

ولكن في نفس الوقت لا بد وأن يكون رد الفعل إزاءه إسلاميا. ويؤسفني أن الموقف يشبه الموقف المتصل بمشكلة العراق. ففي بنغلا ديش غضب الناس من هجمات مئات الآلاف من الهندوس على "المسجد البابري"، ودخول بعضهم في ساحته وعبادة صنم نصبوه مسبقا في حرمه، فقاموا بإحراق وهدم كثير من المعابد، ونهب ممتلكات الهندوس وقتل عدد منهم في بنغلا ديش.

هل هذا رد فعل إسلامي؟ كلا، من المحال في ضوء تعاليم الإسلام أن يكون هذا رد فعل مشروع، لأن الإسلام يصون شرف وحرمة كل ديانات العالم. وليس معنى ذلك أن الإسلام يأمر بالانحناء لتلك الديانات تشريفا لها، ولكن المراد أنه يحمي من الناحية القانونية أولئك الذين يؤمنون بعظمة تلك الأديان. كيفما كانت عقيدتهم فلهم حق العبادة وفقا لها.. وإن كانت في نظر الإسلام باطلة. ففيما يتعلق بمشاعرهم الدينية فالإسلام يصون حرمتها.. بمعنى أنه لا يسمح للمسلم أن يهدم أماكن العبادة للآخرين ليسيئ مكاها مسجدا أو غيره.

انعكاسات تطرف المشائخ

وما يحدث في الهند هو في الواقع رد فعل لبعض الأحداث التي وقعت في باكستان. فمثلا كانت هناك ردود الفعل في بنغلا ديش وبعض مناطق السند بباكستان إزاء الأعمال التي وقعت في الهند.. كذلك تكون دائما ردود فعل للظلم في أماكن أخرى. ويبرر الهندوس ما يقومون به في الهند بقولهم إن ما نفعله يحدث مثله في باكستان أيضا.. حيث ينادي بعض المشائخ المتطرفين الباكستانيين باسم الدين بفرض حكمهم على الآخرين. هذا ما يردده الحزب السياسي الهندوسي المسئول عن تلك الأحداث في الهند قائلين: إذا كان من حق المشائخ في باكستان أن يغتصبوا باسم الإسلام كل حق لمن يعدونهم غير مسلمين.. فلماذا لا يكون من حق الدين الهندوسي أن يسمح لنا باسم الهندوسية، وفي سبيل كرامة الهندوسية.. أن نغتصب الحقوق الأساسية لكل المسلمين؟ وفي إحدى المناسبات، على سبيل المثال، أعلن زعيم ذلك الحزب ناصحا المسلمين: إما أن يعيشوا في خضوع كامل لحكم الهندوس، أو يحملوا فراشهم ويغادروا البلد، لأنه، في نظر هذا الزعيم الهندوسي، لم يعد هناك مكان عندهم للمسلمين ولا للإسلام.

هذا الإعلان هو من نفس فصيلة الإعلانات التي يصدرها بعض المشائخ المتعصبين في باكستان بشأن المسلمين الأحمديين. ولكن هناك فرق كبير بين الإعلانين: ذلك أن الهندوس في الهند أصدروا إعلانهم هناك ضد المسلمين الذين بأنفسهم يعلنون أنهم مسلمون، ولم يعلنوا هذا ضد فرقة هندوسية طردوها بالإكراه عن الهندوسية. لقد أعلنوا صراحة: هذه هي مشاعرنا تجاه من ليسوا هندوسا، ولكن يبقى القرار في يد الإنسان ليحدد هل هو من الهندوس أم لا. ولكن الظلم الذي يرتكبونه في باكستان خطأ خطوة أبعد من مظالم الهندوس، فهم أولاً: أعلنوا

عن أولئك الذين وهبوا حياتهم للإسلام، والذين يتلون كلمة الشهادة الحقّة.. بوحداية الله تعالى، وصدق نبوة محمد المصطفى ﷺ.. أعلنوا عنهم أنهم غير مسلمين! ثانيا: سمحوا بأن ترتكب ضدّهم أشدّ صنوف المعاملة التي لا تحتمل ولا يرضى بها الإسلام. ولأنهم فعلوا ذلك بهم بعد أن أفتوا بخروجهم عن الإسلام، لذلك وجد غير المسلمين في ذلك حجة وعذرا لهم، فقالوا: مادام المشائخ المسلمون في باكستان يستخدمون اسم الإسلام، ليعاملوا من يعتبرونهم غير مسلمين بهذه الطريقة.. فلماذا لا يكون لنا نحن الهندوس غير المسلمين، الحق أن نعامل المسلمين بالمثل؟

الشيخ المتعصب هو المجرم

لماذا لم يتقوا الله عندما هدموا مساجد المسلمين الأحمديين في باكستان (والمقاطعات الأربع الباكستانية شاهدة على هذه الحقيقة، حيث هدموا بيوت عبادة الله الواحد الأحد، حيث يجتمع الناس خمس مرات في اليوم على محبة قوية حقة لله تعالى)، ولماذا لم يتقوا الله عندما حاولوا تخريب مساجد الأحمديين؟ لماذا لم يتقوا الله عندما قالوا إن صوت التوحيد الذي يرتفع من تلك البيوت يجرح مشاعرهم؟ لماذا لم يفكروا بأن قدر الله تعالى يعاقب الظالمين، ويريهم انعكاسات سوء فعالهم؟ إن كل نشاط تعيس يجري في الهند، وكل الفظائع المتطرفة التي ترتكب هناك ضد المسلمين.. قد وضع أساسه المشائخ في باكستان. إن "الشيخ" هو المجرم، وهو المسئول أمام الله تعالى. ولسوف يأتي في هذه الحياة الدنيا يوم ينزل بهم عقاب الله بسبب مظالمهم وتعدياتهم، ويوم القيامة يلقون الخزي والعار إلا من تاب منهم وأصلح. إن كل ما يجري في باكستان له أثره في العالم الخارجي، وما يحدث في العالم الخارجي له آثاره على كل جزء من العالم، وما يجري في عالم غير المسلمين له أثره في عالم الإسلام أيضا. إن العالم ليس جزرا بعضها معزولة عن بعض، بل التأثير يسري كالموج وينتقل من مكان إلى آخر، وللعُدوان دائما يسفر عن مزيد من العُدوان.

فإذا أردنا توطيد سلام العالم.. ووجب أن نعلن الجهاد ضد الظلم والعدوان، ونجاهد في سبيل العدل والسلام. يقول سيدنا المصطفى ﷺ: "انصرُ أخاك ظالماً أو مظلوماً." فلما سئل: كيف يا رسول الله، نصر أخانا الظالم؟ قال: تكفّ يده عن الظلم. فكل بلد مسلم أبدى رد فعل خاطئ، وقام بتلك الأفعال البغيضة باسم الإسلام.. فنهبوا المعابد الهندوسية أو هدموها. من واجبنا أن نكف أيديهم عن هذه المظالم، وهكذا نصر الظالمين. وكل بلد يُطحن فيه المسلمون في طاحونة الفظائع بأيدي الآخرين.. فمن الإسلام أيضا أن نساعدهم بقدر المستطاع. هذا ما أمرنا به سيدنا محمد المصطفى ﷺ. فعلى كل أحمدي أن يعد نفسه للجهاد في الجبهتين كليهما.

قائد عظيم

إن الاستجابة الصحيحة أولا، وقبل كل شيء، وفي مثل هذه المناسبة، أن تكون كل البلاد الإسلامية على استعداد لحماية كل دور العبادة لدى جميع الديانات، وأن يكونوا قد تعلموا الدرس من موقف رئيس الوزراء الهندي السابق، السيد "فشونات برتاب سنغ". إنه قائد عظيم، أصبح اليوم خارج السلطة، ولكن الحق يتطلب الإشادة بموقفه في مساندة الحق. ومن سوء طالع الهند أن تحرم من قيادة هذا الرجل العظيم، الذي كان من

الممكن لهند أن تسترد به كرامتها الضائعة؛ لأن القائد الذي يساند الحق وهو مستعد للتضحية بمصلحته الشخصية في سبيل الحق، لن يجد الشعب أفضل منه لقيادته.

لقد قام السيد "سنغ" بأمرين، تمكّن بهما في قلبي له احترام وحب عظيمان، ودعوت الله أن يقدر للعالم قادة يساندون الحق كما فعل سنغ. إنه أولاً، وقف وحده لحماية حقوق الملايين من طائفة المنبوذين المظلومين. وتحدى الخلاف مع زعماء حزبه ممن يمكن أن يهددوا استمرار حكمه، ليطبق القانون في أنحاء البلاد لرفع الظلم عن المنبوذين المضطهدين منذ آلاف السنين. وأمر بأن يحفظ لهم حق العمل والتوظيف في الحكومة بنسبة مقررّة بحسب عددهم. كانت هذه خطوة كبيرة أساسية في بلد حكمت الطائفية فيه لزمان طويل، ويقول لهم دينهم بأن للطوائف العليا حقوقاً، وليست للطوائف الدنيا حقوق. إنها خطوة تكشف عن عظمة رائعة لا تتوفر إلا في عدد قليل جداً من القادة في العالم.

ليس هذا فحسب، وإنما عندما هبت العاصفة في وجهه لهذه الخطوة ناضل بشجاعة وبسالة، ولم يبال بفقد منصبه أو بقاءه فيه.

وثانياً، لم يكف يتوقف هذا الضجيج والاضطراب حتى قام المتآمرون ضده بإثارة مشكلة المسجد البابري. فاستعد ملايين الهندوس للمسيرة نحو المسجد لهدمه وبناء معبد "رام" القديم، بصرف النظر عما إذا كان لهذا المعبد وجود أم لا. فمواجهته هذا التحدي يمثل هذه الشجاعة، وإقناعه غالبية الجيش الهندي بإطلاق النار على إخوانهم في الدين لو هاجموا المسجد موجةً إثر موجة.. حمايةً للمسجد وحرمة والقانون وقديسيته.. كل ذلك ليس أمراً عادياً مألوفاً. لا شك أن كثيراً من الهندوس قد قُتلوا في هذه المحاولات بيد الجيش الهندي، وضربوا بيد الشرطة، وجرح الكثير وسجن الكثير.. بل سجن زعيم الهندوس المتطرفين، الذي يملك سلطاناً قويا والذي شكّل السيد "سنغ" حكومته بالاتحاد معه. إن هذا القائد العظيم رغم علمه بأنه يقطع الفرع الذي يجلس عليه، ليس عن حماقة بل عن شجاعة ودعمًا للمبادئ، قد قَبِلَ أن يسقط من على كرسي السلطة، ويعرض مستقبله السياسي لخطر دائم.. دون مبالاة بذلك. إن أمثال هذا القائد.. الذين هم مستعدون للتضحية في سبيل العدالة.. تأمرنا تعاليم الإسلام أن نقرّ بعظمتهم ونعينهم أينما كانوا في العالم، فالله تعالى يقول: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾. والتعاون هنا ليس مقصوراً على دين بعينه، وإنما هو أمر بالتعاون والاتحاد في سبيل الخير والعدل وخشية الله تعالى.

سوف يخبرنا تاريخ الهند في مستقبل الأيام عن مدى انتفاع الهند من درس الأحداث، ومدى مقدرتهم على التمييز بين عدوهم وصديقهم.. ولكن على عالم الإسلام أن يكون ممتناً لهذا الرجل، وبدلاً من أن يجعلوا الهند هدفاً لانتقاداتهم بلا ضرورة، كان ينبغي على المسلمين أن يؤازروا العامل بالخير، ويعلنوا أن كل ما فعله المتطرفون الهندوس ظلم كبير لا نقبله، ولكن قادة الهند يقاتلون هذا الظلم، وهم رغم ضعفهم يقفون ببسالة ضده، ونحن على استعداد لمعاونتهم في كل مجال. هذا كان صوت العدل الذي هو صوت الإسلام. أما فيما يتعلق بالصخب والتهديد الأجوف فما خاف أحد منه؛ وإنما كان على كل بلاد الإسلام أن يجتمعوا ويرسلوا

إلى حكومة الهند رسالة قوية، يشيرون فيها إلى مصالحهم التي تتصل ببلاد الإسلام، ويخبرونهم أنه سوف يترتب على تحقق التهديدات المضادة لمسلمي الهند أضرار بمصالحهم. مع العلم أنه لا يتنافى مع مبدأ العدالة أن تُقاطع دولة مقاطعةً اقتصادية بسبب مسلكها العدواني. هناك وسائل متنوعة للعقاب، وهذا العقاب وسيلة لوقف العدوان. ومصالحهم قوية الصلة بالدول الإسلامية لدرجة أنه من دولة مسلمة صغيرة مثل الكويت اضطر مئات الألوف من الهنود العاملين فيها إلى التضحية بمصالحهم الاقتصادية، وأكروهوا على العودة إلى الهند. فإذا كان في الكويت مثل هذا العدد الكبير من الهنود فما بالك بحجم مصالح الهند في كل بلاد الإسلام! الموقف الاقتصادي الراهن في الهند لا يتحمل مثل هذه المخاطر الاقتصادية.

لو فعلوا ذلك لاضطرت الحكومة، أيًا كان انتماءها أو اسمها، للالتزام بالقيم الإسلامية الشرعية. أما تجاهل هذه القيم والوسائل الشرعية، والقيام بإحراق بعض المعابد.. فهذا يجلب المعرة وسوء السمعة للإسلام أكثر وأكثر، ويدل على أن الأمر سواء لو هدمت دار للعبادة هنا أو هناك، أو انتهكت حرمتها ودنست أم لا. وإذا كان الحال كذلك.. فماذا يهم هدم أو انتهاك حرمة مسجد؟ بدون الفكر الإسلامي، ونور التقوى.. لا يمكن اتخاذ قرار صحيح إزاء هذه الأخطار. فبدلاً من ردود الفعل المتسمة بالجهل والانفعال.. ينبغي على عالم الإسلام أن يبدوا ردود فعل صالحة، يملكون بها القوة وستكون ذات نفع وجدوى.. وبدلاً من تشويه سمعة الإسلام تكون وسيلة لتأكيد عظمته في العالم، ويجنون من ورائها بعض المصالح.

وفيما يتعلق بالحكومة الباكستانية الجديدة.. أبدى كثير من المسلمين الأحمديين القلق، ووصلتني رسائل تتحدث عن وصول بعض العناصر إلى قمة السلطة، وهي عناصر كانت معادية للأحمدية ولا تزال على عدائها. فهؤلاء القوم الذين يتعين عليهم القيام برحلات طويلة تنتظرهم.. إذا هم بدأوا يشعرون بالألم لمثل هذه الأمور الصغيرة، ويفقدون شجاعتهم.. فذلك لن يجديهم نفعاً في شيء. الحقيقة أنه عندما تولت الحكومة الجديدة أمور السلطة، ووضع سيف القوة في أيديهم، أعرب الأحمديون عن خوفهم من الأخطار القادمة من مختلف الاتجاهات. ولكن قادة الحكومة أعلنوا أنهم أناس يعتزون بالشرف والنبالة وليس هنالك ما يدعو للخوف من الشريف والنبيل؛ ومن الجانب الآخر وصل إلى أسماع الأحمديين صوت مختلف.. صوت المشائخ الذين يقولون: لا تنخدع بإعلان زعماء الحكومة.. فمهما كان الذين على قمة السلطة، فإن سيف الطغيان والظلم في أيدينا. إننا نملك سلّ هذا السيف وقتما نشاء.. على عنق من نشاء، وأنت ترى السيف في أيدينا. ويبدو أن الأحمديين سمعوا هذا الصوت فداخَلَ قلوبهم مخاوف شتى وعانوا من شكوك كثيرة، وهذا هو حالهم كما نراه اليوم.

أود أن أذكّرهم بأمر آخر يتعلق بنفس الموضوع، وفيه التعبير عن جوهر كل نصيحة أستطيع تقديمها لهم. في إحدى الغزوات أوى النبي الأكرم ﷺ إلى ظل شجرة على بعد من الجيش لينال قسطاً من الراحة. وتمكن أحد الأعداء من التسلل إلى موقعه، ووقف عند رأسه رافعاً سيفه. وانتبه النبي من غفوته على صوت الرجل يقول: يا محمد، مَنْ يعصمك الآن مني؟ في هذه اللحظة المباغتة، والعدو ممسك بسيفه والنبي ﷺ راقد.. لم يغير النبي ﷺ من وضعه وإنما رد على الرجل سؤاله في هدوء وسكينة واطمئنان قائلاً: الله. نعم، ربه هو الذي يمنعه ويصونه

ويحميه.

ما أعظمَ ذلك الردَّ! هناك إجابة واحدة قائمة إلى يوم الحساب، تقال في مواجهة كل الحن والابتلاءات، يقولها المؤمن كما قالها المصطفى ﷺ لذلك الطاغية، وسوف يقولها كل مؤمن ليردَّ على كل طاغية. وإذا لم يقلها.. فلا ضمان لسلامته.

أنظروا إلى الأيدي التي تمسك السيف، وتذكروا تحت أي سلطان وقدرة تعيش هذه الأيدي التي ترفع السيوف على رقابكم. إنهم يحسبون أن السيف ينزل أولاً، ولكن الله.. ربنا.. يعلم ويشهد أن صاعقة غضبه سوف تسبق سيفهم وتنزل وتضرب، وتلك الأيدي التي ترتفع اليوم لهدم الأحمدية سوف ترتد شلاءً عاجزاً، ولن تستطيع قوة في الأرض أن تردَّ قدر الله تعالى. لسوف يؤذونكم، ولسوف تقاسون الألم، هذا ما يقرره القرآن المجيد، ولكنكم لن تضاروا في أرواحكم وعاطفتكم، ولن تبرحوا صامدين ثابتين. وإذا ما بقيتم على صلّتكم بالله أبداً بالجواب الذي أجاب به المصطفى ﷺ.. بإخلاص تام، وثقة كاملة، وقلتم: يا عدوِّنا الذي ترفع سيفك، قد نجى الله عباده الصالحين من سيفك بالأمس، وحفظهم في كنفه، فقَسَمًا بقوة ربنا الحيِّ وعزّته أنه سوف يحمينا اليوم من كل هجماتكم وفضائلكم وشورركم!

فإذا كنتم تشعرون بالألم من ادعاءاتهم.. فإني تأملت أيضاً من ردود فعل أولئك الأحمديين الذين ظنوا بأن السيف الذي في يد الأعداء سوف يقطع رقبة الأحمدية، لا سمح الله! أحلف بالله العظيم أن ذلك لن يحدث أبداً. إن عدوان الأعداء كان دائماً وأبداً يؤدي إلى تقدم الأحمدية، ويفتح لها سبلاً جديدة للازدهار. وفي زمن الابتلاءات الماضية.. في حكم ضياء الحق العسكري لمدة أحد عشر عاماً، كانت كل لحظة منها كحبة ترحف على صدره، ولكنه لم يستطع أن يوقف موكب تقدم الأحمدية في العالم. وفي نهاية المطاف.. خرج من الدنيا بالمدلة والعار، وباء بالخسران المبين. فما الذي تخشونه لو انتقل السيف إلى يد أخرى؟ حافظوا على إيمانكم وإخلاصكم وثباتكم. ثَقُوا بالله ربكم. كونوا على يقين متين من قوله جل وعلا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي﴾.

٩ نوفمبر ١٩٩٠

العصبية والأنانية..

أعظم خطر على السلام العالمي

إن أعظم الأخطار التي يتعرض لها العالم اليوم ناجمة عن العصبية والأنانية اللتين تسيطران لسوء الحظ على عقول الغالبية من السياسيين. لقد اعتاد السياسيون، سواء أكانوا من الشرق أو من الغرب، من البيض أو السود، أن يربطوا أساليبهم الماكرة بالسياسة، بحيث يستحيل أن تتماشى السياسة مع القيم الأخلاقية. والإسلام وحده هو الذي تخلو سياسته من الحركات الخادعة، وهذا ما يسمى السياسة الإسلامية الحقبة. فالقول بأن الإسلام عقيدتنا، ثم فصل السياسة عن القيم الإسلامية السياسية أمر خطأ.

وفي الوقت الحاضر لا نشهد أي نظام للسياسة الإسلامية في أي مكان من العالم، بل ولا في الحكومات الإسلامية. وكل السياسيين حيثما كانوا لهم نفس الأسلوب السياسي الذي تسيطر عليه الأنانية. إن العصبية، وليست المبادئ، هي التي تحكم السياسة. وهكذا فإن أشد المخاطر التي يواجهها العالم تأتي من التعصب والأنانية.

فكرة الجهال

عندما بدأت هذه المرحلة الثورية الجديدة للسلام بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا.. تطلع ساسة العالم إلى المستقبل بأمل عظيم، وقالوا: ها قد بدأت مرحلة جديدة من السلام العالمي. ولكن هذه الفكرة ليست إلا من قبيل الجهل. هناك بعض المزايا لهذه التغيرات الثورية، ولكن لها بعض المضار أيضا. ومن أشد هذه الأضرار أن أنواع العصبية التي كانت مخبوءة بسبب الانقسام الأيديولوجي بين الشرق والغرب.. انكشف الغطاء عنها الآن، ويزداد انكشافا يوما بعد يوم، وهي بصدد خلق الكثير من أنواع الخطر في شتى المناطق. فعندما كان العالم منقسما إلى كتلتين، والأخطار العظمى تواجههم، كانوا يتجاهلون الأخطار الصغيرة أو يكتبونها تحت ظلال الأخطار الكبرى، كما هو الحال بالنسبة للأمراض؛ فعندما يعاني المرء من مرض خطير فإنه لا يشعر بالأمراض البسيطة، بل يتوجه انتباه الجسم كله ناحية المرض الكبير. والأخطار التي شبت اليوم في وجه البشرية تنشر انتشاراً واسعاً بشكل مرعب، وستمضي في اتساعها ما دمنا لا نحللها بعمق، ولا نشرع في الجهاد ضدها من اليوم. وإلى أن يتحقق ذلك، ليس من الصواب الظن بأننا ندخل عصر السلام، وإنما يشبه هذا الظن القفز في النار معصوبي العين. وأود أن أضع بين أيديكم بعض الأمثلة كي تنقلها الجماعة الإسلامية الأحمدية، حيثما كانوا إلى أهل الفكر في بلادهم، ويسعوا بقدر المستطاع لإقناعهم كي يضعوا ضغوطهم الفكرية، ويرفعوا أصواتهم ضد هذه الأخطار في بلادهم، ويزودوا الرأي العام بنور المعرفة، ويعرفوهم بشتى الأخطار التي يتعرض لها عالم اليوم.. التي إذا لم يتنبهوا لها اليوم فسيكون الوقت قد فات غداً.

الغرب يزيف الحقائق

في قضية العراق والكويت.. قد يبدو أن الذي خرج إلى النور ووضح تماما هو اتحاد العالم في مواجهة العدوان، وأن ذلك ثمرة السلام أو التقارب بين الكتلتين: الاتحاد السوفيتي وأمريكا، وأن العالم يقف الآن متنبهاً

إلى الأخطار، وأنه كلما تهدد سلام العالم فلسوف تتحد كل البلاد لمواجهة الخطر. كلا، هذا غير صحيح. وسأضع أمامكم أمثلة لأخطار هي أشد فظاعة من الموقف في العراق، ولكنهم يغمضون أعينهم عنها، ولقد أغمضوها منذ زمن طويل، ولسوف يستمرون في إغماضها في المستقبل أيضاً.. إلى أن توجه مصالح بعض الأمم أنظارها إلى تلك الأخطار. هناك أنواع من هذه الأخطار كالتعصب القومي والعنصرية والفوارق اللغوية والخلافات الدينية والمنازعات التاريخية وغيرها الكثير. ولو وضعنا هذه الأخطار أمامنا لأصبنا بالدهشة بسبب ضخامة وخطورة تلك الموارد البركانية المتفجرة المدفونة في أماكن شتى من العالم، والتي يمكن أن تثار في أية لحظة.

الأقليات الهندية هدف العنصرية

أضع أمامكم بعض الأمثلة منها. أمامكم المخاطر الدينية والسياسية في الهند. أمة السيخ هناك اتخذوا لهم كياناً منفصلاً، وطالبوا بالاستقلال عن الأمم الأخرى. وهذا المطلب قريب الشبه من موضوع إقامة دولة باكستان، لأنه ليس مطلباً سياسياً محضاً، وإنما هو ديني سياسي في وقت واحد، وفي مواجهة ذلك قامت ضده تحيزات لكتبته. وفي هذا النزاع لم يطالب أي طرف بالجلوس سوياً لحسم الخلاف في الرأي طبقاً لقواعد العدل، ليصلوا إلى تسوية للأمر بالكياسة والعدل، وإذا كان السيخ يتعرضوا لخطر ما فينبغي إزالته. ولكن الصوت يرتفع من الجانبين ضد الطرف الآخر. السيخ يقولون: إن حياتنا مع الهند خطر يدمر ديننا وشخصيتنا القومية. والهندوس يقولون: لو أننا قبلنا بهذا المطلب فلن تزال الهند تتمزق إرباً إرباً بلا انقطاع. وكلا الصوتين له وزنه. ولكن كما قلت.. إن السبب النهائي هو الأناية والتعصب من الجانبين.

الحق أن التحيزات قد لعبت دوراً كبيراً في تعامل الهند مع الأقليات منذ التقسيم. يمثل الهندوس الأغلبية الكبرى في الهند، ومع أن الدولة ليست مؤسسة على أساس من الدين، ولكن الهندوس اتخذوا لأنفسهم الطابع القومي. وبسبب كثرتهم العددية لا يشاركون أحد في سلطتهم؛ وبقيت سلطة القرار في يدهم. ومع أنهم ماضون في دعوى أن حكومة الهند علمانية.. ولكن الواقع يبقى واقعاً، بل لا تقع السلطات في يد كل الهندوس.. وإنما في يد طائفة واحدة منهم، هم البراهمة، أعلى طوائفهم درجة. هذه هي التحيزات التي ولدت مزيداً من النزاعات. كانت السياسة هي التي تعمل أساساً، ولكن التعصب مدفونة تحت هذا الأساس، ولذلك كان من المحتم أن يكون الهيكل القائم على العصبية مُعوجاً. فكثير من الأخطار التي نراها اليوم في الهند سببها المبدئي هو التعصب والميل إلى اتخاذ قرارات أنانية تتجاهل مبادئ العدالة. وبوسعكم مثلاً رؤية التمييز الذي نشأ بين المسلمين والهندوس وأحدث صدعاً عميقاً.. مرجعه في نظر الهندوس هو تعصب المسلمين، وسببه في رأي المسلمين هو تعصب الهندوس.

وبالمثل، تفعل التعصبات فعلها خلف الأخطار الناشئة عن الفوارق اللغوية أيضاً. فهناك شعور بالحرمان يتنامى لدى أهل جنوب الهند الذين يرون أن الأجناس التي تقطن الشمال وتكلم الهندية أو السنسكريتية.. هم الذين يحكمون الهند بأجمعها؛ وهم لا يتعاملون مع الأقوام الذين يتكلمون ١٥٠٠ لغة أخرى في الهند. وهكذا تجدون

العصبية والأناية وراء كل أنواع النزعات في الهند. هناك نزاعات لغوية في ناحية، ونزاعات دينية في ناحية ثانية، ونزاعات قومية في ثالثة، وخلافات عرقية وطائفية في رابعة. منذ آلاف السنين لم تنزل الطوائف الدنيا من الهندوس هدفا للاضطهاد من الطائفة العليا. يسحقهم طاحون الاعتداءات، ولم يكن لهم قسط من الاحترام الآدمي. لقد كانت معاملة ظالمة للغاية. ولست أشير هنا إلى المعاملة المادية، ولكن كان هناك تفرقة نفسية وفكرية، بحيث لم يكن لتلك الطوائف الدنيا أي كرامة إنسانية. وكان السبب وراء انهيار حكومة السيد "ف.ب.سنغ" التي أقيمت مؤخرا أنه رفع صوته ضد هذه التحيزات، ورفع راية العدالة. ومع أنه من طائفة (راجبوت) العليا، فقد ابتداء حركة عظيمة لاستعادة حقوق الطوائف الدنيا، كما عمل على حماية مقدسات الدين الإسلامي. فالجرب التي بدأت في الهند سوف تتخذ مسميات شتى، ولكن الواقع هو انعدام العدالة وشدة التعصب. وهي الحقيقة الأساسية التي تطل برأسها وراء كل خطر يتهدد الهند، وهي أخطار تزداد يوما بعد يوم.

التعصب في بريطانيا

وفي بلد مثل بريطانيا.. التي تُعد من بين أكثر البلاد تقدما في العالم.. ما برحت التعصبات فعالة فيها، ولم تستطع سياستها التخلص من العصبية حتى اليوم. هناك تعصب ديني في أيرلندا مختلط بالسياسة ويلونها بلونه. ومع أن البلد قد انتهى فيما يبدو من الممارسات الاستعمارية التاريخية العتيقة إلا أنها لا تزال تطبق؛ ومع أن الحكم البريطاني قد انكمش حتى بات محصورا في أراضيها إلا أن سيطرتهم التجارية ونفوذهم السياسي لا يزالان ماضيين في كثير من بقاع العالم. عندهم شعور بأن لهم حق التحكم في تلك البلاد اقتصاديا وجغرافيا، وحق السيطرة على علاقاتهم مع سائر بلاد العالم، وأن تكون لهم الكلمة العليا الفاصلة في سياستهم الخارجية. ومن حيث الظاهر لا تجد صلة بينهم، ولكن البلاد المتقدمة ترغب في وضع البلاد الصغيرة تحت سلطتهم من ناحية تشكيل السياسة الخارجية الأساسية. وهذه البلاد الصغيرة تدرك أن سياستهم غير حرة، وعندما تحاول التعديل وتجاوز الحدود التي وضعتها الدول الكبرى لسياستهم الخارجية، أو إذا ما حاولت إقامة علاقات خارج هذه الحدود.. فهنا يكون الاعتراض. ولن تعدم الدول الكبرى ذريعة للتدخل في سياستهم، ولن تسمح لهم بالمضي فيها.

وهكذا ترون أن بريطانيا أيضا تعاني من العصبية. وقد أطلقت عصبيتهم العنان لشتى أنواع الفطائع في العالم.

فترة مصيرية للأتراك

أما التعصب العرقية، فنجد صنوفا كثيرة من المخاطر في الاتحاد السوفييتي مثلا. ومن هذه الوجهة نرى أمة الأتراك تمر اليوم بفترة تاريخية، إذا تنمو فيهم أنواع جديدة من الأفكار والآمال. والواقع أنه خلال السنوات القادمة سوف تخطو هذه الأمة خطوات يمكن أن تؤدي إلى تغيرات عالمية كبيرة، وقد تؤثر على السلام العالمي. قلت في خطبة قريبة أن أكثر الترك يعيشون خارج تركيا، وأكثر من نصف هؤلاء يعيشون في الاتحاد السوفييتي. وعدد الأتراك في تركيا يبلغ ٤٤ مليوناً، وفي الاتحاد السوفييتي ٤٢ مليوناً، وفي الصين ٧ ملايين. فعدد الأتراك

الذين يعيشون في تلك البلاد الشيوعية يزيد على الأتراك في تركيا. وهم اليوم لا يفضلون البلاد التي يعيشون فيها، وإنما يميلون إلى تركيا، وتركيا تميل إليهم. وقد بدأوا يفيقون. عندما كنت في زيارتي القريبة إلى أسبانيا والبرتغال، رغب سفيرا بلغاريا بالبلدين في مقابلي. وعلمت خلال حديثي معهما أنهم يخشون الخطر من جانب تركيا. وعندما تعمقنا أكثر أدركت أن سبب تخوفهم من تركيا أنهم في بلغاريا قد ارتكبوا بعض التجاوزات ضد الأتراك. والآن بعد أن زال عنهم غطاء الحماية الروسية فإنهم يخشون انتقام الأتراك وثأرهم التاريخي منهم لو أنهم تركوا تحت رحمتهم. كنت لا أعرف الكثير عن الموقف وقتئذ، وإنما لما عدت من رحلتي بحثت الموضوع على نطاق أوسع، وفهمت السبب وراء قلق بلغاريا. ففي العام الماضي (١٩٨٩) وصلت اعتداءات البلغار على الأتراك المقيمين فيها حدا اضطر معه ٣٠٠ ألف تركي إلى مغادرة بلغاريا واتخذوا من تركيا منفى لهم.

فالتعصبات القومية موجودة، بل وتزداد يوما بعد يوم بسبب التغيرات الثورية في الاتحاد السوفييتي. إنه لجاهل أشد الجهل ذلك الذي يقول بأن العالم قد دخل في فترة سلام، وأن مخاطر الحرب قد اختفت. فالواقع أن الأخطار المكتوبة بدأت ترفع رأسها اليوم. هناك في الولايات السوفييتية عداوات قديمة بين الأرمن والترك، وبين الأرمن والأذربيجان. ثم هناك أيضا تفرقة فيما بين الأتراك الذين يعيشون داخل روسيا؛ فالترك الأذربك يطالبون بكيان منفصل عن الباقين، ويخشون الانضمام مع سائر الترك حتى لا يفقدوا ذاتيتهم ويُغلبوا على أمرهم. وكان هناك نزاعات وحروب بين أوزبكستان والولايات التركية المجاورة، ولا تزال مستمرة منذ وقت طويل.

أفريقيا ضحية مظالم الغرب

وفيما يتعلق بالتمييز العرقي تعالوا نلق نظرة على أفريقيا. الواقع أن المنازعات والأخطار الموجودة فيها تعود كما قلت في خطبة سابقة.. إلى الحكم الغربي السابق في أفريقيا، حيث ارتكبوا ألوان المظالم، وفرقوا بين الأمم، بل وقطعوا الأمم التي تتحدث لغة واحدة. قسّموا القبائل كي يزيدوا الفرقة بدلا من إخمادها. وفي الوضع الحالي هناك مخاطر بين شعوب كانت في حماية السوفييت والأمريكان، وكانت بينهم نزاعات. والآن لن تستمر الحماية، ولسوف تطفو النزاعات إلى السطح.. مثلما حدث في ليبيريا. كانت الدول الغربية تراقب الأحوال في ليبيريا ويسيطرون إلى حد ما على الخلافات القومية، ولكن عندما زال التوتر بين الدولتين العظميين بدأت هذه المخاطر تبرز فجأة وتعود إلى العمل مرة أخرى.

والآن ترتفع أصوات في أفريقيا باسم الديمقراطية، وتحاول إدخال نظام الأحزاب المتعددة. ومن وجهة النظر السياسية تتعرض أفريقيا لمخاطر كثيرة. وأعني بوجهة النظر السياسية: أي نوع من النظام السياسي ينبغي أن يقوم هناك؟ فمن الناحية السياسية والقومية والدينية والخلافات على الحدود هم يواجهون أخطارا كثيرة. والمشكلة أنه حتى الآن لم يبدأوا في بذل مساعٍ جماعية لإزالة هذه الأخطار.

الغام مدفونة

من كل هذا يمكنكم تقدير صدق قولهم بأنهم قد وحدوا العالم كله، وأطلعوه على خطر العراق، وأن ما فعلوه إنجاز رائع لحماية السلام العالمي. فكل هذه أقوال زائفة ودعاوي باطلة لا صدق فيها. وكل هذه الأخطار التي

ذكرتها لكم ليست سوى أمثلة معدودة، وإلا فهي تفوق الحصر، وهي كالألغام المدفونة تحت الأرض في أماكن شتى؛ بعضها يصدر فحيحاً ويوشك على الانفجار، وبعضها ساكن وسوف ينفجر بعد وقت ما. أما الانقسامات القائمة على الفوارق القومية والدينية واللغوية فهي مستعدة للعمل جهاراً نهاراً. وسأروي لكم أمثلة قليلة أخرى.

إن العداوات القديمة بين الشعبين التركي واليوناني قد تم كبتها بسبب اشتراك البلدين في منظمة حلف شمال الأطلسي. فاليونان دولة أوروبية، وتعتبر تركيا أيضاً بلداً أوروبياً. ولأتهما عضوان في المنظمة فكان من صالحهما، في ظل التهديد الروسي، ألا يسمحوا بنشوب حرب بينهما. لم ينته هذا الخطر بعد، بل لا يزال موجوداً، ولكنهم تجاهلوه بسبب المصالح الوقتية. كما هناك في سريلانكا نزاعات خطيرة بسبب الفوارق اللغوية والقومية.

الحلم اليهودي لسيادة العالم

وبالنسبة لموضوع التمييز العنصري فالعالم كله لا يزال يخشى خطر اليهود كما كان يخشاه منذ آلاف السنين. والأمة اليهودية تتصدر فيما يبدو صفوف الداعين للقضاء على نعمة التفوق العنصري، ويقومون بدعاية كبرى في العالم للقضاء على التفرقة العنصرية وإزالة التعصب العرقي؛ وهم إنما يفعلون ذلك مخافة أن تقوم أمة ما وتسلط نقيمتها على اليهود. ولكن الحقيقة أن عقيدة اليهود عن تفوق الأمة اليهودية على سائر أمم العالم لا تقل أبداً عن المفهوم النازي عن التعصب العرقي. لقد درست آدابهم المعاصرة، بل وتراثهم التاريخي من عهد سيدنا داود عليه السلام، ووجدت في مادتهم الأدبية كما لو أن أمة اليهود خلقت للسيادة على العالم واستعباد الخلق! ولا يمكن للسلام أن يستقر ما لم يدخل العالم كله تحت الحكم اليهودي. إنهم أيضاً يتحدثون عن السلام، ولكن السلام في عيونهم هو ما يراه العالم طغياناً واستبداداً.

العنصرية في أمريكا

ثم لا تزال العنصرية تفعل فعلها في أمريكا. ومع أن القانون يقضي بمنح الحقوق للزواج، ولكن هذا القانون لم يقض على التفرقة العنصرية. فالتمييز العنصري له قوانينه الفعالة والمسيطرة على سائر القوانين. والظن بأن السود في أمريكا اليوم متساوون مع البيض هو الجنون بعينه. ليس لهم مساواة من أي وجه، وإنما دُفعوا بكل سبيل إلى الورا، وكُتبتوا حتى ترسخت فيهم مشاعر الكراهية. عندما زرت أمريكا قال لي بض الناس: إن جماعتك تنتشر هنا ببطء شديد.. في حين أن جماعات إسلامية أخرى تكسب انتشاراً أوسع بين السود.. فلماذا لا تنتهجون وسائل مشابهة لهم؟ قلت لهم: لقد جئت هنا لأحارب هذه الوسائل.. وسائل استثارة المشاعر المكبوتة باسم الدين وتحويل الشرر إلى هيب مشتعل، لأن هذا يلائم مزاجهم. ولو أن الجماعة الإسلامية الأحمدية شرعت تعلمهم البغضاء، وتعزف على وتر مركبات النقص فيهم، وسعت لتحويل الجمر إلى هيب متأجج.. لتفوقت بحسن تنظيمها على جميع الفرق، ولفازت بسود أمريكا جميعاً في خلال عقدين من الزمان. ولكننا لا نريد نصراً عددياً، ولا يهمننا الفوز الكمي.. الذي يجعل أمة تُبغض أمة أخرى، ويحول السلام إلى نار

الحرب. إن مفاهيم الأحمديّة للانتصار مختلفة تماماً عن هذا. إننا إذا لم نفز اليوم فسوف نفوز بعد قرنين أو أربعة قرون أو بعد ألف سنة.. ولكننا سنحصل على ذلك النصر الذي هو نصر محمد رسول الله ﷺ، نصر أخلاقياته، نصر تعاليمه، نصر القرآن المجيد. هذا هو النصر الذي له قيمة واحترام في قلوبنا. وكل نصر آخر هو نصر الظلم والقسوة، وهو نصر القوى الشيطانية.. فلا رغبة لنا فيه؛ بل الأحرى أننا نُخلقنا للصدام به والقضاء عليه.

مظالم الغرب على الهنود الحمر

فالتعصب الجنسي موجود في أمريكا، شمالها وجنوبها. إن الهنود الحمر في الشمال قد أُبيدوا عملياً من فوق الأرض، ولكنهم لا يزالون موجودين بأعداد كبيرة في أمريكا الجنوبية، ويمثّلون في بلاد كثيرة أغلبيةً عددية مقارنة بالمواطنين اللاتين. ولكنهم يُضطهدون ويحرمون من حقوقهم حتى صاروا يزدادون ميلاً إلى العنف كل يوم، وتنمو فيهم الحركات الرامية إلى الانتقام. لسوف تقع الانفجارات غداً إن لم تقع اليوم جراء هذه الميول المتفجرة، وسوف تنفجر القنابل في أماكن شتى، وتقضي على أرواح المواطنين البريئة، وسوف يتعكر صفو الأمن. وما دمتَ تقف خارجاً مع المتفجرين، ولم تلتفت إلى الأسباب التي تنمي تلك الميول.. فمهما تدين الأفعال وتشجبها بالكلام على نطاق واسع، فلن يكون بوسعك حل هذه المشاكل.

يوغوسلافيا

ودولة يوغوسلافيا التي تتكون من ست جمهوريات فيدرالية، تستشعر كل جمهورية منها بالقلق من الأخرى، وتسعى لتناهى بنفسها عن الأخرى. اثنتان منها مستقلتان، وتتبعان العقيدة الكاثوليكية. وعلى الرغم من الحكم الشيوعي الطويل إلا أن الكاثوليكية لا تزال تتمتع بنفوذ كبير حتى اليوم.. أعني أنهما متواجدة كقوة سياسية، ولا ندرى إلى أي مدى تتواجد بينهم كعقيدة دينية. وجمهورية سلوفينيا وكرواتيا هما الأغني والأكبر بين الجمهوريات، وأصبح من الجلي تماماً ميلهما للانفصال عن الحكومة المركزية. ويوجد في الجنوب مقاطعة مسلمة في صربيا، ومقاطعة أخرى هي كوسوفو. وفي كل منطقة تتحدث الألبانية تجد الغالبية مسلمين. في هذه المناطق تضافر الدين والقومية والاضطهاد القديم الذي قاسوا منه، في إثارتهم للمطالبة بالاستقلال، وقد بدأ تفيها حركات استقلالية. وتتوجس الحكومة المركزية اليوغوسلافية الخطر من جانب المناطق الإسلامية، وتضع عليها يوماً بعد يوم مزيداً من القيود حتى أصبحت زيارة الأجانب لهذه الأماكن أشد صعوبة. أما الأماكن الأخرى ففيها حرية نسبية. ولقد أرسلنا مؤخراً إلى هناك وفدًا ليشارك في معرض للكتب، وأخبرنا الوفد أنهم لم يتمكنوا من الذهاب إلى المناطق المسلمة، وتمكنوا فقط من الاتصال ببعض المسلمين الذين يعيشون في مناطق أخرى. والسبب أنهم يضعون قيوداً شديدة على المناطق المسلمة.

أسبانيا

وفي أسبانيا هناك تفرقة عنصرية بسبب نزاعات على الحدود فيما بين المناطق، ونتيجة لها تقع حوادث الانفجارات منذ زمن طويل. وقد صارت هذه النزاعات كجرح متقيح لا يتوقف نزيفه كما هو الحال في أيرلندا.

التبّت

ثم هناك نزاعات على الحدود بين الدول، ونزاعات أخرى حصلت جراء احتلال أمم للأمم أخرى وابتلاعها نهائياً. وحتى لو لم نلمس النزاعات القديمة تاريخياً واكتفينا بالأحداث قريبة العهد نجد أن سلام العالم مهدد بمخاطر شديدة من جراء هذه النزاعات. فمثلاً هناك احتلال الصين للتبت. لقد احتلت الصين بلاد التبت بالقوة. ولطالما صاحت الهند وسعت لطرده الصين من هناك. ولكن الصين القوية لم تدع أية محاولة هندية تنجح بهذا الصدد. ولو صح ما يذاع من الصور في التلفزيون هنا، ولم تكن من قبيل الدعاية فحسب.. فهذا يعني أن الصين ترتكب كثيراً من الفضائح ضد أمة التبت.

والآن نتساءل: لماذا لم يقارنوا بين احتلال العراق للكويت وبين احتلال الصين للتبت.. خاصة وأن هناك فروقاً قومية وعنصرية ودينية وفروقاً أخرى كثيرة تجاهلها وسحقوا أمة التبت هناك. أما في حال العراق والكويت فأمة إسلامية احتلت دولة مجاورة على أساس أنه لا فرق بينهما من الناحية العملية.. فكلاهما عرب، وكلاهما مسلم، وفي التاريخ القريب كانت الكويت جزءاً من العراق اقتطعته حكومة الاحتلال البريطانية وفصلتهما عن بعض. أنا لا أنصح أبداً بنش القبور التاريخية، ولكني أبين أن هذا الاتحاد للقوى العالمية بحجة معارضة احتلال الكويت ليس مبنياً على البر والتقوى ومبادئ العدل. عندما تحتل إسرائيل الضفة الغربية لنهر الأردن لا يعبر أحد منهم أي انتباه لذلك، ولا يفكر أحد في أن ذلك يعرض سلام العالم لأشد المخاطر.

قنابل مدفونة

إنها الأناثية التي تحكم عالم اليوم، وهي التي تخلق الأخطار. تميل الأمم الكبرى إلى كبت كثير من هذه المخاطر دون علاج كي تستخدمها من أجل مصالحها السياسية، وتستمتع بها سلاحاً في يدها. لو أساء الزعيم الفلاني تصرفه، أو لو غيرت الأمة الفلانية سلوكها معنا، فإننا في أترنا الخطر الفلاني المكبوت عندهم، وأيقظنا البراكين المدفونة لتتفجر وتلقنهم درساً حول عواقب الاختلاف معنا.

لقد لاحظتم أنه عندما تعاملت إيران مع أمريكا بشدة، واحتلت السفارة الأمريكية لديها واحتجزت هيئة العاملين بها.. لم تؤيد الجماعة الإسلامية الأحمدية المؤسسة على العدل ذلك الموقف الإيراني ولا مرة واحدة أبداً. ذلك أن الحرمة التي أقامها مولانا محمد المصطفى ﷺ للسفراء، والتعاليم الرائعة التي قررها بالنسبة لهم.. لا يجوز لأي حكومة تجاهلها. لذلك لم تؤيدهم أبداً. ولكن من الخطأ الظن بأنه كان عدواناً من جانب واحد؛ فما برحت أمريكا عن طريق شاه إيران تطلق العنان للفضائح ضد شعب إيران، وجعلت منهم هدفاً للقسوة والمظالم حتى أثمرت هذه المعاملة القاسية نوعاً من الاضطراب في توازنهم الفكري. وعندما يستثار حماس الانتقام.. لا يمكن لأحد أن يمشي بفكر متزن إلى الطريق الصحيح. إن الانتقام عندئذ لا يرى ما هو التصرف المتزن، بل يثور كالطوفان؛ ولا يمكن للطوفان أن يبقى محصوراً بين ضفتي النهر. إن الطوفان يعني فيضان الماء فوق الضفاف. وهكذا تفيض عاطفة الانتقام فوق الحدود، ويقع نتيجة لها ما شهدتم من تجاوزات.

ثم جاء انتقام الغرب من إيران مستخدمين العراق. استخدموه بناء على وجود نزاع تاريخي على الحدود بين

البلدين، إذ لم يتفقا على أين تنتهي حدود إيران وأين تبدأ حدود العراق. كانت هذه الخلافات محفوظة في ذهن هذه البلاد المتقدمة الذكية، فاستغلّوها في هذه المناسبة، وشجّعوا العراق ووعدوه بالمساعدة. وعندما قلت في كتابي "القتل باسم الدين" إن الحكومة السعودية ساعدت العراق في ذلك، وأنها التي حرّضته.. تساءل بعض الناس: ما دليلك على هذا؟ لعلها تخمينات من لدنك؟ الآن أصبح الدليل واضحاً كالشمس. الآن تعلن السعودية على دقات الطبول أن العراق بلد ناكر للجميل.. لقد أعطيناهم القوة للقتال، ونحن الذين ساندناهم ضد عدونا، ولكنهم الآن يرموننا بنظرات العدا.

أقول: إن الأخطار مكبوتة في أماكن شتى بمختلف أنواعها، والنزاع في كشمير واحد منها. هذه الأمم الكبرى تعرف وترى هذه الأخطار المكبوتة. وكما أنهم يرسمون الخرائط التي تبين مواضع المعادن في باطن الأرض.. كذلك يرسمون الخرائط السياسية. إن هذه الأمم المتقدمة الذكية.. لديهم خرائط رسمية لهذه الأخطار، ويعرفون متى يثيرون خطراً كذا، وأي القنابل يفجّرون. وتبقى هذه الأهداف في أذهانهم محفوظة لمؤامرات الانتقام في المستقبل، وتظهر على السطح عندما تدفعهم بعض مصالحهم الأنانية لاستغلالها. ومن دون ذلك تبقى في أذهانهم جزءاً من الدبلوماسية الغربية.

والجانب المحزن أن البلاد الإسلامية قد تورطت في هذه السياسة نفسها. وأن البلاد الهندية أيضاً وقعت في نفس الفخ، وأن البلاد البوذية كذلك انغمست في السياسة عينها. وهكذا فإن السياسة الظالمة القائمة على الأنانية وعدم العدالة قد سيطرت على العالم بأجمعه اليوم. وما لم يُقَضَّ على تلك الميول لا يمكن للعالم أن يدخل في عصر السلام، ولن تبرح ظلال الحرب جاثمة على العالم. أو بالأحرى، بعد أن وصل الاتحاد السوفييتي إلى اتفاق مع الولايات المتحدة، فإن الأخطار الصغرى ستشبّ بقوة أعظم، وستكون كالبراكين النشطة التي لا يستطيع العالم أن يمنعها من قذف الحمم.. لأن مصالح بعض القوى الكبرى الأخرى تكمن في استمرار حدوث شيء من الاستفزاز في مكان أو آخر. وكما يقول غالب، شاعر الأردن ما تعريه:

استمرّ في استشارة الجميلات.. فإن لم تحظْ بلقاء..

فليكن على الأقل.. يا غالب.. شوق بلا إشباع.

فلك الأمم الكبرى، التي لم تكن بينها محبة، لم تتوقف قط عن استفزاز بعضها بعضاً. والآن، بعد أن دخلوا في السلام فيما بينهم، أصبحت الأمم الصغرى بمثابة الجميلات بالنسبة لهم؛ إنهم لا يستطيعون لقاءهن، وإنما يبقى شوقهم للتطفل عليهن والتدخل في شؤونهن. وموضوع هذا البيت من الشعر لا ينطبق على الموقف تمام الانطباق.. لذلك لا بد من تعديله قليلاً كي يتفق والحال. فعندما تثار مشاعر الشوق بين المحب والمحبوب، تكون المعاناة دائماً من نصيب المحب.. لأن المحبوب هو الأقوى والمحب هو الأضعف. المحبوب يملك دائماً سلطاناً على المحب. وتخبرنا كلمات الشعر أن المحبوب ينبغي أن يسيطر على المحب المشبوب بالعاطفة. والموضوع هنا ليس من أثر المحبة الشديدة والمحب الولهان.. ولكنه موضوع السلطان والخضوع، موضوع القوة والضعف. لذلك فإذا كان هنا استشارة للجميلات.. فلسوف يكون الندم من نصيب الضعفاء. سوف يكون هناك ندم

كثير من نصيب الأمم الصغيرة الفقيرة. وهؤلاء الناس لن يتوقفوا عن استفزازها.

فواجب الجماعة الإسلامية الأحمدية إذن أن تعرّف ساسة العالم بتعاليم سيدنا محمد المصطفى ﷺ. على المسلمين الأحمديين أن يبدؤوا الجهاد في كل بلد يعيشون فيه لإخبار الجميع بأن تحليلاتنا النهائية تنبئ أن الظلم والأناية هما أساس كل مخاوفكم. ادخلوا في أي اتفاقيات شئتم، وارسموا من الخرائط ما يحلو لكم.. ولكن ما دمتم لا تلتفتون إلى العدالة الإسلامية، ولا تعوذون بأخلاقيات المصطفى ﷺ.. الذي بُعث رحمةً للعالمين.. لن تنالوا سلاماً. إن تعاليمه وحدها هي القادرة على منح السلام لبني البشر.. وكل ما عدا ذلك أو هام وأباطيل، وشرور سياسية، ومكائد دبلوماسية.. عارية عن الحقيقة.

هُبُوا لمحاربة العنصرية

ولإرساء دعائم السلام العالمي.. إنما هي الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدها التي عليها أن تضع أساس الجهاد العالمي في مساراته الصحيحة. ولذلك أود أن أذكركم جميعاً بالشروع في الجهاد ضد التعصب في أنحاء العالم، ليزول الطغيان والظلم من الدنيا. يجب أن تشرعوا في الجهاد لدفع السياسة نحو العدالة. ولئن تم ذلك فسوف يحدث تغير ثوري في تفكير "الأمم المتحدة"، وسوف يؤلفون لجائناً كثيرة للتفكير في صنوف المخاطر التي ذكرتها لكم، ويبدأون العمل على إزالتها جميعاً. وسيجدون في أنحاء العالم قضاة شرفاء محايدين ممن تقاعدوا، لا يرتاب في حيادهم ونزاهتهم أحد. هناك على سبيل المثال القاضي الكندي المعروف بعدالته "دوشين" (J. Dechene). وهناك في باكستان القاضي الزرادشتي "دراب بتيل" الذي استقال من منصبه لأنه رأى تصرفات منافية للعدالة بعد الانقلاب العسكري. وهو من وجهة نظر العدالة في مقام التقوى. وكلمة التقوى لها معنى واسع، وتنطبق فعلاً على القيم غير الدينية أيضاً؛ ذلك لأن القيم الأخلاقية الطيبة تنتمي في صورتها النهائية إلى الله تعالى. فالقاضي الذي يسمو على سائر المصالح والتأثيرات.. نستطيع أن نصفه بالتقوى من جهة عدالته. وإذن سوف يجدون قضاة ذوي تقوى في باكستان والهند وأسبانيا وغيرها. عندما كنت في زيارتي لأسبانيا والبرتغال قابلتُ قاضياً متقاعداً لم ينل نظرة التقدير والاحترام اللائقة به من الحكومة البرتغالية.. ذلك لأن الأمم المتحدة عيّنت الرجل مسئولاً عن النظر في الأمور الدولية والفصل في المظالم؛ وكان بعض أحكامه ضد البرتغال. عندما قابلته قال ضاحكاً: "أنت تروي لي الفضائح التي تُرتكب ضدكم في باكستان؟ حسناً، سوف أرفع صوتي ضدها، ولكن أي الأذان تسمع؟! إن البلاد الذي أعيش فيها، والذي عملتُ فيه قاضياً طول حياتي.. لا يعاملني الآن بإنصاف؛ بل وكل أمم العالم قائمة على الظلم. تحدثت معه طويلاً في جو ودي. إنه رجل متقدم في السن، ويحترمه الناس لقيمه الإنسانية، وإن كان مستبعداً من لعبة السياسة.

نعم، يمكنكم أن تجدوا أمثال هؤلاء القضاة المتقاعدين العادلين الشرفاء ذوي السمعة العالمية الطيبة؛ أو بعض السياسيين الذين قد يولدون بسمعة العدل، والذين ينبغي انتقاؤهم على هذا الأساس، وليس على أساس حزبي. يجب أن يُصطفى أناس من هؤلاء بناء على العدالة، وتُعرض عليهم الأخطار التي يتعرض لها العالم، وتُشكّل منهم لجان متنوعة، ليفكروا في النزاعات الأساسية لتفهم أسبابها الجوهرية ليقضي عليها قضاءً نهائياً. كما

يجب بذل أقصى الجهود لتوجيه الأمم المتناحرة وتعليمها وجمعها على منصة واحدة، وتوضيح الأمر لها وللرأي العام العالمي. يجب أن يخبروهم أن هذه هي المنازعات وأسبابها، وهذا ما فعلته اللجنة بهذا الصدد، وهذه هي الصورة الحقيقية التي تبدو أمامنا. ليس باستطاعتكم التفكير في الحلول فجأة في هذه المرحلة، لأن بعض المنازعات متشابكة حتى الأعماق؛ ولكن لا بد من الشروع في محاولة إيجاد حل لها.

إن بوسعي أن أري الأمم التي ترى الخطر من العراق اليوم ألفَ خطر منتشر في جوانب الدنيا. إذا كانوا حقاً راغبين في سلام العالم، فكما سبق أن نصحت لهم، عليهم أن يستقوا على العدالة.. عدالة الإسلام التي لا تميز بين شرق وغرب، ولا تفرق بين شمال وجنوب؛ وإنما تضع مفهوم العدالة وربُّ العدالة جل وعلا نُصَبَ عينها. وبانتهاج هذه العدالة.. لو أنهم حاولوا حل نزاعاتهم أو حل المنازعات العالمية.. فإني أؤكد لهم أن الدنيا عندئذ تفوز بالسلام. ولكن لا يمكن التوصل إلى هذا السلام إلا عن طريق اليد الودودة الحانية.. يد سيدنا محمد المصطفى ﷺ رسول الله تعالى، لأنه النبي الوحيد الذي أعلن الله تعالى أنه المبعوث ﴿رحمةً للعالمين﴾. فالذي بعثه الله جل وعلا رحمةً للعالمين.. لكل أمم الأرض.. ولكل العوالم.. إذا لم تسألوه، وإذا لم تنتفعوا به.. فكيف يمكن أن تحققوا السلام للعالم؟ يجب على الجماعة الإسلامية الأحمدية أن تشرع في الجهاد العالمي، عسى الله تعالى أن يكون معنا! آمين!

١٦ نوفمبر ١٩٩١

حبل الله

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣-١٠٤)

الإسلام يريد منك أن تعقد صلة بالشرعية، وبالنبي صاحب الشريعة، ليس بصفتك الشخصية فحسب، بل إن "حبل الله" أو الإسلام يعني أن تكون تلك الصلة جماعية. فإذا ما بدت صلتكم هذه باقية، ولكن كانت وحدتكم متفتتة.. فمعنى ذلك أنكم قد تحركتم خارج حالة الإسلام. ومن ثم لا يكفي أن تمسكوا بحبل الله وحدكم فرادى، وإنما لا بد من أن تمسكوا به جماعة غير متفرقين.

وإنه لموضوع رائع يلفت أنظارنا إلى ضرورة ألا ندع الأمة تنحلّ وتفكك، وإلا صارت صلتنا بالشرعية ونبي الشريعة غير مجدية. إذا كنتم في الظاهر متصلين بالشرعية ونبيها، ولكنكم تجعلون بأفعالكم ومسلكتكم وأقوالكم الأمة متفككة متحللة.. وتفصلون وتتباعدون بعضكم عن بعضكم، فلا يُعْتَدَّ بصلتكم بحبل الله، ولا تُعتبر صلة بالمعنى الحقيقي، وستستحقون العقاب في نظر الله تبارك وتعالى.

هذا هو المفهوم الإضافي الذي زادته الآية الثانية على معنى الإسلام، وهو مفهوم لا ينشأ في الذهن تلقائياً من الآية الأولى.

وهكذا نشأت الحاجة إلى أخذ البيعة من الخلفاء، ليس لأن الخليفة قد عُيِّن كصاحب شريعة.. وإنما لأنه بعد رحيل النبي صاحب الشريعة السماوية.. فإنه لا يكفي مجرد إقامة صلة معه أو مع كتابه.. إذ كيف يتحقق قوله ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾؟ وكيف يكون التنظيم ممكناً؟ لا بد للتنظيم من السلطة المركزية. ونظام الخلافة بعد النبي يتيح هذه المركزية ويكفل هذا التنظيم. وإذا انقطع الاتصال مع الخلافة عانت الأمة من الانحلال. وكلما انقسمت أمة إلى طوائفٍ مثنى وثلاثٍ وأكثر، ولم يكن لواحدة منها الارتباط بالخلافة، ولم يكونوا يمسكون بحبل الله بحيث يكون الجميع متحدين مجتمعين على يد واحدة.. انقطعت صلتهم بحبل الله في رأي القرآن الحكيم. والحقيقة أنه بدون خلافة لا يمكن لجهاز أي تنظيم في العالم أن يحقق وحدة. إنك تجد طوائف كثيرة، ولكنها لا تكون متحدة كما يكون الناس متحدين في جهاز الخلافة. وبوسعكم أن تروا بعد الخلافة الرائدة في الإسلام.. كيف بدأت الأمة تنقسم وتتجزأ. والوحدة التي كانت في زمن الخلافة الرائدة انحلت.. ولم تزل تتشعب أكثر وأكثر إلى جماعات وشراذم أصغر وأصغر.

فأهم معنى للإسلام، للإسلام الحقيقي، أن تقيموا صلة مع النبي صاحب الشريعة.. مع شخصه، ومع شريعته؛ فهذا العهد ليس قاصراً على طاعة الشريعة التي أوحيت إليه فحسب.. ولكن العهد يجمع بطاعته واتباع شريعته. وبعد وفاة النبي المشرع لن يكون هناك مفهوم للوحدة بدون نظام الخلافة. ولو لا ذلك لقبلنا بأن يمسك كل فرد وحده بحبل الله ويكون ذلك كافياً.. في حين أن القرآن الحكيم يعلن أن ذلك غير كاف،

والمطلوب هو أن ﴿اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾. وهكذا، بوسعكم أن تروا أنه من جهة المنطق لا سبيل إلا إقامة نظام للخلافة بعد النبوة. وإذا ما انحلت الخلافة مرة لا يمكن أن تقام ثانية إلا بعد النبوة، حتى وإن كانت هذه النبوة تجديداً للنبوة التشريعية. حتى ولو لم ينزل الله شريعة جديدة فإن "حبل الله" يتدلى مرة أخرى من السماء، وعندئذ تقام الوحدة، وبدون ذلك لن يمكن إقامة الوحدة.

ثم تقول الآية الكريمة: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾. فما أعظمها من نعمة.. أحدثت معجزة جمعت بين الأعداء وربطت بينهم بصلة وثيقة من المحبة، فجعلت منهم إخوةً أحبّة. ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾، إن الله تعالى هو الذي أخذ بيدكم، وأبعدكم عن حافة هذه الحفرة النارية المهلكة. ﴿كذلك يُبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.. أي تفكروا في هذه النعمة والآيات البينة كي تتعرفوا على سبيل هدايتكم ونجاتكم.

من هذا الشطر الثاني للآية الكريمة يتضح لكم أن الانشقاق والفرقة تسوق الأمم إلى النار. يحسب الناس عادةً أن النار هي جهنم؛ ولكن المقرر في الأسلوب القرآني أن النار تعني أيضاً الحروب المهلكة. إنها ليست ناراً بعد الموت فقط، بل إنها ما نرى عندما تتحارب الأمم المختلفة في أماكن شتى. والسبب الأساسي لهذه الحروب هو الشقاق، الذي إذا اشتد دفع الأمم إلى القتال ونار الحرب.

وهذا محك آخر يقدمه القرآن لتعرفوا حالكم. يقول لكم: إذا كنتم حقاً مسلمين.. إذا كنتم تطيعون الله وتعتصمون بحبله، قابضين عليه بقوة وإحكام.. فلا يمكن أبداً أن يحارب بعضكم بعضاً، ومن المحال أن يُدفع بكم إلى حفرة النار.. نار الحرب، بعد أن أخذتكم نعمة الله تعالى بعيداً عنها، وحفظكم بحبله بمنحاة من حافّتها. وما دمتم واقفين عند الحافة فأية هبة من الريح تقذف بكم فيها، أو أي عدو قاس يدفعكم داخل الحفرة. ولكن الذين أبعادوا عن الحافة لا يمكن أن يُرموا في الحفرة النارية بهبة ريح أو بهزة أو هزتين. مَنْ يُمسك "حبل الله" بإحكام وثبات يسير مبتعداً عن حافة النار، ولا يمكن لقوة شيطانية على الأرض لأن تدفعه في النار.

بعد أن فهمنا هذا المعنى تعالوا نلتفت نحو الموقف التعيس الذي يقفه المسلمون اليوم. هذه الحرب التي تقاتل فيها العراق وإيران، ومضى المسلمون يسفكون دماء بعضهم البعض ثماني سنوات طوال، هل يمكن القول، على ضوء الآية القرآنية هذه، أنهم ما كانوا في حفرة من النار؟ وعلى ضوء هذه الآية الكريمة.. هل يستطيع أحد القول بأنهم كانوا معتصمين بحبل الله؟ وأنهم كانوا يمسكون به جميعاً؟ كلا، وألف كلا. فهذه الآية من القرآن الكريم لا تضع أماناً فلسفة فكرية فحسب، بل تجعلنا على دراية بحقائق العالم العميقة. إنها حقائق صلبة، لا يمكن للإنسان أن يمر عليها دون أن يلاحظها. إنها حقائق تسيطر على الأمم، ولو تجاهلوا ما استطاعوا اجتناب عواقبها.

وإذن، فقول الله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ جعل أمراً ملزماً وفرضاً واجباً على كل المسلمين، وان يتوحدوا معاً كنفس واحدة، طاعةً لله تعالى، ويتمسكوا بحبل الله، ولا ينفكوا متشبثين

به، فلا تفلت يدهم منه أبداً.. ولا للحظة واحدة، كما لا ينفصل بعضهم عن بعض؛ أي أهم من ناحية
يمسكون حبل الله، ومن ناحية أخرى تتماسك أيديهم ويتحدون على حبل الله معاً.

هذا هو مشهد وحدة الأمة الإسلامية الذي صورته لنا الآية القرآنية الكريم بالتفصيل. والمؤسف أن المسلمين
الذين يتلون القرآن المجيد لا يتفكرون في مواضعه ولا يتدبرونها؛ وكثير منهم لا يستطيع قراءتها ولا التدبر في
معانيها، ولكن زعماءهم وقادتهم بعد قراءتها يعمدون إلى التفريق بينهم بدلا من التوحيد. إنه لظلم عظيم حقاً..
لأن القرآن المجيد يدعوهم قائلاً: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ لتتقوا من شتى أنواع عذاب النار، ويقول: حتى
ولو كنتم مستعدين لمهاجمة بعضكم البعض؛ فإن بركة حبل الله سوف تزيل منكم حالة العداوة، وسوف يقرب
ما بينكم بمشاعر المحبة، ويربط بينكم برباط القربى حتى تصبحوا إخواناً.

ما أجمل وأروع هذا المشهد الذي تصوره لنا الآية نتيجة للتقوى. وعلى النقيض نرى شيوخ اليوم يُرغون
ويزيدون، ويعلمون المسلمين بذكر آيات القرآن الكراهية تجاه إخوانهم. لقد رأت الدنيا مشهداً كهذا أولاً لمدة
ثمانى سنوات، عندما استخرج شيوخ إيران من القرآن ما يحضون به الناس على قتل العراقيين. لقد رموهم
بالكفر وقالوا للناس: يجب مهاجمتهم وقتلهم لتكونوا أبطال الإسلام أو شهداء الإسلام. وبنفس القوة والقناعة
كان شيوخ العراق يبشرون الناس بالجنة ومنزل الشهداء إن هم قتلوا الإيرانيين الكفرة الملعونين، وزجوا بهم
في نار الجحيم. ولم تكن خطب المشايخ تقال سرّاً.. بل كانت تذاع على الملأ في كل وسائل الإعلام من
الجانبيين. كانت جرائدهم ومجلاتهم وصحفهم تخرج على الدنيا كل يوم تملأ صفحاتها بهذا الكلام. وكانت
إذاعاتهم المسموعة والمرئية مشغولة طول الوقت في ترديد هذا الكلام. واستمرت هذه الدعايات لثمانى سنوات.
فهل تحسبون ذلك "حبل الله" كما يعلمنا القرآن الكريم؟

ثم هو نفسه العراق الذي كانت تسانده بلاد العرب كلهم.. وكانوا يعلنون أن هذه الحرب هي بين الإسلام
والإسلام. واتخذت أقوالهم عدة ألوان.. فتارة هي حرب بين الإسلام السنّي والإسلام الشيعي، وتارة أخرى
حرب بين الأشرار النهّابين الذين مرقوا من الإسلام وبين المؤمنين الأبرار. وحيناً قالوا إنها حرب بين العرب
والعجم. وكل العرب الذين ساندوا العراق لم يفعلوا ذلك حقاً باسم الإسلام.. لأنهم، في جهات أخرى، كانوا
على علاقات عادية مع الشيعة، بل إن بلاداً ذات أغلبية شيعية ساندت العراق.. لأنهم عرب. فالحرب إذن
كانت بين العرب والعجم، ولكنهم استخدموا اسم الإسلام لمؤازرة العراق، فقالوا: إن البلد الذي خرج عن
الإسلام وهاجم المسلمين والعرب بلد معتد يرتكب جريمة مضاعفة.

واليوم ترون عالم الإسلام، الذي يسمّى الإسلام السنّي، قد انقسم إلى حزبين، واتحد كثير من بلاد العرب ضد
دولة إسلامية كبرى.. العراق؛ ونار الحرب موشكة على الاشتعال، تلك النار التي قال القرآن الكريم: لقد
كنتم ذات يوم تقفون على حافتها، وأنجاكم الله منها!

وإلى هذا الأوان.. لم يقفوا بعد في حفرة النار هذه. ولو أنهم يؤمنون حقاً بالقرآن.. ويدرسون هذه الآية،
فإني بناء عليها أدعوهم بكل تواضع، وبكل حرارة، وأناشدهم الله جل وعلا.. أن يتدارسوا هذه الآية في كل

مسجد في بلادهم، وفي إذاعاتهم وصحفهم وكل وسائل إعلامهم، ويخبروا الناس بما ينتظره القرآن منهم، ويبينوا لهم أنهم إذا ما خرجوا للحرب.. فلن يموت أحد على حالة الإسلام.

إن القرآن الكريم حق.. وإن دعايتكم هي الباطلة. من المحال أن يخطئ القرآن وتكون ادعاءاتكم حقاً. إن الموت في هذه الحرب موت فرقة وشتات، والقرآن يقول ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾ محدثين النزاعات والخلافات. يجب عليكم أن تتمسكوا بحبل الله جميعاً، وهذا هو الأمل الوحيد الذي ينقذكم من خراب الحروب وويلاتها.

وعلى كل مسلم أمهدي في كل مكان من العالم.. أن يوجه انتباه إخوته المسلمين إلى هذه الحقيقة: بأن العلاج المنجي من الهلاك المذكور في هاتين الآيتين الكريميتين اللتين تلوتهما أنفاً. فتدبروهما وخافوا الله تعالى. يجب على المسلم أن يكف يده عن قتل مسلم آخر، لأن من مات لن يموت على الإسلام، ولا القاتل سيكون بطلاً في عين الله، بل سيكون قاتلاً لمسلم. وإذا كان هذا التقاتل سيجرّ معهم أمماً أخرى، حيث يدعون غير المسلمين أن تعالوا وساعدونا على قتل إخواننا.. صار الأمر أشد فظاعة وكراهة.

هذا هو وقت الدعاء ولا شك، وبدون الدعاء لا يمكن فتح الأقفال التي على القلوب. لا يكفي الوعظ والنصح لفتح القلوب ما دام المرء لم يحصل على العون الإلهي. فابتهلوا إلى الله جل وعلا، وابدلوا جهودكم، وذكروا إخوانكم المسلمين مراراً وتكراراً بهاتين الآيتين. أخبروهم أن حياتهم متوقفة على اتباعهما، وهلاكهم في مخالفتها. وإنه لموت أليم.. لأن الآية القرآنية تشهد بأن من مات فيها لن يكون مؤدياً حق التقوى. تقول الآية له: إنك مت ولست في حال إسلام. سميت نفسك مسلماً.. وحاولت طوال حياتك أن تتبع الإسلام.. ثم الآن تبذل حياتك من حيث الظاهر في سبيل الإسلام.. ولكن نهايتك تعيسة، إذ تنهض كلمة الله لتشهد ضدك. يا من تتحدثون عن الإيمان.. وتكلمون عن التقوى، يا من تتشددون بالإسلام، إن كلمة الله التي أوحاها لكم شاهدة على أنكم لم تذوقوا الإيمان، ولم تعرفوا معنى التقوى، ولا حق لكم في الحديث عن الإسلام.

إنه لوقت شديد الخطورة ذلك الذي نراه أمام عيوننا. هناك في العالم كله جماعة واحدة تستمسك بحبل الخلافة الإلهي. إنها تثبت بحبل الله. إنهم عقدوا عهداً بالوفاء مع الرسول سيدنا محمد المصطفى ﷺ وشريعته.. جميعاً مترابطين يداً واحدة، ووفوا بواجبهم بحسب مفهوم هذه الآية، ووصلوا أنفسهم جميعاً بحبل الله. عليكم أن تواظبوا على اعتصامكم بحبل الله. ليس ذلك فحسب، بل ادعوا الناس إلى النجاة، ونادوهم أن هلموا إلى هذا الحبل. فهو الضمان الوحيد للحياة.

عسى الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لذلك وأن يمكن أولئك الذين يستمعون لي أن يفهموا الموضوع ويعملوا به، وأن يشربوا ماء الحياة من هنا، لأنه لم يبق هناك سبيل للحياة سوى ذلك. اللهم آمين!

(مقتبس من خطبة ٢٣/١١/١٩٩٠)

مسلسل الإرهاب الغربي

إزالة شبهة

بعد غزوة خيبر وفتح حصنها، عاد الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة مردفًا على ناقته زوجته السيدة صفية. وقد حفظت لنا كتب الحديث النبوي شيئًا عما جرى وقتئذ بينه ﷺ وبينها. قال: يا صفية، أعتذرُ لك من أعماق قلبي عما فعلتُ بقومك، (يقصد غزوه لليهود في خيبر وفتح حصنهم). اعتذرَ النبي ﷺ للسيدة صفية عن أي شدة أباها نحو اليهود.. وهم أهلها وذووها. ولكنه ﷺ أخبرها في نفس الوقت كيف عامله قومها قبل ذلك. وكان الغرض من حديثه ألا تسيء الفهم وتحسبه هاجمَ خيبرَ بدافع التعصب والظلم. وشرح لها النبي ﷺ الاعتداءات والفظائع التي ارتكبتها اليهود، وكيف أطلقوا العنان لطغيانهم منذ البداية. ثم أخبرها عن نفسه خاصة، وكيف دأبوا على التهجم عليه، وقدحوا في شخصه وشتموه. أراد المصطفى ﷺ بذلك ألا يتطرق إلى ذهن السيدة صفية، وقد صارت زوجته، أيُّ شيء من سوء الفهم عن شخصيته ﷺ.

الإسلام يرفض العنصرية

أقول ذلك بمناسبة موضوع العراق والكويت، وهو موضوع يدور حوله الجدل، وقد تناولته في خطب سابقة، وذكرت ما تفعله أمم الغرب ببلاد المسلمين. وهناك أحمديون ينتمون إلى بلاد الغرب هذه، خشيتُ أن يدور بخلد بعضهم فكرةٌ خاطئة عن التفرقة العنصرية لأننا جعلنا الغربَ هدفًا لانتقادنا، وربما ظن أحد أن هناك تعصبًا عنصريًا مكبوتًا عند المسلمين الأحمديين. فأود بادئ ذي بدء أن يكون واضحًا للجميع أن رسالة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ.. التي بلَّغها بلسانه، وأكد على صدقها بفعاله.. هي أنه لا علاقة بين الدين وبين التفرقة العنصرية. لا يسمح لنا الدين أن نعارض أحدًا بدافع التعصب، أو نتعارك مع أحد بأي شكل من هذا المنطلق. والجماعة الإسلامية الأحمدية تتبع تعاليم محمد المصطفى ﷺ، وبالأحرى أنها الجماعة التي قامت لإحياء ما نُسيَ من السنة النبوية. لقد قامت بعزم وتصميم لإحياء تلك السنة الشريفة بمسلكها بعد أن نسي المسلمون جوانبها الطيبة على وجه العموم. فمن هذه الناحية يجب ألا تبقى أية فكرة في ذهن أحد من هذا العالم أن الجماعة الإسلامية الأحمدية تحمل في فكرها أو سلوكها أي نوع من التعصب نحو تفرقة بين شرق وغرب، أو تمييز بين سود وبيض، نعوذ بالله من ذلك. فالتمييز العنصري لا يتعايش مع الإسلام ولا يتفقان أبدًا. فكل انتقاد صدر منا، أو سوف يصدر منا.. إنما يقوم على ضوء المبادئ الأخلاقية السامية للإسلام. ومن هذا المنطلق.. كل من يستحق الانتقاد سيُنتقد؛ ليس لتجريح أحد.. وإنما لنضع الحقائق أمام الناس ولنوضح الأمور.

وبهذه المقدمة في الحسبان.. كلما أقول تعليقًا.. فإني أفتش في قلبي، ولا أنتقد أبدًا بناء على أي نوع من التحامل، وإنما أظهر قلبي أمام الله تعالى، وأحاول توضيح الحقائق والوقائع. قد تكون الحقيقة في صورة ما ذات طعم مرير لبعض الناس.. ولكن لا حيلة لنا بإزاء ذلك. لا يمكننا أن نؤيد أحدًا على طول الخط تعصبًا له.. لأننا ننحاز دائمًا نحو الحق، ونساند دائمًا كلمة الله تعالى، ونقف دائمًا مع سنة النبي ﷺ. ألا من أراد أن يكون

صديقنا إلى الأبد.. فلا مناص له من أن يكون موالياً لكلام الله تعالى، وموالياً لسنة محمد المصطفى ﷺ، وأن يكون منحازاً إلى الأمانة والصدق، وفي هذا الحال يجدنا دائماً مؤيدين مناصرين له.

الحل مسألة إسلامية

بعد هذا التوضيح الموجز، أود أن أعرض نفس الموضوع أمامكم مرة أخرى.. ذلك الموضوع الذي تناولته في عدد من خطبي، وأعني به الموقف العالمي الذي نشأ بسبب الصراع بين العراق والكويت. لم تبق سوى أيام قلائل تتسارع فيها الجهود المبذولة من أجل السلام. في النهاية نجدهم يتجهون نحو الاقتراح الذي قدمته لهم منذ البداية على ضوء التعليم القرآني. لقد ذكّرت الأمم المتصارعة أن يُيقوا الموضوع على أنه مسألة إسلامية، ينبغي حلّها بين الطرفين على يد العالم الإسلامي. وينبغي على العالم العربي أن يسووا الموضوع، ولكن ليس صواباً أن يجعلوا منها مشكلة عربية فقط. ولسوء الحظ فإن الجهود التي شرعوا فيها بهذا الصدد جاءت متأخرة. لقد اتجه انتباه القوى الكبرى الآن نحو كونها مشكلة عربية بدلاً من عالمية. أما عن كونها مشكلة إسلامية فقد انعقد منذ أيام قلائل في باكستان مؤتمر وزراء الخارجية حيث أُثير الموضوع، وبُذلت محاولات من جانب باكستان تهدف إلى تكاتف دول العالم الإسلامي كي يجدوا حلاً لهذه المعضلة. ولكنهم اتخذوا هذه الخطوة في توقيت متأخر، بحيث لا نجد لها أثراً يذكر.

موقف الغرب

والموقف الحالي يتلخص في أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة هما في مقدمة الدول التي عقدت العزم القوي على تحطيم العراق. وبتوجيههم وقيادتهم تدق طبول الحرب، ولا ينفكون يرددون أن تدمير العراق لازم لإنقاذ العالم. فهم ينفخون في لآذان العالم أنه إذا ترك العراق على قوته الراهنة، وأتيحت له فرصة أخرى.. فلسوف ينهار سلام العالم، بل إن وجود العالم نفسه يتعرض للخطر الشديد! هذا هو ما يروجون له بكل قوة في اللقاءات التلفزيونية وما ينشر في الصحف رداً على تساؤلات الناس. يرددون دائماً أمراً واحداً.. يقولون: انظروا الشناعات التي ارتكبتها العراق ضد الكويت؛ كيف يمكن للعالم تجاهل هذه الفظائع التي ارتكبتها هؤلاء الطغاة من قتل وسرقة وإحراق؟ أي حق لهم في البقاء أحياء؟! إذا لم تتحد كل دول العالم اليوم لمعاقبتهم.. فسوف يفتح سبيل الظلم، ولن يستطيع أحد وقف أحد عن المضي في طريق الظلم. هذا هو موقفهم بإيجاز.

موقف العراق

أمّا موقف العراق في مقابل هذا فيقول: إنكم تتحدثون عن المبادئ السامية، وتتشدقون بذكر الأخلاقيات الرفيعة، ولكنكم تتناسون ما في بلاد العرب والشرق الأوسط من اضطراب. أنتم المسئولون حقاً عن كل قلق وعدم استقرار يهدد السلام. فكلما تسنح فرصة لحل المشاكل المتعلقة بالشرق الأوسط تضعون أمامها العراقيل. والآن بعد احتلالنا للكويت تقولون إنه عمل غير شرعي - والعراق لا تراه كذلك - مع أن إسرائيل احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن في الماضي القريب. وتتحدثون عن الأمم المتحدة.. في حين أن هذه المؤسسة أصدرت قرارات عديدة، وحاولت إلزام إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية. وفي كل مرة تضع أمريكا بصفة

خاصة.. كافة العراقيين في طريق ذلك، وتعرض بحق "الفيتو" على كل الحلول!
يقول العراق لأمريكا وبريطانيا: كُفُوا عن حديث الأخلاقيات والمبادئ العالية! لو أنكم حقاً تقدرُونَ هذه المبادئ.. فعليكم وزن المشاكل معاً بميزان واحد، ومحاولة حلها بنفس الطريقة. والمشاكل القائمة تتشابه على حد ما مع مشكلة الكويت مع العراق. لو تفعلون ذلك فنحن على استعداد للامتنال وتنفيذ القرار العادل في ظل نفس المبادئ.

إن الموقف الغربي له وجهان: أحدهما أن العراق احتل الكويت بطريقة غير شرعية؛ وثانيهما أن العراقيين ارتكبوا الفظائع ضد الكويتيين الأبرياء. فهناك نوعان من الظلم: الاحتلال غير الشرعي، وارتكاب المظالم، وكأتهما عند الغرب ظلمان منفصلان.

ماضيهم الأسود

والشيء العجيب أن الأمم التي تتحدث هكذا.. يقف تاريخهم شاهداً قوياً ضدهم بأمر لا توجد في تاريخ الأمم الأخرى! الإدارة الأمريكية الحالية متصلة الأسباب بأوروبا. فقد ذهب هؤلاء الأوروبيون إلى أمريكا في بداية القرن السابع عشر بعد اكتشافها لأول مرة، ثم احتلوا شمالها وجنوبها؛ وأطلقوا هناك العنان للفظائع، وأهلكوا الأجناس التي هناك بما ينذر أن نجد له مثلاً في التاريخ. لقد أبادوا الهنود الحمر طبقاً لخطة منظمة، فلم يبق من أثرهم إلا القليل. هذه الأمم التي تحب الحيوان، وتقرأون في صحفهم وتشاهدون في إعلامهم برامج تصرخ لما تتعرض له أجناس الحيوان من فناء.. إن هؤلاء أفنوا كثيراً من قبائل الهنود الحمر التي كانت تملأ براري القارة الأمريكية الواسعة. لقد قضوا عليهم بلا رحمة، فلم يعد منهم إلا القليل جداً. فقط بقيت لهم ذكرى في التاريخ، ولا تراهم إلا على شاشة السينما. وكان أسلوبهم في ارتكاب الفظائع قصة لا تحتمل.

ثم إن الأوروبيين في هجماتهم واحتلالهم لأفريقيا فعلوا كل الشناعات. أسروا السكان وباعوهم رقيقاً بأعداد كبيرة، وأجبروهم على الأعمال الشاقة.. حيث كان الطلب عليهم كثيراً في أمريكا. واليوم يذكرنا عدد السكان الأفارقة في أمريكا بهذا التاريخ الحالك الذي اقترفت فيه تلك الفظائع في حق الإنسان.. بما يقشعر له البدن. لقد زرتُ بعض الحصون التي كانوا يضعون فيها هؤلاء العبيد، حيث كانوا يحشرون أعداداً كبيرة منهم في أماكن ضيقة تشبه تلك الثقوب الضيقة المظلمة التي قرأنا عنها في تاريخ الهند. لقد هلك الكثيرون فيها اختناقاً. وكانوا يضعون من يبقى حياً منهم في القوارب كالأنعام. قال مؤرخوهم: هلك كثير منهم بسبب مشاق السفر، ومن وصل منهم إلى شاطئ أمريكا وصل في حال يرثى له. كانوا يسوقونهم سوق الماشية، ويدعُونهم إلى العمل بضرب السياط. كان هؤلاء العبيد يدفعون العربات، ويجرّون المحاريث، ويقومون بأعمال الدواب.

فالأمة التي هذا تاريخها.. تأتي اليوم لتعلن باسم الإنسانية والقيم الأخلاقية أنها مضطرة لتحرير الكويت ومساعدة هؤلاء الضعفاء! يقولون: إننا ملتزمون برفع الراية ضد الفظائع التي ارتكبت.. لأن قيمنا الأخلاقية العالية تقتضي منا ذلك. وإذا لم نقم لها هلكت الإنسانية في العالم؛ إذا لم نفعل ذلك ضاع الأمان من البلاد

الصغيرة، ولن يطمئنوا على حياتهم!

إذا كان هذا صحيحًا، مع أنهم فكروا فيه متأخرين جدًّا، يمكن للمرء أن يوافق على قولهم ويقول: بناء على هذا الفكر الصالح التقى.. ينبغي أن تنسحبوا من أمريكا وتعيدوا لمن بقي من الهنود الحمر أملاك أسلافهم! ولكن لو قال لهم أحد ذلك لرموه بالجنون، وقالوا: ما هذا الهراء الذي تقول؟ ليس هناك علاقة بين الأمرين. هذا شيء وذلك شيء مختلف تمامًا. إذا رفضوا اليوم أمرًا من أمرين متماثلين، وصاحوا بأحدهما مختلفان تمامًا.. فما التفسير الممكن لذلك؟

تاريخ بريطانيا الحالك

أما بريطانيا التي تبدي حماسًا شديدًا مع أمريكا ضد العراق، وتسوق أسبابًا عديدة لذلك مرارًا وتكرارًا.. فإنها عندما احتلت أستراليا كتبت تاريخًا في الفظائع ينكمش أمامه جرائم الأمريكان. هناك فرق ملحوظ بين سكان أستراليا الأصليين وبين الهنود الحمر من سكان أمريكا. فالهنود الحمر كانوا قبائل مقاتلة أشداء، يعرفون كيف يقاتلون ويدافعون عن حماهم، ويضحون في سبيل ذلك تضحيات عظيمة؛ أما القبائل البدائية الأسترالية فكانوا مسلمين لا يعرفون القتال. كان البريطانيون يصطادونهم من الغابات كالغزلان، ومن نجوا من الصيد أحصوهم بالعمليات الجراحية حتى لا يتكاثروا. لقد أبادوهم بأشد الطرق فظاعة. كان عدد اللغات في أستراليا يبلغ ٦٠٠ لغة، لم يبق منها اليوم سوى قليل. وهناك مساحات صغيرة تقطنها قبائل قليلة، يحفظونهم كما تُحفظ الحيوانات في حدائق الحيوان.. كي يشاهدتهم الناس ويتفرجوا عليهم.. ويتعرفوا على من خطفوا منهم بلادهم! ويخبرون العالم أننا نحفظهم الآن من الانقراض!! هذا هو تاريخ بريطانيا.

يكيلون بكيلين

وإلى جانب هذا.. فإن ما حدث في الهند وحدث في أفريقيا، ليس هناك وقت للاستفاضة في الحديث عنه، ولكن ما أود قوله هو إنهم عندما يتحدثون عن المبادئ والأخلاق.. ينبغي عليهم أن يستقلوا عن الزمن لأن المبادئ والأخلاقيات غير مرتبطة بالزمن، فيجب ألا يتغيروا مع تغيره. اليوم يتحدثون عن العقوبات، ولكنهم فرضوا العقوبات ضد جنوب أفريقيا، ورغم مضي سنوات وسنوات لم يظهر فيها لهذه العقوبات أثر يذكر. لم يرفعوا الصوت بأن المقاطعة استغرقت وقتًا طويلاً؛ وأنها لم تفعل فعلها ولم تؤت ثمارها، ولم ينادوا بضرورة توحيد العالم كله لمهاجمة حكومة جنوب أفريقيا. بل لم تؤيد البلاد الغربية ولا حتى بريطانيا هذه العقوبة في مناسبات عديدة. ولقد رفع الجمهور البريطاني أيضًا صوته احتجاجًا على حكومتهم لذلك.. ولكنها لم تبال ولم تتخذ أي خطوة ضد جنوب أفريقيا. ليس هذا من التاريخ القديم، بل هو من أحداث العصر الراهن.. ومع ذلك لم يرفع أحد صوتًا بأن البلد الذي لا يراعي تطبيق العقوبة لا بد من استخدام القوة العسكرية ضده وإجباره على مراعاة المقاطعة. كما لم يناد أحد بأنه ما دامت المقاطعة قد طال زمنها ولم تؤت ثمارها.. فلا بد من التصرف حيال ذلك! أما مع العراق فلا يكفّ البلدان عن رفع الصوت بكل حماس.. أن لا بد من تطبيق عقوبة المقاطعة ضده بكل صرامة، فلا يدخل طعام أو دواء، ولا يخرج شيء. ولقد طبقوها فعلاً بكل شدة حتى سدوا

الطرق جميعاً على العراق من كل جانب، بل وحاصروا الأردن أيضاً لاستكمال الحصار على العراق. وعلى مقربة من ذلك تحتل إسرائيل الضفة الغربية من الأردن، ولم يطبقوا ضدها عقوبة ما، ولم يرفعوا صوتاً في وجهها لما ارتكبتها من فظائع ضد الفلسطينيين. ولو كان السبب نفسه الذي برروا به موقفهم ضد العراق مطبوعاً هناك.. لانفضّ هذا النزاع من زمن طويل!!

حروب الرئيس السريّة

لو تفكرتم في التاريخ الحديث لأمریکا، واطلعتم على ما كتبه الأمريكان أنفسهم، وعلى الإحصائيات في كتب أخرى.. تبين لكم أن المخابرات الأمريكية CIA، حسب متطلباتها، تدخلت في كل البلاد، ولم يتورعوا عن الإرهاب، ولم يتحاشوا المظالم، بل اعتبروا ذلك حقاً لهم ليفعلوا ما يشاءون! نُشر حديثاً كتاب اسمه "الحروب السرية للرئيس" يخبرنا أنه سُمح لهم، تحت اسم "العمليات السرية" كل أنواع المظالم والاطغیان، وفعل ما يشاءون من اغتيال وتسميم الطعام وقتل المواطنين بلا تردد، وأي شيء.. بشرط أن يتم ذلك بخفاء، ويبقى إمكان الإنكار متاحاً لهم. وهذا اتجاه جدير بثير الاهتمام.. يعني أنه بالرغم من أن رئيسهم يعطي تصريحاً فعلياً بعمل كل شيء، على أن يتم في خفاء يُبقي له فسحة الإنكار؛ وإذا انكشف شيء وسئل عنه.. بوسعه أن يتنصل ويدّعي بأنه لم يأمر بذلك، وأنه تم بدون أمره، وسوف يتحرى الموضوع؛ وهذا هو ما يسمونه "القابلية للإنكار".

(Dr. John Prados, President's Secret Wars, William Morrow & Co. Inc. New York, USA, 1986.)

إرهابهم وسداجتنا!

فالإرهاب الذي ينسبونه لبلاد إسلامية.. تقوم أمريكا بإرهاب أشد منه ألف مرة، ناهيك عن إسرائيل وفعلها.. ولا يزالون يفعلونه. بل إن المخابرات الأمريكية نشطة فعالة بهذا الأسلوب في العالم. في بعض الأماكن يحدثون انقلابات عسكرية. ولو قرأتم عن نشاطهم الذي مارسوه في فيتنام وكوريا ولاوس وجواتيمالا وإيران لاشتدت بكم الدهشة. لم ينشر هذه الكتب أحد المعارضين، وإنما مؤلف أمريكي.. كتب عدداً من الكتب الأخرى عن هذا الموضوع، وهي كتب موثوق بها.

والآن خبرونا أين ذهبت هذه المبادئ؟! الفارق أن تلك البلاد الإسلامية لسوء الحظ تتبع أسلوب السداجة.. تلك السداجة التي تقرب من حماقة. إنهم لا يعرفون لغة الدبلوماسية. لا يقومون بأعمال خفية، وإنما بدلاً منها يجاهرون بأنهم سوف ينتقمون من كذا وكذا.. سوف نقتل سلمان رشدي، وسوف نغتال فلاناً وعلاناً. الإسلام لا يسمح لنا بحسن معاملتكم. سوف نقضي عليكم بكل وسيلة! يملكون القليل.. ويتسولون السلاح من تلك الدول، ويعتمدون عليها اعتماداً كاملاً، ويعيشون عالّةً عليها.. ومع ذلك يصيحون ضدها بتلك الادعاءات الضخمة، ويقذفون بالتهديدات عن اجتثاث شأفتها واقتلاع جذورها، يهددون بانتزاع جذور بنوا عليها كيانهم! وما هذه إلا حماقة.. بل هي أسوأ درجات الظلم، إذ يخلطون فعلهم بالإسلام، ويخلقون المشاكل في كل أنحاء العالم ليقع فيها الذين يحبون الإسلام حقاً. فهم من ناحية يجعلون تلك البلاد يواصلون ارتكاب الفظائع فوق الشنائع، ويفعلون بالعالم ما يشاءون، وينفذون حكمهم في كل مكان، ويدمرون أي بلد

يريدون.. ولكنهم يستخدمون كلمات ومسميات تحت ستارها يسمحون لأنفسهم بكل أنواع الممارسات والأنشطة. أما هؤلاء الذين لا حول ولا قوة لهم على القيام بأي شيء، فإنهم يستخدمون لغة متطرفة حمقاء، فيُلقون بأنفسهم العار، ويلطخون أيضاً سمعة الإسلام.

فرسالتني إلى العالم الإسلامي هي أن استخدموا عقولكم! الأمم التي تريدون حربهم.. تعلموا منهم على الأقل طرائق حربهم! استخدموا الكلمات التي يستعملونها معكم أو مع غيركم!
"خدام الحرمين" أم "ناهبو الحرمين"؟؟

على أي حال.. كان هذا من شجون القول. وأعود الآن إلى الجزء الثالث من حديثي، بعد أن ذكرت موقف العراق وموقف بلاد الغرب. هناك دول إسلامية أخرى اتخذت موقفاً أيضاً، وأكثرها أيدت الموقف السعودي الرامي إلى توحيد جهود الدول الإسلامية في التصميم على تدمير العراق. ولا يقف الموضوع عند هذا الحد، بل يخطون إلى أبعد من ذلك، فيعلنون أن السعودية أرض مقدسة يقع فيها الحرمين الشريفان: مكة والمدينة. فالمسألة اليوم ليست خاصة بالكويت، بل إنها تتعلق بحماية هاتين البلدين.. حماية المقدسات التي عاش فيها النبي الأكرم ﷺ، والتي وطأها قدماه. وهكذا يخلعون على الموضوع لوناً ضخماً من القداسة.. يثيرون بها مشاعر المسلمين. فُنشر مثلاً في باكستان مراراً أنهم سوف يرسلون ألفين أو ثلاثة أو خمسة آلاف من الجنود دفاعاً عن الأرض المقدسة؛ وسوف نضحي في سبيل المقدسات تضحيات عظيمة!

أرى أننا بحاجة إلى رؤية تاريخ تلك الأرض، وماضي أولئك الأقوام الذين يستعملون اسم الأرض المقدسة، ويشيرون إلى النبي الأكرم ﷺ، ويحاولون كسب الرأي العالم للمسلمين.. ونرى كيف كان سلوكهم.

الحق أن السعوديين الحاليين هم الذين بدأوا باحتلال أرض الحجاز بحد السيف. بدأت العمليات العسكرية عام ١٨٠١، في زمن عبد العزيز، رأس هذه العائلة؛ ولكن ابنه سعود اكتسب شهرة كبيرة في عمليات الإغارة هذه. كان ذا خبرة في هذا المجال، وتولى قيادة هذه الهجمات. لقد هاجموا العراق أولاً واحتلوا كربلاء، ودمروا أماكن العبادة المقدسة على أنها من الوثنية وليست بذات حرمة.. وأنها لبنات من الحجارة ينبغي إزالتها. ثم ارتكبوا مذبحاً دموية عامة ضد سكان كربلاء.. ومعظمهم من الشيعة. ثم تقدموا إلى البصرة وسلبوا ونهبوا كل المواقع فيما بين كربلاء والبصرة. كانوا إما يحرقون البلاد أو يذبحون الأهالي. لقد ارتكبت هذه العائلة من الفظائع أشد ما ينسبونه اليوم إلى العراق. وبعد السيطرة على هذه المنطقة اتجهوا نحو الأرض المقدسة، وبدأوا باحتلال الطائف في إقليم الحجاز. ثم دخلوا مكة والمدينة في عام ١٨٠٣، حيث قاموا بمذبحاً عامة، وهدموا كثيراً من المقابر والمعالم والآثار المقدسة.. منها على سبيل المثال بيت مولد الرسول ﷺ وبيت أبي بكر ﷺ، وكثير غيرها من الأماكن والقبور.. أحرقوها وانتهكوا حرمتها، وقالوا: لا قيمة لها بل هي من علامات الوثنية. وليس هناك سجل محدد لما سفكوه من دماء، ولكن المؤرخين يقولون إنهم قتلوا بلا رحمة عامة الأهالي العزل من السلاح الذين لا يُخشى منهم ضرر.

الاحتلال السعودي بمساندة الإنجليز

وفي عام ١٨١٣ تمكن محمد علي باشا من تحرير المنطقة من سيطرة السعوديين، ولكنهم عادوا في أوائل هذا القرن بهجوم مباغت على الحجاز. وفي هذه المرة ساندتهم السلطات البريطانية. كان الجنرالات البريطانيون يرسمون لهم خطط الهجوم. وكان البريطانيون يمدونهم بالسلاح والبنادق والذخائر، ونفس البريطانيون أمدوهم بالأموال وعقدوا معهم التحالفات. وفي عام ١٩٢٤ احتلت الأسرة السعودية بلاد الحجاز مرة أخرى، وانتهكوا حرمة الكثير من الأماكن المقدسة في هذه المرة أيضاً، وسفكوا كثيراً من الدماء في مذبح عامة. ولقد دخلوا بمساعدة الإنجليز، وذكرت الأفلام التسجيلية التي أذاعتها مؤخراً محطة B.B.C البريطانية، أن البريطانيين أعانواهم أيضاً قبل عام ١٩٢٤، وقال مقدم البرنامج إن السعوديين استولوا على المنطقة بمساعدتنا وقوتنا، وهم اليوم يضطرون للدفاع عنها معتمدين علينا.

فإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الناحية.. بدأ الموقف مختلفاً تماماً. فالحكومة السعودية الحالية التي تحكم الأماكن المقدسة هي التي احتلتها بقوة الإنجليز أو بقوة العالم الغربي، وهم لا يملكون القوة والدفاع عنها، ويستدعون تلك الأمم الغربية مرة أخرى لنجدتهم. اليوم ليس مدلول «بريطانيا» كما كان وقتئذ حيث كانت وقتها تحكم العالم كله. أما الآن فقد امتزجت بريطانيا مع الأمريكان، واتحد فكرهم عملياً بحيث أن ما هو أمريكي فهو بريطاني في نفس الوقت؛ وما هو بريطاني فهو أمريكي. من هذه الناحية سلّمت بريطانيا ميراثها التاريخي لأمريكا. وهذا هو السبب في أن قراراتهم واحدة في هذه الفترة. وتختلف أوروبا شيئاً ما، ولا ضرورة للخوض في هذه التفاصيل.

الخلاصة أن الحديث عن الأرض المقدسة مكة والمدينة، ومحاولتهم جمع الناس دفاعاً عنها.. ليس سوى مكر وخداع. لا علاقة بين اشتراك الجيوش من البلاد الإسلامية وبين الدفاع عن الأماكن المقدسة. لا حاجة بها إليه، ولا صلة بما معه، ولا خطر يهددها. لو كان هناك خطر لكان من جانب غير المسلمين. ولو كان هناك خطر يهددها من جانب المسلمين.. فقد سبقت به المقادير ووقع بالفعل من جانب السعوديين.. وما استطاعوا احتلال هذه الأماكن إلا بمعونة من غير المسلمين!

وواقع الأمر إذن أن الدفاع عن هذه الأماكن قد بات موكولاً إلى غير المسلمين. وسواء شاركت الحكومات المسلمة أم لم تشارك، فلا علاقة لذلك بهذا الدفاع.. أعني الدفاع المحتمل.. إذ ليس هناك موضوع دفاع بعد، بل هو مجرد احتمال. ولكن لو تفكرتم بصدق.. ليس هناك أي احتمال لهجوم العراق على السعودية. إن العراق لا يملك القوة للدفاع عن نفسه أمام الهجمات المشتركة لتلك القوى العظمى. والناس كلهم يتعجبون رغم عدم التوازن العسكري الواضح، كيف يملك صدام حسين الجرأة على الاستمرار في رفض «الجهود المتكررة» للسلام، ويعلمون أنه تحت هذه الضغوط الهائلة سوف يُطحن كما يطحن القمح في الطاحون، ومستحيل أن يواجه تلك القوى العظمى فيدافع عن الكويت أو حتى عن بلده نفسه. هذا هو رأي الخبراء العسكريين في العالم. والكل يتعجب.. ماذا يحدث؟ ماذا يملك صدام حسين حتى يستمر في رفض كل «محاولات السلام»؟

مشاركة المسلمين صورية

فالواقع أن القوة الغربية هي التي سوف تقوم بكل عمل مؤثر في المنطقة، وهي التي تستطيع ذلك. أما طلب البلاد الإسلامية للمشاركة فهو لسبب آخر، لا صلة له بالدفاع عن الأماكن المقدسة. إنهم طلبوا من الحكومات الإسلامية أن تنضم إليهم لتكون رمزاً فحسب، وضموا معهم بلاداً أوروبية كذلك لتتشارك بصورة رمزية. وضغطوا كثيراً على اليابان ليشارك معهم. وهكذا حاولوا أن يضموا بلاداً أخرى من الشرق ومن الغرب. وليس السبب أنهم بحاجة عسكرية إليهم، ولكنهم يريدون تقديم هذا الصراع أمام العالم وكأن الرأي العام العالمي يعارض ذلك الطاغية. وإكراماً لهذا الرأي العام العالمي يصبحون فوق الملام، مهما ارتكبوا من أعمال العنف. فلو أنهم اتخذوا ضد العراق أشد الأعمال عدوانية، وشاركت معهم في هذا باكستان ومصر وتركيا وبلاد إسلامية أخرى.. فكيف يمكن أن تتحول هذه الدول المسلمة إليهم بعد ذلك ويقولوا لهم: لقد جئتم شيئاً نُكرأً. فالمشاركة تهميهم من الانتقاد، ولذلك رسموا هذا المكر، واختلقوا ضجة شديدة، وجمعوا الرأي العام بطريقة أجبرت العالم على مشاركتهم.. حتى ولو كانت المشاركة شكلية.. ويجلس المشاركون جانباً في هدوء. بل قالت بعض هذه البلاد الإسلامية صراحة إنهم لن يشتركوا في الهجوم، وإنما سيمكثون حول مكة والمدينة للدفاع عن الحرمات المقدسة! لقد قامت باكستان بهذا الإعلان السخيف.. كما لو أن الهجوم العراقي سوف يكتسح القوى العالمية العظمى، ويقضي عليهم، ويتقدم مئات الأميال ليصل إلى مكة والمدينة؟!!

ما هذا الفكر الصياني. الحق أنه قد قيل لهم تعالوا وامكثوا هنا في كنفنا وحمائنا بسلام. لا تقلقوا، فكل ما نريده منكم هو اسمكم ومشاركتكم الصورية.. فهذا يكفيننا! هذه هي الخطة الدولية الرهيبة.. أما كل هذا الضجيج فهو من الوسائل الدعائية التي تكفل تقديم المسألة في إطار جذاب من الخداع.

لماذا يُصرّ العراق؟

والسؤال الذي يطلّ برأسه الآن: كيف يمكن لصدام حسين ألا يفهم هذه الحقيقة البسيطة الواضحة ولا يتعرف عليها؟ لماذا يصر: لا، لن أنسحب من الكويت تحت هذه الشروط؟ بالإضافة إلى أمور أخرى.. أحسّ صدام حسين بأن هدفهم ليس مجرد إجلاء العراق عن الكويت، بل قد قرروا تجريد العراق من السلاح بكل سبيل، وتَرْكِهِ بلا حول ولا قوة، والانسحاب من الكويت هو الخطوة الأولى. ولذلك لا يقولون: لن نهاجم العراق؛ وسننهي المقاطعة الدولية ونوقف الحصار الاقتصادي؛ ولن نطالبكم بإغلاق مصانع الأسلحة الكيماوية الفتّاقة ومولدات الطاقة النووية. لا يقولون شيئاً من ذلك، ولكنهم في نفس الوقت، وفي كل مكان يتوعدون بهدوء.. ويقولون: بعد الانسحاب سوف نفعل شيئاً. والعراق يعرف ذلك جيداً، ويدرك أن المسألة ليست مشكلة الكويت فحسب.. بل إن الهدف الذي من أجله يساندون الكويت لن يتحقق بانسحاب العراق منها، ما دام العراق لم يتجرد عن قوته تماماً.

فالخلاصة أن الرئيس صدام لا يواجه خيارين.. وإنما هو خيار واحد هو: إذا كان هؤلاء عازمين على تحقيق أهدافهم الخبيثة.. فمن واجبنا أن نموت.. ولكن بحيث نلحق بهم أشد ما يمكن من الضرر.. ونعجزهم إلى الأبد،

ونقضي على قوتهم وكبرهم. هذا في أرى هو السبب في إصرار صدام حسين على ألا ينسحب من الكويت بشروطهم. من المحتمل خلال مباحثاتهم مع المستر بيريز دي كويلار، السكرتير العام لمنظمة الأمم المتحدة، أن يتضح بعض الأمور، وآمل عندما تبدأ هذه المباحثات أن يخلصوا إلى نتيجة يحصل بها العراق على تأمين وتأكيد بلسان الأمم المتحدة أنه إذا انسحب العراق من الكويت فسوف نعالج المشكلة العربية كلها في ذات الوقت، وسوف نوليها انتباهنا، ولن تكون هناك ضد العراق تجاوزات بعد ذلك من أي نوع، وسوف ترفع المقاطعة الدولية، ولن يتدخلوا في أمره.

أهداف الغرب الحقيقية

لو أنهم وضعوا هذه الشروط أمام العراق في عبارات واضحة.. فإني على ثقة من أن العراق مستعد للدخول في السلام. ولكن ما أخشاه أن هذين الشرطين يتعارضان بشدة مع ما تريده دول الغرب التي أثارَت هذه الضجة الشديدة في أنحاء العالم، ولا يمكن لها أن تقبل بهذين الشرطين بأي ثمن. فلو لم تكن نيتهم تدمير القوة العسكرية للعراق، ولو لم يكن هدفهم حماية إسرائيل.. ما كانوا ليرفعوا الصوت أبداً بسبب احتلال الكويت، وما كان للكويت عندئذ أي صلة قهمهم. هذان هما الهدفان الكبيران اللذان لأجلهما أثاروا كل هذا الضجيج. فكيف يمكن أن يقبلوا هذين الشرطين الذين يخالفان هدفهم ويخيبان أملهم ويحبطان خططهم. هذا هو التحليل النهائي للموقف الراهن.

ضدّان لا يجتمعان

وأود أن أذكر الجماعة الإسلامية الأحمدية مرة أخرى أننا، رغم الاختلافات القومية والدينية، لا يمكن أن نسمح للتعصب أن يتسلل إلى قلوبنا ونتخذ قراراً مبنياً عليه.. لأننا نؤمن من قلوبنا وأرواحنا أن من يحمل التعصب، أو يقضي بناءً على التحيز.. لا يحق له أن يسمى نفسه مسلماً مؤمناً بالمعنى الصحيح. إن الإسلام والتعصب طرفان كالشرق والغرب لا يلتقيان. ويقتضي الإسلام الحق أن يصدر كل قرار ابتغاء مرضاة الله تعالى. هذه هي التقوى، وهي أساس كل شيء. كل قيمة إسلامية تقوم على التقوى. وجمال التقوى أنها ليست حكراً لدين بعينه، بل ينبغي أن تكون التقوى هي النقطة المركزية لكل دين، وحوها تدور تعاليم كل دين. التقوى أن يكون كل فكرك تابعاً لما يرضي الله تعالى، وقبل إصدار كل قرار ينبغي أن ترى ماذا يريد الله منك. ولذلك أتوقع من الجماعة الإسلامية الأحمدية.. والتقوى نصب أعينهم.. أن يتتهلوا إلى الله عز وجل من أجل البشرية جمعاء.. كي تكون القرارات نابعة من التقوى، وألا يدع الله قوماً يقاسون تلك الآلام التي تكون عادة في مثل هذه الأحوال.. وإنما يؤثر الله في قلوبهم تأثيراً عظيماً.. ويجعلهم يتوبون ويصححون موقفهم، ويفقههم الله عز وجل للعودة إلى الحق.

أدعوا للعالم كله.. ليهب الله لهم سلاماً، وما أعنيه ليس السلام الظاهري.. وإنما سلام العقل؛ لأنني أرى رؤية الحقيقة الثابتة أن سلام العالم يتوقف على سلام العقل وسلام القلب. إن الذين حُرّموا سلام العقل لا يمكن لمجتمعهم البقاء في سلام. فإما أن يتعرض العالم للأخطار من ناحيتهم، وإما أنهم أنفسهم يتعرضون للأخطار من

ناحية العالم. واضطراب الفكر واضطراب القلب يُحدثان اضطراباً في الخارج. فعليكم الدعاء أمام الله تبارك وتعالى كي يصلح طريقة تفكيرهم، ويصلح قلوبهم، ويصلح مجتمعاتهم، ويمنحهم السلام القلبي، والسلام العقلي.. لِيَنعَمَ العالم كله بالسلام.

نتائج تدمير العراق

ونظراً للموقف الراهن.. ادعوا دعاءً خاصاً كي يمنح الله تعالى بلاد المسلمين من العقل ما يصدّهم عن الانضمام إلى البلاد الغربية في طغيانهم، حتى لا يدمروا قوة إسلامية كبيرة.. بسبب تطلعاتهم الطامعة المتعلقة بمصالحهم الذاتية. ينبغي ألا يضعوا توقعاتهم على هذا القرار.. فيسجل في تاريخ العالم أن دولة كذا وكذا اتخذت أتعس قرار في تاريخها.. قراراً يُكْتَبُ بأشأمِ مداد.. تترتب عليه تغيرات عالمية هائلة.. ويكتب عنه المؤرخون فيما بعد أنه القرار الذي دمر سلام العالم إلى الأبد؛ وأن الحرب التي خاضوها باسم السلام ولدت حروباً لاحقة.. لم يبرح سلام العالم مضطرباً بها. هذا الذي سوف يكتبون غداً في صفحات التاريخ، نراهم اليوم يكتبونه.. ما لم تُفَقَّ بلاد المسلمين وتراجع في الوقت المناسب عن الخطوات الخاطئة وتصحح تفكيرها. لو أنهم مضوا في هذا الدرب.. فسواء دُمِّرَ العراق أم لا، وسيتبين ذلك غداً، لا بد أن يضطرب سلام المنطقة إلى الأبد، ولن يتمكن العرب من العودة إلى ذلك الحال مطلقاً، وسوف تنهض إسرائيل كقوة أعظم من ذي قبل، فلن تفكر قوة عربية بعد ذلك أن تقف في وجه إسرائيل.. لزم من طویل على الأقل. ونتيجة لكل ذلك، ستحدث أزمة اقتصادية عالمية عميقة. ولما كانت بلاد العالم المتقدمة نفسها تعاني من الركود الاقتصادي.. لذلك سوف يشتد تدهور اقتصاد العالم الثالث، وسوف تتولد الآثار السياسية التي سَتُشعل حروباً جديدة، ويستمر سلام العالم في اضطراب يوماً بعد يوم. ومجمل القول إن كل هذه البلايا سوف تواجههم في المستقبل إذا لم تصلح بلاد الإسلام من موقفها.

يردد المفكرون الغربيون عبارة: إن الكرة في ملعب العراق الآن، وفي يد الرئيس صدام أن يضرب الكرة في الاتجاه الذي يريد، إما ناحية الحرب أو ناحية السلام. وهذا القول غير صحيح. لقد قيّدتم يد صدام، وجعلتم الموضوع بحيث لا يكون صدام في مفترق الطرق.. وإنما يواجه طريقاً واحداً، إذا خطا فيه لقي الخراب، وإذا تراجع عنه صادفَ الدمار. إذا مضى إلى الأمام فهلاك مدمر سريع، ولكنه في نفس الوقت يكبّد العدو بعض الأذى، وإذا تراجع فليس له إلا الموت. لو أنكم فتحتم له سبيلاً للاتفاق الشريف لأمكن له أن يقرر ويختار أي السبيلين يسلك: الحرب أو السلام. أما الطريق الذي تضطرونه إليه فهو إما الموت أو الهلاك خنقاً وخنزياً! فالكرة ليست في ملعبه، وإنما هي في ملعب البلاد الإسلامية. إذا فهم المسلمون الموقف الراهن فهماً صحيحاً، وشاءوا أن يدفعوا عن أنفسهم لوم اليوم.. بل ولوم التاريخ، وربما لهذا السبب وحده، لو أنهم راجعوا قرارهم وأعلنوا على العالم: إذا كان علينا تسوية الأمر مع العراق فلسوف نسويه، ولكن ينبغي على القوى الغربية أن تغادر بلادنا. إذا أراد الغرب أن يساعدونا فليفعلوا معنا ما كانوا يفعلونه مع العراق في الماضي القريب.. عليهم أن يزودونا بالسلاح ويتركوا الأمر لنا كي نسويه بأنفسنا؛ إذا أعلن المسلمون ذلك اليوم.. فلن تجد قوى الغرب

عذراً لمهاجمة العراق بقوتهم العسكرية. ولو أصر الغرب بعد ذلك على استخدام العنف فلن يكون الأمر بهذه السهولة، لأن العرب والعالم الإسلامي كلهم سوف يتمردون عليهم. هذا هو الموقف الحقيقي. ابتهلوا إلى الله تعالى كي يمنح المسلمين الذكاء، ويُلهمهم انتهاج الفكر السليم، ويوفّقهم لاتخاذ القرار الشجاع.. فلا تجدد الدول الأخرى ذريعة للتدخل في العالم الإسلامي. ولكنني للأسف لا أشهد دلائل ذلك بعد. ويشعري المدى الذي وصلوا إليه أن أساسه الأناية الشديدة.. ونتيجة لهذه الأناية لا تلعب روابط العروبة، دعك من الأخوة الإسلامية، أيّ دور في طريق أفكارهم. فلا يفكرون في جبرتهم، حتى ولا يشعرون بالأخطار التي سوف يعاني منها العالم العربي. كل هذه الأمور بعيدة عن مجرى تفكيرهم. لقد سيطرت متطلبات مصالحهم الأناية على كل فكر آخر.

١٥ يناير.. لماذا؟

لو تأملت فستندهشون. لماذا يتمسكون بموعد الخامس عشر من يناير؟ لم يحدد الله جل علاه هذا الموعد. فلماذا يحدث كل ذلك؟ كنتم في بادئ الأمر تقولون بتوقيع المقاطعة الاقتصادية، وأنها سوف تؤثر على العراق في خلال عام؛ وإن كان من المحتمل ألا يظهر أثرها الكامل في خلال ستة شهور. هكذا كانت أمريكا تتحدث علناً في هذه الأمور، وكان خبراء الغرب يذكرون تقديراتهم على هذا النحو. فما الذي حدث هكذا فجأة.. مع أن المقاطعة بدأت بالفعل تؤتي آثارها وقاسى العراق منها كثيراً؟ لماذا بدلاً من الانتظار حتى يزداد العراق ضعفاً وضيقاً من المقاطعة.. أراكم تتعجلون الهجوم العسكري؟ ما صلة الموضوع بيوم الخامس عشر من يناير؟ تفكرت في الموضوع، وأحسب أنه متصل بأناية السعودية وحلفائها. تتحمل السعودية نفقات هذه الحرب.. وهم أشدّ بخلاً على الرغم من ثرائهم العريض. لعلهم قدّروا وقالوا لو انتظرنا حتى تنهار مقاومة العراق بفعل المقاطعة فسوف تذوب أموالنا لأننا ندفع ونتكلف البلايين. سوف يهلك رصيدنا في البنوك. لذلك أسرعوا وفضّلوا مواجهة مخاطر الحرب حتى لا يُفلسوا، وضغطوا على أمريكا لتعجل بالحرب. طبعاً، لا يمكن أن تتحدث أمريكا في هذا الأمر علانية وتكشف عن من يضغط عليها. فالرئيس بوش يتعرض للفضيحة في بلده، ويسأله الكونجرس عدة مرات: لقد قلت بالأمس أن المقاطعة مؤلمة للعراق بهذا الشكل وذاك الشكل، وسوف يضطر العراق إلى الخضوع في مدى عام.. والآن لم غيرت قراراتك فجأة، ولا تتحدث إلا عن الحرب؟ كيف يمكن للرئيس بوش أن يرد على هذه الأسئلة ويقول لهم بأننا كالمترزة الذين يُستأجرون للقتال في هذه الحرب.. يأمرون بأمر سيدهم الذي يدفع لهم؟ كيف يقول إن من استأجرهم يطالبهم بالإسراع، ويقول لهم: هيا يا رفاق.. فلا أستطيع تحمل النفقات أكثر من ذلك؟ هذا هو الموقف الحقيقي.

أين الكرة الآن؟

ولذلك، عندما أقول إن الكرة في ملعب البلاد الإسلامية.. فقولي هذا من ناحية المعنى الإجمالي الذي ذكرته لكم، ولكن من ناحية الواقع.. فالسبب الأساسي لقولي هو أن القرار في يد السعودية.. التي يدفعها ارتفاع قائمة تكاليف الحرب إلى الإسراع بتدمير العراق في أقل وقت ممكن.. حتى ينتهي القتال، ويعود الوضع إلى

الحال العادي. ولكن من أقصى حماقات تفكيرهم أن يتوقعوا عودة إلى الأحوال العادية. بعد الحرب ستكون كل علامات «العادية» قد انمحت تمامًا. إذا دُمّر العراق فسوف يُدمّر معه كل التاريخ الماضي، وسوف يتبدل المزاج العام في البلاد العربية تمامًا. سوف يتغير تفكير الأمم العربية، وينشأ عصر جديد ومناخ جديد. هؤلاء القوم ذوو الأحلام الحمقاء يريدون تسوية النزاع بسرعة كي يعودوا إلى الحال الطبيعي، ولكن لن يكون بوسعهم الرجوع أبداً إلى أي حال عادي، بل عجلة التاريخ لن تتوقف عن دفعهم أمامها.. ليواجهوا أشدّ المواقف خطورة، ولن يستطيعوا تجنبها. إنهم اليوم يركبون تلك الأمواج التي تجري بهم كسيول الجبال.. ترغي وتزبد وتتلاعب بأضخم السفن.. وعندما تنحدر هذه السيول كالشلالات الهادرة فسوف تحطم أكبر الأشياء وتُحيلها أشلاء. هذه هي أمواج الزمان.. يمتطونها الآن، ولا يستطيعون الرجوع عنها. هناك طريق واحد للعودة.. ذلك بالرجوع إلى التقوى، وأن يتخذوا قرارهم والله تعالى في حسابهم. ينبغي أن ينظروا إلى مصالح أمة المسلمين، وأن يوطنوا أنفسهم على التضحية بمصالحهم الأناجية. لو أنهم فعلوا ذلك لأشرق على الإسلام فجر عصر جديد بإذن الله تعالى.. عصر جديد لا يشبه الماضي، وإنما أفضل آلاف المرات من العصور السابقة، ويزداد فضلاً كل يوم.

فأرجو أن الله تعالى يهبهم الفهم، وإذا كان لا نصيب لهم في الفهم برجائنا.. فأبتهل إليه تعالى أن يمنحهم فهماً استثنائياً. وأذكر المسلمين الأحمديين بأننا جد ضعفاء، ولكن بوسعنا الدعاء، ونعرف كيف ندعو، ولقد ذقنا ثمرات الدعاء من قبل، ولا نزال ندوقها. عندما تقولون في صلاتكم ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ضَعُوا الموقف الراهن تحت أنظاركم، واسجدوا لله، واذكروا أن حرمة مكة والمدينة ترتبط بالعبادة، وستبقى مرتبطة بها. إنهما بلدتان مقدستان لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عبداً لله فيهما. ادعوا أن يا ربنا.. نحن الآن عبادك الخاشعون المتضرعون، علينا إحياء تلك العبادات في هذا العالم.. ليس على نفس المستوى من الروعة والبهاء.. وإنما بالقدر الذي تُمكننا منه. ونحن يا رب نسعى لإحياء هذه العبادة وبنفس الطريقة. نبتهل إليك يا ربنا أن تتقبل دعاءنا وتعيننا. اللهم إنك إن لم تُعن أولئك الذين يعبدونك فستختفي عبادتك من الدنيا، وتُنمحي السعادة بعبادتك من الأرض. اللهم تقبل دعاءنا ﴿إياك نعبد﴾. إنا يا ربنا، لا نتطلع إلى أمة من أمم هذه الدنيا.. وإنما نتطلع إليك وحدك. إنا نسجد لك، فأعنا.

إذا تقبل الله جل وعلا دعاءنا، وإذا صعد الدعاء من أعماق قلوبنا، وإذا دعا المسلمون الأحمديون جميعاً بهذا الدعاء في أنحاء الدنيا.. فليس ببعيد أبداً أن يتقبل الله هذا الدعاء، وعندئذ ترون بإذن الله تعالى أن الكرة لن تبقى في يد أحد، وإنما ترتد إلى قدر الله تعالى. وسيكون دعاءكم بحيث تقع يده على قدر الله، أو تمس أنامله قَدَمَ التقدير الإلهي.. وعندئذ لن ينفك القدر الإلهي يكون مع دعائكم.

الآن يجب أن تُروا الدنيا هذه الألوان المتغيرة، وتخبروها أن الله تعالى لكم، وأنه معكم.. وأن من كنتم معهم كان الله تعالى معهم.

صَحِّحُوا قِبَلَتَكُمْ!

بير بكارا.. سياسي مرموق في باكستان، وَهَبَهُ اللهُ مهارة خاصة لم أشهدها في سياسي باكستاني آخر. ذلك أنه أحياناً يعبر عن حقائق من الحكمة في لغة فكاهية لطيفة.. لو يُعبر عنها بكلمات صريحة لا تُحدث نفس الأثر. ويقول أيضاً أشياء لا تُعدُّ مناسبةً في بعض المواقف إذا قيلت علناً، ولكنه يستطيع التعبير عن أفكار كهذه بلغة رمزية ملفوفة بالفكاهة.. وله فيها باع طويل.

سأله أحدهم منذ فترة: ما رأيك في المشكلة التي يواجهها ما كان يسمى من قبل باكستان الشرقية (يعني بنغلاديش)؟ فأجابه بير بكارا: لماذا تسألني عن أشياء من الشرق، مع أن قبَلتنا ناحية الغرب.. وإلى الغرب نسجد؟ لذلك فاسألني عن الأشياء التي من الغرب.

ما ألطفَ هذا البيانَ وما أعمقه مغزى! لا شك أنه ملفوف بالفكاهة، ولكنه ينطوي على حقيقة موجعة للغاية.. ولا تزال تتضح يوماً بعد يوم. تلك الأمم التي تعيش إلى الشرق من بيت الله قبَلتْهم إلى الغرب في كل حال.. ولكن بير بكارا لم يكن يقصد هذا، وإنما أراد القول إن قبَلتْهم الظاهرة جهة الغرب في اتجاه البيت الحرام، ولكن قبَلتْهم الباطنة في جانب آخر. يذهل الإنسان من سَدَنَةِ بيت الله الحرام.. الذين يعيشون في حرمة، ومع ذلك يسجدون ناحية الغرب! وتقتضي حماية المسلمين اليوم من المشاكل العالمية أن يصححوا قبَلتْهم في المقام الأول.. وإذا لم يفعلوا ذلك.. وإلى أن يفعلوا ذلك.. لن تحل مشكلة من مشاكلهم.

قبَلتان!

لقد أتى على الأمم الإسلامية زمن انقسمت فيه إلى فريقين: فريق قبَلته نحو الشرق، وفريق ثانٍ يتوجه نحو الغرب؛ ولم يتخذ أحد منهم بيت الله الحرام قبلة له. وبجثاً عن حل لمشكلاتهم كانوا إما يتطلعون نحو قوى الشرق أو نحو قوى الغرب. وعلى إثر التغيرات السياسية التي جرت في الاتحاد السوفيتي، وما تم بين أمريكا وروسيا من سلام، تهدمت إحدى القبَلتين.. ولم يبق لهم سوى قبلة واحدة. ولكن القبلة الحقيقية التي لا تنهدم أبداً.. القبلة التي جعلت سبيل الخلاص للمسلمين في كل الدهور.. لا يولّون وجوههم نحوها. فأهم حاجات المسلمين في الوقت الحاضر أن يصححوا اتجاه قبَلتْهم.

إن الموقف الرهيب الذي يقف فيه عالم الإسلام والذي يُنزل عليهم بؤساً وشقاءً، يتولد عنه أنواع شتى من ردود الفعل.. سأتناولها بإيجاز أمام الجماعة، ثم أذكّرهم إن شاء الله تعالى بما ينبغي أن تكون عليه استجابتهم على ضوء تعاليم الإسلام.

نصيحتي للعراق

هناك قطاع كبير من البلاد الإسلامية بقيادة السعودية، يعتمدون كلية على القوى الغربية، ولا يجدون غضاضة في ذلك ولا يستشعرون خزيًا، ولا يحسّون اهتماماً أو يبدون اكتراثاً تجاه التمزق المستمر في عالم الإسلام، وتجاه فرقتهم التي تزداد عمقاً يوماً بعد يوم. والجماعة الإسلامية الأحمدية.. لم تؤيد أبداً العراق فيما

فعل.. وكما سمعتم في خطبي السابقة.. لم نوافق على احتلال الكويت. وموقف الجماعة الإسلامية الأحمدية ثابت لم يتبدل، لأن تعاليم الإسلام توجب على المسلم أن يعين أخاه المعتدي بكف يده عن العدوان. ولقد حاولنا مرة بعد أخرى مساعدة العراق من هذه الواجهة، وبعثنا إليه بالرسائل، وبكل طريق بينت الأمور في خطبي، وشرحت له أنك تدخل ساحة الظلم من ناحيتين.. ولو أردت معونة الله تعالى.. لزمك أن تسحب يدك مبتعداً عن العدوان. إن أول ما يجب عليك هو سحب جيشك من الكويت، ثم عرض نزاعك مع الكويت للحل في ساحة الأخوة الإسلامية.. وليس أمام الأخوة العالمية؛ ويجب أن يتم الحل في إطار السلام والوفاق. هذه هي تعاليم القرآن الكريم، وعلى ضوءها قدّمنا النصح لبغداد.

الأمر الثاني الذي عرضناه عليه أن مواطني البلاد الأخرى الذين يعملون في بلدك، ورجال السلك الدبلوماسي هم وديعة الله عندك، فلا تضيّع وديعة الله. وبفضل من الله، وصلته رسالتي أم لم تصله، اتخذ العراق قراراً حكيماً قائماً على العدل، وصحح موقفه، وسلك مسلكاً منصفاً بأن استغنى عن «الدرع البشري»، وأعلن إطلاق سراح كل الأجانب المقيمين في العراق.. ليعودوا إلى بلادهم وقتما يشاءون. حتى إنه سمح اليوم للصحفيين بتسهيلات لا يحصلون عليها في بلاد الغرب في مثل ظروف الحرب، ودعاهم ليتفقدوا الموقف، ويبحثوا بالأخبار إلى الخارج. فهذا هو قد أوقف العدوان من ناحية واحدة.

أما من ناحية احتلاله الكويت، فالله تعالى هو وحده الأعلّم بما هناك من حكمة أو ضرورة أو إكراه جعله يرفض الانسحاب، ودفعه إلى الإصرار.

حقيقة «تضحيات الغرب»

إن الحرب الرهيبة الجارية معركة من جانب واحد. لقد تكتلت كل القوى ضد العراق، وضموا إليهم بعض المسلمين ليُظهروا أمام العالم أن الحرب ليست بين المسلمين وغير المسلمين، بل إنهم يبذلون التضحيات لمساعدة بلد مسلم في حربه ضد المعتدي.

فما هي حقيقة هذه التضحيات وما صلتها بالواقع؟ العالم بأجمعه يعرفها. الواقع أن تضحياتهم من الصنف الذي تُصَبُّ فوائده الهائلة إلى خزائن الغرب بقدر لا يستطيع الإنسان العادي تخيله. أما الدعايات التي ترددها أجهزة الإذاعة والتلفزيون فتخفي وراءها كثيراً من احقائق، ولا يمكن بدون فهمها التعرف على من هو حقاً المستفيد من تلك القوى المتحاربة، ومن يلقي الخسران.

وكما تعلمون لن يعاني العراق سوى الخسران، وموقفه شديد الألم. ولقد قلت للعراق في خطبي بصراحة ووضوح: كان الواجب عليكم التريث. لقد أعطاكم الله تعالى قوة، وكنتم بحاجة إلى وقت طويل حتى تزداد قوتكم وتكتمل. ولقد كانت قراراتكم غير ناضجة وقبل أوانها وغير سليمة، لذلك ارفعوا أيديكم من هذا التصرف الظالم، واعملوا لمزيد من التقدم.

صلاح الدين الأيوبي!

وفي اجتماعنا السنوي الماضي (يوليو ١٩٩٠) سألت المسلمين أن يدعوا الله تعالى كي يهبنا «صلاح الدين». ومنذ وقت قريب شاهدت أحداث العراق في أخبار التلفزيون، ثم حوّلت القناة فوجدت برنامجاً يعرض مظاهرات لبعض المشايخ، يهتفون للرئيس صدام حسين على أنه صلاح الدين. ولكن الحق أن صلاح الدين لم ولا يتولد نتيجة للعواطف الثائرة والمحبة العمياء. لم أقصد بقولي هذا عن صلاح الدين أن يقيم المسلمون لأنفسهم وثناً يطلقون عليه اسم صلاح الدين. إن الإنسان بحاجة إلى كثير من القدرات ليكون صلاح الدين، ثم مع هذه القدرات لا بد من صبر طويل.

كان على السلطان صلاح الدين أولاً أن يوحد عالم الإسلام، ولذلك كرس شطراً كبيراً من حياته للعمل على توحيد الحكومات العربية المتشتتة وإقامة حكومة مركزية. وبعد أن اطمأن وارتضى بالأحوال الداخلية تحدى العالم الغربي دفاعاً عن فلسطين. ويعلم العالم أنه كما تحالفت قوى الغرب اليوم ضد بغداد.. كذلك فعلوا وقتئذ بشغف وحماس شديدين، وبروح الحرب الدينية التي ولدت فيهم نوعاً من الجنون، وحاولوا مرات عديدة بقوة وحماس وسُعر تحطيم قوة صلاح الدين. وبالرغم من أن صلاح الدين كان أضعف منهم نسبياً في القوة العسكرية، ولم يكن يتميز عنهم بقدرته قتالية خارقة.. إلا أنه فاز بنصر الله تعالى مرة إثر مرة.

النقطة السوداء

كان صلاح الدين حائزاً على عدة خصال طيبة. كان تقياً راضياً مستسلماً لإرادة الله تعالى. كان رجلاً لم يتمكن حتى أشد أعدائه الأوروبيين أن يلحقوا عليه لوماً بسبب ظلم أو سوء سلوك. يقول الباحثون الذين دققوا في تاريخ صلاح الدين أنهم لم يجدوا شيئاً واحداً يأخذونه عليه كإساءة إلى الإنسانية أو تجاهل لحقوق الإنسان، أو ممارسة شيء من الظلم أو القسوة أو اتباع مسلك قبيح. ثم قالوا نعم، إنهم وجدوا حادثة واحدة، ولكن كتب عنها نفس المؤلف الأوروبي أنها من اختلاق الغرب ولا صحة فيها. قالوا إن أميراً أوروبياً قصد مدينة الرسول ﷺ ليهدمها ويزيل الضريح النبوي منها. وعندما بلغ مشارفها تمكّن صلاح الدين من إلحاق الهزيمة به وتقويض خطته الخبيثة. عندما أخذ الأمير أسيراً وأوقف بين يدي صلاح الدين، أراد الأمير العطشان أن يمد يده ليتناول كأساً من شراب، ولكن صلاح الدين عاجله بضربة من طرف سيفه حطّم بها الكأس وحرمه الشراب. لقد انتصر صلاح الدين على جيش هذا الأمير، الذي كان أكثر منه عدداً وعدة، بمناورات ذكية وكمائن ماهرة في الصحراء.. أرغمت العدو على كثرة التحرك في اتجاهات ترهقه وتبعده عن مصادر الماء. ولما مثل الأمير أمامه كان شديد العطش، وحرمه صلاح الدين من الشراب.

هذه هي النقطة السوداء التي يزعمون أنهم وجدوها بعد تنقيب دقيق في حياة صلاح الدين وأخلاقه، وغير ذلك لم يجدوا شيئاً يعيبه. يقول المؤلف، وقد قرأت كتابه منذ زمن طويل ونسيت اسمه: إن الذي يحسب هذا التصرف خطأ من جانب صلاح الدين لا يفهم المزاج العربي، ولا يفهم الأخلاقيات العالية في التقاليد العربية. فمن هذه التقاليد الأخلاقية السامية أنهم لا يوقعون العقوبة على من يشرب ماء أو يتناول طعاماً من بيتهم مهما

كانت فظاعة جرمه. ولكن جريمة هذا الأمير كانت انتهاك حرمة مسجد وضريح المصطفى ﷺ، وهي من القبح والشناعة بحيث لا يمكن أن يغفرها له رجل محب للرسول ﷺ مثل صلاح الدين مهما كان الثمن. فرأى صلاح الدين أن من سوء السلوك السماح للأمير بتناول شراب من فوق مائدته، ثم ينفذ فيه العقوبة، ولكن ليس من سوء السلوك أبداً أن يتركه ظامئاً للحظات قصيرة قبل موته.

كان صلاح الدين رجلاً عظيماً ذا إدراك عميق لأخلاقيات الإسلام.. حتى أطلق عليه بعض المؤرخين الغربيين اسم عمر بن عبد العزيز الثاني، وقالوا: لقد انعكست أخلاقيات وروحانيات عمر بن عبد العزيز تارة أخرى في العالم العربي في شخص صلاح الدين.

وإذن لم يُصنع صلاح الدين من ثوران العواطف فحسب، ولكن اسم صلاح الدين نفسه يتطلب صفات طيبة عديدة. ربما استثار البرنامج عواطف بعض الأحمديين، وقالوا في أنفسهم: لقد دَعَوْنَا الله تعالى ليقوم في المسلمين صلاح الدين.. وها قد استُجيب الدعاء وظهر صلاح الدين على الفور! هذه أمور صبيانية، وينبغي أن يكون تفكيركم ناضجاً، لأنكم خُلِقتُم لقيادة الدنيا كلها، وها أنا ذا أذكركم بمقامكم. لم تُخلقوا لقيادة أمة بعينها أو دين بذاته، وإنما اكتسبتم المقدرة على القيادة من كونكم خدام مولانا وحبينا محمد المصطفى ﷺ، وأوتيتهم إمكانيات إمامة العالم كله، لأن المصطفى ﷺ بُعث لإمامة الدنيا كلها، وأقامه الله ليمد العالم بصادق النصيح وسليم التوجيه، ولم يحصل الذكاء الإنساني من قبل على مثل هذا الكمال المحمدي أبداً. كان قلبه كاملاً، وكان فكره كاملاً، لم يتدخل الهوى قط في فكره بما يخالف الشرع ﷺ!

ليست مباراة كريكت؟

والموقف المؤلم الرهيب الذي يواجهه العالم اليوم.. ينظر إليه البعض كمباراة في الكريكت يجلس الصغار والكبار حول التلفاز طوال اليوم يشاهدونها ويستمتعون بها. إنها ليست لعبة الكريكت.. بل هي أشد الحروب فظاعةً وإيلاماً. لا بد وأنكم سمعتم عن القصف السجادي (Carpet Bombing)، الذي يعني الهدم والتدمير الشامل لمنطقة كلها. في هذا القصف تلتقي حافات الحفر الناجمة عن القنابل وتتلامس.. وهذا هو نوع القصف المتبع ضد العراق. قالوا إن ما أُلقيَ على العراق في ليلة القصف الأولى من أشد القنابل فتكاً يفوق ما أُلقيَ على هيروشيما. ومنذ ذلك الوقت وهذا القصف مستمر بعنف على العراق.

في مثل هذا الموقف.. تمتلئ القلوب المسلمة بالآلام.. أعني قلوب أمة الإسلام التي تحب الإسلام، وتحب الإنسانية، وتحب السلام لبني الإنسان، وتود ازدهار القيم الإنسانية.. والتي لا يمكن أن تستشعر السعادة لفوز التعصب من جانب إحدى الأمم. هذا هو عالم الإسلام الذي نتحدث عنه، وهو الذي يقاسي أشد الألم بما يعتصر قلوبهم ليل نهار. ولا يعني ذلك أبداً أنهم يؤيدون قرارات الرئيس صدام حسين. أبداً، ليس هذا هو المعنى.

عندما ضرب الرئيس صدام إسرائيل بصواريخ سكود، نجم عن ذلك ضرر ضئيل لا يزيد عن حادثة حافلة عادية، وتُسفر الهزة الأرضية عن أضرار تفوق ذلك آلافًا ومئات الآلاف من المرات. والإرهابيون الذين يقدون

إلى هنا من إيرلندا يفجّرون قنابلهم فيحدثون خسائر أكثر منها بكثير. ولكن هجمة صدام على إسرائيل أزعجت العالم كله! أو هكذا ادعى رئيس الوزارة البريطانية. قال: لقد انزعجنا! لقد أصابه الدهول، وتأم بصورة غريبة فلا يجد كلمات للتعبير عن ألمه! هكذا تعبر قوى العالم عن تعاطفها مع إسرائيل. وفي مثل هذه المواقف تصدر القرارات لاتخاذ خطوات تزيد في معاناة العراقيين. ولما كان العراقيون أغلبهم لا يشاركون وغير مسئولين عن قرار الحرب، لذلك ينبغي على كل إنسان نبيل في هذا العالم أن يحس بالألم.. مسلماً كان أو غير مسلم. أولئك العزّل المساكين بلا حول ولا قوة.. يعانون من الجوع.. ويُمطّرون القنابل بقسوة وعدوانية شديدين، ومع ذلك لا يقول أحد بأنه «انزعج» لما يحيق بهم، أو يقول: ما أشدّ الضرر الذي ينزل بهم! ولكنهم انزعجوا للحادثة مع إسرائيل. ولعل انزعاجهم كان خشية على العراق من انتقام إسرائيل التي تنزل بهم عقاباً فظيماً مضاعفاً لما وقع بهم! لعل هذه هي الحكمة وراء قولهم «انزعجنا»! ولكن هناك أخطاراً أخرى.. تلك هي أخطار الأناية. يخشون من انتقام إسرائيل حتى لا يترتب عليه انقسامات في العالم الإسلامي.. وهم أصلاً منقسمون. فإذا ازداد انقسامهم وساندت العراق بعض بلاد الإسلام كان في ذلك مزيد من الصعوبات أمام الغرب!

رحماء للكفار أشدّاء بينهم!

على أي حال، لقد زادت المشاكل نتيجة أفعالهم التي لا يمكن أن يرضى بها أحد في العالم ممن يتعاطفون حقاً مع الإنسانية والإسلام. لا يجدر بأحد أن يرضى عن معاقبة العراق هذا العقاب المريع.. لأن الرئيس صدام أصدر قراراً خاطئاً لا يرضى به الشخص العادي، ناهيك عن المسلم. ولكن يندهش ويذهل المرء حين يشاهد هؤلاء الأمراء وغيرهم من الكويتيين والسعوديين الأثرياء وهم يشاهدون هذه المناظر على الشاشة جالسين عاطلين مبتهجين ضاحكين لدى سماع أخبار الدمار الواقع بالعراقيين. عندما ترى هذه المشاهد لا تستطيع وصف ما يعترى القلب من ألم، وتنظر بذهول وتقول: من هؤلاء الناس الذين لا يزالون يعلنون على دقات الطبول أنهم أهل التقوى، وأنهم جند الإسلام من الطراز الأول، وأنهم حَمَلَةٌ مفاتيح بيت الله، وأنهم القائمون على حماية المقدسات الإسلامية، وأنهم أهل القيادة العظمى للإسلام؟! إنهم لا ينفكون عن قول هذه الدعاوي العريضة.. ولكن انظروا حالهم وقيمهم الأخلاقية التي تتجلى أثناء نزول أشدّ الفظائع بالبلد المجاور لهم. عندما يُرفع الستار عن آثار هذه الحرب فيما بعد.. سوف يبكي التاريخ طويلاً على مظالمهم. لقد صارت فظائع هولاءكو خان من أحداث الماضي، بل إن الدمار الذي وقع في الحرب العالمية الماضية جعل أعمال هولاءكو خان تبدو كالأحلام. وهم اليوم يعترفون بألستهم يقولون: دَعَكُمْ من حديث الحرب العالمية وحرب فيتنام، فالقصف الجاري اليوم في العراق لا مثيل له في أي عمل عسكري في العالم. وإذن فالضحك لمراى هذه الفظائع، والابتهاج بهذه الطريقة لا يليق بأي إنسان شريف. هذا السلوك المتدني وهذه الأخلاق الذميمة رأيتها لأول مرة، وانددهشت من هؤلاء القوم الذين أتيح لهم هذا الثراء العريض. أهذا هو أدبهم، وهذا هو ذكاؤهم وفهمهم؟

لم يفكر أحد منهم أن تعالوا نسأل الله المغفرة. لم يفكروا في التوبة وتقديم أنفسهم بين يدي المحكمة الإلهية، والسجود أمام العتبة الربانية.. والابتهاال إليه جل وعلا: يا الله.. ما هذا الشقاء الذي سقطنا فيه حتى صرنا هكذا بلا حول ولا قوة - هذا إذا كانوا حقاً يحسون ذلك. يا ربنا، ما هذا الذي أوقعنا في التعاسة حتى ألبأنا إلى قتل إخواننا وتدميرهم! كان عليهم تقديم الصدقات وإبداء مشاعر التعاطف مع البشر. ينبغي أن يستخدموا ثرواتهم على نحو لائق سليم.. تلك الثروات التي وُضعت وديعةً في أيديهم، ولكنهم بدلاً من ذلك يجلسون إلى التلفزيون وينتظرون الوقت الذي تزول فيه قوة العراق من على سطح الأرض.. وبعدها يعودون إلى بلدتهم الكويت مزهوين، وتأتي قوى الغرب لتعيد لهم بناء بلدتهم الصغير، ويكون العراق قد أُبِيد من وجه الأرض!

من المستفيد؟

والسؤال الآن: من هو المستفيد حقاً من كل هذه العملية.. ومن هذا الموقف العالمي الرهيب؟ قيل لنائب وزير الدفاع الإسرائيلي هذا الصباح: لقد سقطت صواريخ سكود على بلدكم، ولم تحدث أذى كثيراً. ولقد امتنعتم عن اتخاذ رد فعل، ولولا ذلك لتضرر تحالفنا مع العالم الإسلامي ضرراً بليغاً. فرد الوزير على المتحدث: ما هذا الهراء الذي تقول؟ ما أسخف السؤال الذي لا أرى فيه أثراً من الذكاء! هل ترى أي فضل للسعودية في تأييدها لأمريكا وبريطانيا والدول الأوروبية؟ هل تحسب أن للكويت أو مصر معروفاً في تحالفهم معكم؟ إنهم جميعاً مدينون لكم بالفضل. وهم لا يباليون مثقال ذرة لو دمّرت إسرائيل العراق، أو دمّرها أي بلد آخر. هذه البلاد عبيدكم الآن، ويشعرون بالامتنان لكم، ويعتمدون عليكم تماماً. إنهم لا يملكون القدرة على الغضب منكم!!

جواب ينطوي على حقيقة عميقة، ولا نكران لذلك. فهذا هو الموقف الحالي. بيد أني أختلف معه بشدة في أمر واحد. يقول: إنكم أسديتم إليهم معروفاً. وهذا كذب محض. إن مشاركة دول الغرب في هذه الحرب ليس صنيعةً بأي حال.. ليس صنيعةً للإسلام، ولا للدول الإسلامية التي يجارون باسمها. ولكن مشاركتهم هذه، كدأهم، هي أشأم محاولة لاجتلاب المكاسب من كافة الأطراف. وهذا ما كانوا يفعلونه دائماً في التاريخ الحديث. كانوا دائماً يسعون لذلك. وحيثما اضطرب السلام العالمي، وكلما تأزمت الأمور حصلت الدول المتطورة دائماً على النصيب الأكبر من المنافع.

لو حللنا الموقف أكثر على ضوء هذا البيان الوجيز، لتيسرَ لكم فهم ما أقوله عمّن هو المستفيد. هذه الأسلحة الكثيرة، وهي من أحدث الأنواع، ترسل إلى أرض المعركة.. وتكلف البلايين لا تستطيعون تصورهما. يكفي أن تتخيلوا جبالاً من الأموال. لقد سمعتم عن شيء واحد اتفقوا عليه.. سوف تدفع السعودية نصف هذه الأموال، ولكنهم لم يذكروا مقدار هذا النصف بالتحديد، ولم يسيروا كيف يسدّد النصف الثاني، وكيف يوزع على بلاد المسلمين الأخرى، وفي حساب من يضعونه. ولكن بإمكاننا القول بيقين أن الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات سوف تدفع القدر الأكبر منه. هذه هي الصورة الواضحة التي تبرز أمام العيون. إن قوى الغرب هي التي تستفيد وحدها من الحرب، حتى تلك التي لا تشترك في القتال الفعلي.. وأعني بها إسرائيل. في

مقابلة تمت اليوم مع مفكر أو سياسي غربي.. اعترف الرجل صراحة: كنا من قبل نقول بضرورة تدمير العراق، والآن تعرفون لماذا كنا نقول ذلك. صواريخ سكود هذه التي لم تسدّد بإحكام.. لو أها بقيت سليمة ولم تبدأ الحرب.. فإنها كانت سوف تسدّد إلى إسرائيل في حرب أشدّ رعباً. ومن ذلك يتبين أنه فيما يتعلق بالهدف فمنافع هذه الحرب الكريهة تؤول إلى إسرائيل.

أما المنافع الاقتصادية فإنها تذهب كاملة إلى الدول الغربية. والسبب في ذلك أن كافة الأسلحة التي تُستخدم في هذه الحرب تمثّل معظم قائمة النفقات المدفوعة؛ لأنه منذ مسالمة الاتحاد السوفيتي مع الغرب فقدت تلك الأسلحة قيمتها وصارت بلا طائل. أما عن تكاليف النقل فهي على حساب البترول المجاني. ولو أنهم أعدّوا القائمة بنصف التكاليف لكان لهم هامش ربح مضمون بنسبة مئوية كبيرة. فالربح الاقتصادي من هذه الحرب تفوز به القوى الغربية.. إذ يستخدمون أسلحة بطل استعمالها، أو سلاحاً جديداً يدفع ثمنه طرف آخر. فدول الغرب التي تشارك في هذه الحرب يخسرون عدداً قليلاً من الأنفس، ويجنون الربح كاملاً في النهاية.

إن عالم الإسلام هو الذي يقاسي أضراراً بالغة بسبب هذه الحرب؛ ولو تم تدمير العراق.. فستكون خسارة يبكي لها المسلمون عشرات السنين. وعلاوةً عن هذا الضرر فلسوف تكون الصورة بعد الحرب أشدّ ضرراً وخطراً. ومن هذه الأخطار ما قد نواجهه في الحال. فلو أن الرئيس صدام قام بعمل آخر غير معقول.. لكي يحاول توريط إسرائيل وكسر التحالف بين الدول الإسلامية والدول الغربية، عندئذ تقوم إسرائيل بأعنف أعمالها الوحشية، ولن تعمل قوى الغرب على كف يدها ولن تبدي أي اكتراث لما يقع. وعندما يحدث ذلك.. فلسوف يتألم هؤلاء المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة الذين في قلوبهم حب عميق للإسلام، ونبى الإسلام، ورب الإسلام.. الذين يحبون العدل والسلام العالمي. وبعد ذلك يكون هناك هيجان شديد في بلاد المسلمين.

يفوز الغرب في هذه الحرب من ناحية المادة، ولكنهم يبدون بذور شقاق رهيب، سوف ينمو في كل مكان، وسوف يضطرب سلام العالم مرة أخرى، وستكون البلاد الإسلامية مركز هذه النزاعات. سيحاولون في أماكن إسقاط الحكومات الإسلامية، وفي أماكن أخرى سوف تتفقم الملاوية، أي نظام المشايخ الجهال ومحتري في الدين، تلك النظم الفظيعة التي لا علاقة لها بالقرآن الكريم.. وإنما تنتمي أفكارهم إلى نظريات العصور الوسطى المظلمة. وتتعلق هذه الملاوية بالهوس الديني وليس بحب الله تعالى ولا بحب رسوله ولا بحب القرآن؛ وتنبثق من أهداف سياسية، ولا تخلق قياداتها سوى الخراب. إن دأبها أن تجرّ الأمة إلى أسوأ حال. سوف تكون هناك المشاكل بعد هذه الحرب بلا حصر، ولن ينقطع توالد الأخطار. وكل خطر سيكون مصدراً لأخطار لاحقة تهدد سلام العالم. ومثل هذه الانفجارات التي تنشأ عن الجنون الديني أو عن مشاعر الحرمان السياسي.. تترك أثراً واسعاً بعيد المدى. وينساب صدها المدمر من الأذان إلى القلوب.. ومن ثم إلى العقول.. فتتحول إلى مؤامرات. وسواء وقع هذا الانفجار في الكويت أو في السودان أو في مصر أو في أي بلد من بلاد المسلمين.. سيقاسي المسلمون أشد الآلام من صدمات موجاته، وتحدث الفوضى الكبرى، وتتولد حركات كثيرة من أنواع شتى. وإذا اتصل الانفجار بقومية معينة.. ترتبت عليه انقسامات بين الأمم.

على أي حال.. التفاصيل طويلة، لا داعي للمضي في سردها. كلكم يعرف ويدرك أنه عندما ينتهي النزاع الحالي فلن تتوقف النزاعات، وإنما تبدأ على نطاق أوسع. وثمة خطر ثانٍ.. فمن الممكن أن يتحول هذا النزاع الراهن إلى نزاع عالمي، وتنشب الحرب العالمية التي تقشعر لذكرها الأبدان. وهؤلاء الذين يجلسون خارج بلادهم ويستمتعون بمشاهد التخريب في بلد آخر.. قد يمرون عندئذ بمثل هذا الموقف ولا يكونون من المتفرجين وإنما من الجرحيين. فالموقف جد خطير ومرعب ومضطرب إلى الأعماق.

أنا لا أطلب من الجماعة الإسلامية الأحمديّة الدعاءَ لنصرة هذا الفريق أو ذلك، وإنما أطلبهم بالدعاء من أجل السلام العالمي. ابتهلوا إلى الله جل وعلا: ربنا، نحن المحبون المغرمون برسالة سيدنا محمد المصطفى ﷺ، والمحبون المولعون باسمه وشخصه الكريم.. لأنه سيدنا وأصدق محبيك. يا مالك الأرض والسماء.. لم يجبك مخلوقٌ كحب سيدنا المصطفى ﷺ، ونحن نحب اسمه وعمله وشخصه ودينه، ونحب أيضاً بني البشر جميعاً. لقد بعثته يا ربنا رحمةً للعالمين، وحبنا له يقتضي أن ندوب لآلام الناس أجمعين، وعلينا أن نعينهم ونسعى لتحسين حالهم. ونحن يا ربنا، لا نملك شيئاً سوى الدعاء. نحن يا ربنا جماعةٌ من الضعفاء الذين لا حول لهم إلا بك. ونحن يا ربنا جماعة نلقى منهم الاضطهاد.. ولكننا نسجد بين يديك، وتوسل بك إليك بمذلة وحرارة وإلحاح.. أن تنزل رحمتك على العرب.. بني جنس سيدنا المصطفى، وأن ترحم جميع بني البشر. أنقذهم ربنا من المشاكل العالمية.. ما كان منها من أخطاء البشر.. وما كان منها بقضائك الذي لا نستطيع فهمه. ومهما يحدث يا ربنا.. إن كان هناك نصر فاجعله يا ربنا من نصيب الإسلام؛ وإن كان هناك فوز فقدّره يا ربنا فوزاً للإنسانية.. ولتلك القيم الأخلاقية التي اختفت من الشرق والغرب. دَعها يا ربنا تنهض وتُقم في الدنيا ثانية.. ولتنتصر في العالم تارة أخرى. اللهم حَقِّقْ وعدك الذي أنزلته في القرآن.. وقلت فيه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (سورة الصف: ١٠).

لن ندعو لفوز أمة بعينها.. ولكن سندعو لانتصار الصدق والأمانة، وفوز الإسلام والحق والقيم الإنسانية. يا ربنا، لو لم تسمع دعاءنا اليوم.. فلا سبيل لنا لإنقاذ هذا العالم. يا ربنا.. في إخلاص كامل وتواضع تام.. نسجد أمامك.. باكين بين يديك. من أجل عبادك وخدام المصطفى ﷺ، حَقِّقْ يا ربنا ذلك التغيير الثوري الذي أقمّتنا لأجله. نتوسل إليك أن تُفجّر الثورة الروحية العالمية العظمى.. وأرنا إياها، وحقق لنا كل وعودك التي تتصل بها.. الثورة التي تتم على يد «الآخرين» الصالحين الأتقياء من أقوام الأيام الآخرة. وها نحن يا ربنا هم «الآخرون». أنت يا ربنا الذي أقمّتنا.. فصن لنا شرفَ وعودك، وأجرِ يا ربنا تلك الثورة على يدنا.. أي بدعائنا.. والتي لا نجا للعالم بدونها! آمين!

قَسَتْ قُلُوبَهُمْ

وبخصوص هذا الدعاء هناك مسألة أساسية أذكركم بها. الدعاء في أيام الشدة يقتضي إخراج صدقة. ولما فكّرتُ في الموقف الحاضر الذي يواجهه بلاد الإسلام.. توجّه انتباهي إلى أولئك الذي يموتون جوعاً في أفريقيا..

يهلكون في مساحات شاسعة من بلاد شتى.. في الحبشة والصومال والسودان وتشاد. يموت الناس جوعاً في بلاد كثيرة، ولا يبالي أحد بهم ككائنات بشرية. ولو أن أحداً أبدى اهتماماً نحوهم لكان أهل الغرب. فقد رأيت برامجهم هنا تعرض لمشاهد للجوع واليتمى العراة، والمرضى والهياكل العظمية المعدبة.. بما يثير مشاعر العطف ويتطلب بذل التضحيات لأجلهم. ولكن أولئك الأثرياء أثرياء النفط.. كدسوا جبالاً من المال جمعوها من عائدات البترول، ومع أنهم ينسبون أنفسهم إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ فقد نسوا روح رسالته، ولا يفكرون أبداً في أن لهم جيراناً في أفريقيا يتضورون جوعاً. فكلهم سواء.. العراق والسعودية، الكويت والبحرين، قطر والإمارات. قد جعلهم الله منذ مدة أصحاب ثروات ضخمة.. ومع هذا الثراء والطعام المكس فلا يستطيعون العناية به. دَعَكَ من ذكر البلاد النائية.. فالسودان جارهم المسلم، يتضورون فيه جوعاً ومع ذلك لم يتحركوا لنجدتهم. لم يفكر أحد منه أن هذه هي السمات المميزة لدين محمد رسول الله ﷺ. بعد حب الله تعالى كان ﷺ يحب الناس والفقراء منهم خاصة.. حباً يقوم أمام الناس مشهداً متألئاً من مشاهد حياته. لا يمكن أن يُذكر اسمُ محمد ﷺ إلا وتففز إلى ذاكرة الإنسان صورُ تعاطفه ورقته ورحمته بالفقير، فتبهر العيون بجماها. في نور محمد ﷺ يسري نور عطفه على الفقراء. في إحدى المناسبات قال ما معناه: إذا طلبتموني فاجثوا عني بين الفقراء، سوف أكون يوم القيامة بين الزهاد والفقراء. اعتنوا بهم لأن بهاءكم وثراءكم بفضل فقرائكم، لأن عملهم وجهدهم هو الذي يؤتي ثماره ويصير ثروة لكم. فأبُدُوا لهم الحب والتعاطف واللطف على الأقل.

فلا شك أن سيدنا محمداً ﷺ كان أكثر الناس تعاطفاً مع الفقراء. وبعد ما جاءكم، أيها الأثرياء، هذه الثروات باسمه، وكنزتم المال جبالاً، ألا تنظرون إلى أحاديث الفقر العميقة في بلاد تجاوركم؟ ليس من الإنسانية في شيء ألا تطغى مشاعر العطف على قلوبكم. والواقع أن بلاد المسلمين لو واطبت على الدعاء واهتمت بالتعاطف مع بني البشر.. فإني على ثقة أنهم ما كانوا ليتورطوا في هذه المحنة الحالية الرهيبة.

لِنَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا

وبالرغم من فقرنا المالي.. فسنضرب لهم المثل في كل عمل طيب، ولسوف نقيم لهم مثلاً يحتذى في هذا المجال أيضاً. فادعوا.. وذكروهم بالدعاء. قدّموا الصدقات.. وذكروهم أن يؤتوا الصدقات. اصبروا وانصحوهم بالصبر لأن القرآن الكريم يعلمنا بأن الفائزين في الأيام الأخيرة هم الذين قيل عنهم: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ (سورة البلد: ١٨). فهم الصابرون الذين يذكرون الناس بالصبر، وهم الراحمون الذين يذكرون الناس بالتراحم. ولذلك قررتُ أن أقدم باسم الجماعة مبلغ عشرة آلاف من الجنيهاً الأسترلينية.. لبلاد الجماعة في القارة الأفريقية، وما هي إلا قطرة صغيرة. ولسوف أقدم شخصياً ما أقدر عليه. وعلى فروع الجماعة أن يخصصوا شيئاً من صندوق الزكاة والصدقات لديهم لهذا الغرض. إنها تدفع لسد الحاجة المحلية بالتأكيد، ولكن فيها بقية يمكن أن تدخل في باب (العفو).. كما يقول القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٠). فالعفو أيضاً ما تستطيع الاستغناء عنه من هذه المخصصات. فأنفقوا منها لمساعدة الفقير عندكم، وأنفقوا منها على الفقراء في أماكن أخرى. إن مال الجماعة كله لله تعالى،

وَيُنْفَقَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا الْمَجَالُ أَيْضًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ لَسْتُ بِصَدَدٍ نَدَاءَ لِمَجْمَعِ مَبْلَغٍ مُحَدَّدٍ. وَعَلَى أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ أَيْضًا أَنْ يَتَرَعَوْا لِهَذَا الْغَرَضِ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُونَ. وَلَسَوْفَ تُنْفَقَ هَذِهِ الصَّدَقَةُ فِي بِلَادِ الْمَجَاعَةِ بِأَفْرِيْقِيَا. وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ لِإِقْرَارِ السَّلَامِ فِي الْعَالَمِ، وَلِحَلِّ مَشَاكِلِ الْمُسْلِمِينَ. وَلِتَكُنْ ابْتِهَالَاتِنَا وَصَدَقَاتِنَا هَذِهِ مَخْصُصَةً لِهَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ. اللَّهُمَّ، مَكِّنْ لَنَا الْقِيَامَ بِذَلِكَ! وَافْتَحْ يَا رَبَّنَا، عَيُونَ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ قَعَدُوا مَغْمُضِي الْعَيُونِ مَعَ أَنْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَقْدَمُ لَهُمُ التَّعَالِيمُ الْوَاضِحَةُ لِلتَّقْوَى. آمِينَ.

١٨ يناير ١٩٩١

ليس للإسلام وطن قومي

ليس للإسلام وطن قومي، فكل وطن هو للإسلام. ولكن في وقت الابتلاءات والحن الدينيوية.. غالبًا ما ينسى المسلمون في بعض الأقطار هذه القاعدة الأساسية الثابتة المضيئة.. ويرتكبون الأخطاء، فيقاسون ويصيرون سببًا في تشويه سمعة الإسلام. ونتيجة لذلك يطالبون بتحديد انتماءاتهم. ففي كثير من البلاد ذات الأغلبية غير الإسلامية يطرحون هذا التساؤل على الأقليات الإسلامية: خبرونا بصراحة، هل إخلاصكم للإسلام أم لوطنكم في المقام الأول؟ والحقيقة هي كما قلت: ليس للإسلام وطن قومي، فكل وطن هو للإسلام. وتنطوي هذه الحقيقة على أسرار من الحكمة البالغة.

حقيقة ينساها المسلمون

فمن الأشياء التي تبرز جليةً أمام الإنسان أن التصادم بين الإسلام والقومية غير ممكن في أي مكان من العالم. أعني أن مبادئ الإسلام الحقيقية عالمية في جوهرها، فلا احتمال للتصادم بينها وبين القومية في أي بلد من العالم. وهذا أمر منطقي، لأن التصادم بين الكل وجزئه محال تمامًا. فلو كان الإسلام يتصادم مع وطنية قوم يعيشون في مكان ما من العالم.. لكان معنى ذلك أن الإسلام لا يصلح لهم دينًا، ولا يحمل لهم رسالة رحمة، ولا يستطيع أن يدعوهم إلى حياة الأمن والسلام في كنفه! ويحق للمواطنين في هذه المنطقة القول: نعم.. يمكن للإسلام أن يكون رسالة رحمة للعرب أو لأهل إندونيسيا أو ماليزيا أو باكستان.. ولكن ليس في الإسلام سلام لنا.. لأنه يتعارض مع هويتنا الوطنية!

هذه حقيقة أساسية واضحة، ولسوء الحظ، ينساها المسلمون أحيانًا ويثيرون موضوع القومية الإسلامية؛ وهذا يوقع المسلمين في صدام مع غيرهم. الحق أن واجبنا هو الفوز بالقلوب في العالم كله، والفوز بالقلوب لا يمكن عن طريق القتال وإنما تُحارب معركة الرسالة الإسلامية في مناخ مختلف، وفي موقف مختلف. في معركة الرسالة الإسلامية تعمل المبادئ التي لا علاقة لها بمعارك الدنيا. وفي مناسبات عديدة علّم الله تلك المبادئ لأنبياء كثيرين، وهي مبادئ لا يمكن اتباعها في حروب الدنيا. وعلى سبيل المثال، كان السلاح الذي وضعه سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام في يد النصارى: مَنْ ضربك على خدك فأدر له الآخر! والمعركة التي كان هذا سلاحها، والحرب التي وُصف لها هذا السلاح.. حرب روحانية. ولقد أخطأ بعض النصارى وأخذوا بما على أنها تعليم دنيوي. ولما كان هذا التعليم لا يصلح في المواقف الدينيوية فلم يعمل في صالحهم، لذلك فإنهم قد نبذوه تمامًا من الناحية العملية. ومن ثم لا تجد بلدًا واحدًا في العالم يعمل اليوم طبقًا لهذا التعليم العيسوي الروحاني العظيم. إنه تعليم روحاني، ولكنهم أخذوه بالمعنى الدنيوي.. فكانت النتيجة أنهم رفضوه عند التطبيق العملي ونبذوه عند كل اختبار، واليوم هذا هو الحال في كل العالم المسيحي.

إذن فالدين مرتبط بالعالم الروحاني، ومعركة تعاليمه تُحارب بالمفهوم الروحاني. فإذا قيل: إن الإسلام جاء ليظهر على الدين كله، فذلك لا يعني أن يرفع المسلمون سيوفهم لقتل من رفض الإسلام، أو لا يسالموا إلا من

خضع وأحنى رأسه، لأن الإسلام سيصبح بذلك رسالة حرب وعنف بالنسبة لغير المسلمين. هذا ليس من العقل في شيء، ولا يمكن تطبيقه في العالم، ولم يحدث أن طبّق من قبل. وعلى الجماعة الإسلامية الأحمدية جعل هذا المبدأ دائماً نصب عينها. عندما نتحدث عن معركة الجهاد أو نصر الإسلام على الدين كله.. فإنما نتحدث بحسب مسميات القرآن ونبي الإسلام ﷺ، وهذا لا علاقة له بمسميات العالم الدنيوي.

هذا هو السبب أنه في محنة اليوم.. فشل المسلمون في فهم تلك الأمور، لأن قادتهم قدّموا لهم تعاليم خاطئة.. فوجدوا أنفسهم غارقين في المشاكل من كل ناحية، ويزداد موقفهم سوءاً يوماً بعد يوم. إنهم أقليات في بلاد شتى، وبسبب التعاليم الخاطئة لا يستطيعون حفظ علاقاتهم على الصراط السوي، ولا يستطيعون توجيهها الوجهة الصحيحة. فيقاسون أشد الأضرار، ويكونون سبباً في الإضرار بسمعة الإسلام أكثر وأكثر.

هذا سؤال يثار في كل مكان من العالم غير الإسلامي. وفي بريطانيا مثلاً حيث لا يتلقى المسلمون الجواب الصحيح، تأتي استجابة بعض الذين يجهلون هذا الأمر في طرقات المملكة المتحدة كرد فعل لذلك، بما يعرض المسلمين كل يوم لمخاطر كثيرة. فتشعل الحرائق في مساجدهم، وتوجّه إليهم التهديدات، ويتعرضون للأخطار وهم يسيرون إلى أعمالهم اليومية. جاءتنا الأخبار اليوم أنهم أمسكوا بسائقين من سائقي سيارات الأجرة وضربوهما ضرباً مبرحاً، لأنهما ممن يؤيدون صدام حسين. هذه كلها من الجهل الذي لا صلة بينه وبين الإسلام. فتعاليم الإسلام عالمية، ولها سمات العالمية، وهي تعاليم غالبية بسبب قوتها الداخلية، ولا يمكن لأحد في العالم أن يهزمها، أو أن يقيم ضدها اعتراضاً واحداً صحيحاً.. لأنها قائمة على الحق.

وقت الاختبار

فعند كل محنة وفي كل مناسبة، ينبغي على الجماعة الإسلامية الأحمدية دراسة ردود فعلهم العفوية بنظرة عميقة. كلما يثور اضطراب فيما حول الإنسان يضطرب أيضاً قلبه وتتولد فيه الكراهية، وهذا هو الوقت الذي تختبر فيه نفسك لتعرف هل أنت في طريق الإسلام أم في طريق غيره؟ تتولد الحسرة والمرارة في القلب، سواء بسبب خلافات شخصية أو بسبب خلافات قومية، وفي معمعة هذه الإثارات يستطيع المؤمن أن يتعرف على عقيدته في مرآة قلبه، ويستطيع أن يرى صلته بالله جل وعلا. فعلى الجماعة الإسلامية الأحمدية في أنحاء العالم أن تبدو استجاباتهم بحيث لا يتردد المسلم الأحمدى الإنجليزي في أن يقول: هذه تعاليم الحق، ولا مجال لأن تتعارض أبداً مع ولائي لوطني، ويشاركه المسلم الأفريقي أيضاً في الاستجابة قائلاً: إنها التعاليم العالمية الحقّة، ولا شك أنها لا تتعارض أبداً مع إخلاصي لوطني.

وعلى الإجمال إذا كان كل بني البشر في الشرق والغرب يستطيعون الاتحاد على تعليم واحد فإنما هو تعليم الإسلام وحده، لأنه فوق القومية ولا يتعارض معها؛ فالحق لا يتعارض مع القومية. وإذا كان في القومية مفهوم خاطئ أمكن كشف هذا الخطأ في مرآة الحق.

وعندما أقول إن تعاليم الإسلام لا تتعارض مع القومية ولا تتصادم معها.. فلا يعني ذلك أن مفهوم الوطنية في كل بلد لا يمكن أن يتصادم مع الإسلام. إن مفاهيم القومية في بعض البلاد تتصف بالالتواء، وتعريفهم

للوطنية مختلف تماماً. فمثلاً في معظم بلاد العالم اليوم تغير مفهوم العدل، وتغير مفهوم الإخلاص؛ فتعني الوطنية عندهم أن تبقى مخلصاً لوطنك سواء كان موقفك في جانب الصواب أم في جانب الخطأ، ولا يهم أن تكون غير مخلص مع القيم الإنسانية العليا، أو مع التعاليم الإلهية المتأصلة في فطرة الإنسان! إذا كان هذا تعريف الوطنية فلا شك أن الإسلام يتعارض معها؛ بمعنى أنه سوف يصحح هذه المفاهيم مهما كانت التوضيحات التي تبذل في سبيل ذلك. فما دام بنو الإنسان لم يستقيموا بحسب الفطرة ولم يتطهروا بعد، ولا تستجيب فطرتهم لله تعالى.. يمضي الإسلام في تصادمه مع هذه المفاهيم الخاطئة. وهذا هو الصدام الذي سوف يسمع الإسلام بسببه صيحات التأييد في كل بلد.

تأييد الموقف الأحمدي

في الظروف العالمية الراهنة يتلقى موقف الجماعة الإسلامية الأحمديّة تأييداً في كل مكان وترتفع الأصوات في حقّه. منذ يومين أخبرني أحمدي من دولة كبرى أن معلّقاً مشهوراً واسع التأثير علّق حول الموقف الراهن كما لو أنه يقرأ خطبك، ويتبنّى كل النقاط التي عرضتها. وسألني صاحب الرسالة قائلاً: أخبرني، هل اتصلت به أو هل اتصل به أحد الأحمديين؟ لقد وصلتني رسائل من أماكن أخرى، ليست رسالة واحدة بل عدد منها، حول هذا المعنى. وواضح أن هذا تقرّيب لخطبي، ولكنني لست من الجهل بحيث أتقبل هذا الشراء، فهو لا يتعلق بي، وإنما يتعلق بالإسلام. كل الشراء لله جل وعلا، وللدين الذي أنزله. وهذا شهادة على صدق وامتياز تعاليمه. ومع ذلك فهي فعلاً معيار لي أختبر به الحقيقة. وكان هذا سبباً لرضائي، بمعنى أن ثقتي تزداد في تعليقاتي التي سقتها حول هذا الموقف طبقاً لتعاليم الله تعالى. ولولا ذلك ما أمكن أن تؤيد الفطرة الإنسانية تلك التعاليم هكذا.. بالكلمة المسموعة والمقروءة في مختلف البلاد.. وبصوت واحد.

فهو إذن وقت عصيب على المسلمين، وينبغي عليكم في أوقات الخطوب أن تحفظوا مشاعرهم واستجاباتهم وأفكارهم، ولا تدعوها تفلت خارج دائرة الإسلام المحبّة للسلام، لأنكم إذا خرجتم منها تعرضتم للأخطار.

هل هذه الحرب جهاد؟

وعن مسألة الجهاد التي تُثار هذه الأيام.. سألني عدد من الإخوة الأحمديين: بماذا نجيب عن هذا الموضوع؟ هل هذه الحرب جهاد طبقاً لتعاليم الإسلام؟ سأجيب على هذا التساؤل في هذه الخطبة، لأنكم لا تستطيعون معرفة كل التفاصيل من خلال المراسلات.

جاء أكمل التعاريف لمفهوم الجهاد الإسلامي في سورة الحج من القرآن الكريم، في الآية التي تلوها عليكم مراراً، وبينت لكم تفسيرها، حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج: ٤٠ و ٤١).

فإن الله تعالى يأذن برفع السيف في وجه من يرفعون السيف ضد المؤمنين بغير وجه حق، على سبيل الظلم والعدوان والاضطهاد. تُصوّر هذه الآية مفهوم الجهاد بحيث لا يمكن تعريف الجهاد بأعظم أو أكمل منها. ولو طبّقنا هذا التعريف لم يكن الموقف الحالي جهاداً بالمفهوم الإسلامي، وإنما هو حرب سياسية. وكل حرب سياسية.. سواء أكانت بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين المسلمين أنفسهم.. لا تكون جهاداً. والواقع أن بعض الناس شرعوا يحسبون حرب الحقوق جهاداً؛ ولما كان كل فريق يحسب نفسه محقاً.. فإنه يشن الحرب باسم الله وفي سبيل الحق ويكون جهاداً! ربما يكون هذا تعريفاً ثانوياً للجهاد، ولكن ما يسمى جهاداً بحسب التسمية الإسلامية لا ينطبق على الموقف الراهن، لأنه تعريف يخالف المنطق الأساسي بأن من كان من الفريقين على الحق فحربه ستكون جهاداً طبقاً للتعريف القرآني. يتحارب الوثنيون، ويتقاتل أتباع الديانات، ويتعارك البيض والسود.. وهناك أنواع شتى من الحروب تشتعل في العالم، وسوف تشتعل في المستقبل؛ وكلما تحارب فريقان فمن الواضح أنه إذا لم يكن أحد الفريقين على الحق مائة بالمائة فإنه يكون على الحق بنسبة كبيرة، ولا يمكن، أو من النادر جداً، أن يكون الجانبان متساويين في اللوم أو في الحق، وعلى العموم يكون أحد الفريقين ظالماً والثاني مظلوماً. وحرب كل مظلوم ليس جهاداً.. وإنما حرب المظلومين الذين مُنعوا من إعلان إيمانهم بالله تعالى، والذين عوقبوا وأوذوا بسبب عقيدتهم الدينية تكون جهاداً. يبين القرآن الكريم أنهم لم يرتكبوا جريمة ما ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾. فإذا فُرض القتال لهذا السبب فقط، وابتدأ العدو القتال ورفع السيف؛ ولم يكن المسلمون هم البادئين بالقتال؛ ولا تتعدى «جرمتهم» قولَ ﴿ربنا الله﴾، وإنكار كل الآلهة سوى الله تعالى.. فمثل هذه الحرب هي الجهاد.

فليس الجهاد هو الحرب في سبيل الحق، وإنما الجهاد حرب في سبيل الحق بالمعنى الذي أوضحته آنفاً. وهذا لا ينطبق على الحرب بين العراق والبلاد الأخرى. لقد ضايقت الكويتُ العراق لسبب ما، ونتيجة لهذا الضيق والاعتقاد بأن هذا بلد صغير.. كان جزءاً من بلدنا؛ بتره البريطانيون وفصلوه منا.. لذلك فعلنا ما هو من حقنا الأساسي، وتحت تأثير غرور قوتهم إلى حد ما قالوا: ما هذا البلد الصغير أماننا. نحن الذين حاربنا إيران لثمانين سنوات وتحدينا حتى إنها خشيت على نفسها الفناء منا. تغلغلنا في عمق أراضيها، ثم تراجعنا؛ ومالت كفة الميزان إلى من اكتسب مزيداً من الوزن، واستمر الصعود والهبوط. قد يكون مثل هذا التفكير ما شجّع العراق بأنهم قادرون على تحطيم هذه الدولة الصغيرة في لمح البصر، ولذلك قاموا باجتياحها. ما هي الأسباب التي حدثت بالعراق ليحتل الكويت؟ وما هي الخلفية وراء ذلك؟ ومن هو في الواقع قائم على الحق؟ وهل هذه الطريقة لأخذ الحق شرعية أم لا؟ كل هذه تساؤلات كان لا بد من التفكير فيها. وكان على العالم الإسلامي أن يتفكروا سوياً في هذه المسائل.

على أي حال.. ليس بوسعنا أن نطلق على هذه الحرب التي قامت بسبب الهجوم على الكويت اسم الجهاد، ولا أن نسمي جهاداً أيضاً تلك الحرب التي قامت كرد فعل لها ضد العراق. ولكن المسلمين يندفعون في جهالة لا لزوم لها، ويستخدمون المسميات الإسلامية استخداماً خاطئاً في ما لا يناسبها، وبذلك يسيئون إلى سمعة

الإسلام. إن الإسلام يتعرض للسخرية والاستهزاء في كل أنحاء العالم، وتضحك منه الأمم، ولا يدرك ذلك هؤلاء المسلمون الغارقون في غيائهم!

الغرب هو المسئول

ولكن لا بد لنا من التفكير.. لماذا لا ينفك القادة هكذا سادرين في خداع الجماهير، ويدفعونهم يقدمون تضحيات هائلة في حروب ليست من الجهاد في شيء وإن أسموها جهاداً؟ هناك سبب عميق لهذه الظاهرة يجب أن نكشفه. إذا فهمنا هذا السر أمكننا فهم كيف أن أمم الغرب مسئولة إلى حد كبير عن هذا التطبيق الخاطئ للجهاد. ولو حللنا هذا الموقف تحليلاً صحيحاً لتبين لنا أن هؤلاء الذين يسخرون من الإسلام ويستهنئون به.. هم المسئولون مسئولة كبيرة عن هذا الاستعمال الخاطئ لمفهوم الجهاد.

لا يطيقون ازدهارنا

السبب وراء ذلك أن لدى المسلمين منذ قرون عديدة انطباعاً بأن الأمم الغربية لا تطبق رؤية ازدهارهم وتقدمهم. وهذا الانطباع مبهم فلا يستطيع كل واحد التعرف على كنهه حقاً. أحياناً تعتري المرء مخاوف لا يعرف كيف ولم نشأت، ولكنه يحس بالخوف. وفي أوقات يشعر المرء بالألم ولا يدري سببه. وفي أوقات تكون انطباعات المرء دفينية في أعماق فطرته، وتمتد دوافع هذه الانطباعات على مدى تاريخ طويل. أيا كانت طريقة تعاملات الغرب مع المسلمين خلال القرون الماضية.. فقد أكد تاريخ هذه التعاملات للمسلمين أن كراهية الغرب لهم مبنية على التفرقة الدينية. وسواء صرحوا باسم الإسلام أم كتموه فإنهم لا يطيقون تقدم الأمم الإسلامية، فيتخذون دائماً التدابير الكفيلة بتمزيق قوتهم وتقطيعها إرباً إرباً. هذا هو الانطباع العميق الذي يكمن في قلوب عامة المسلمين ممن قرأوا التاريخ أم لم يقرأوه.

في الواقع تمتزج بعض انطباعات التاريخ في تفكير ومشاعر الإنسان كما يمتزج شيء بالماء. وإذا لم تر اليد التي مزجته، فبوسعك التعرف على أثره إذا ذقت الماء. وهكذا فعامة المسلمين متيقنون في قرارة نفوسهم من جراء تجربة تاريخية طويلة.. أنه في أوقات الشدة تقف أمم الغرب ضدنا، وتقوم بكافة الأعمال التي تضر عالم الإسلام.

دور أمريكا وبريطانيا

وفي النزاع الحالي، بل وقبله.. كان هذا الانطباع أشد ما يكون بسبب المعاملة الأمريكية. فيقع النصيب الأكبر من المسئولية في تقوية هذا الانطباع على عاتق أمريكا. وعلى سبيل المثال فإن النفوذ الأمريكي لعب الدور الأعظم في إقامة دولة إسرائيل في قلب المنطقة المسلمة.. هذا الشر الذي بدأ على يد البريطانيين كثمرة لأفكارهم. كلما تنشب الحروب فإنهم يعقدون اتفاقيات وتحالفات سرية مع بعض الناس. ولقد فعلوا ذلك مع اليهود، ووعدوهم أنهم سيمنحونهم أرضاً في قلب بلاد العرب، ويقيمون لهم عليها دولتهم الحرة؛ ليمارسوا من هناك نفوذهم على كل بلاد العرب باسم مملكة داود، ومن ثم يسيطرون على العالم كله. ربما لم يكن الاتفاق بنص هذه الكلمات تماماً.. ولكن عندما جرى الاتفاق كان هذا هو فحوى الرسالة التي تلقاها اليهود، وكان

هذا حلمهم الذي تحقق بالفعل. ولقد حققوا هذا الحلم باسم الأمم المتحدة، ولعب الأمريكان الدور الأعظم في هذه العملية.

أمر مدهش

إن الشيء الذي لم يزل يدهشني حتى اليوم أنهم لم يطرحوا حتى اليوم هذا التساؤل الأساسي: هل لمنظمة الأمم المتحدة الحق في خلق دولة جديدة في العالم؟ إن إنشاء الدول ميراث تاريخي يأتي إلينا بنفسه. إن سلطة مجلس الأمم المتحدة كانت محصورة في الدول التي كانت قائمة وانضمت إليها برغبتها. لم يكن ثمة ميثاق اتخذته الأمم المتحدة بأن الانضمام أو عدم الانضمام إلى الأمم المتحدة يؤثر على أي بلد، أو بأن هذا المجتمع الدولي له الحق في خلق دولة ما، أو بوسعه، إن شاء، تدمير دولة ما. فالحق الذي لم يُمنح للأمم المتحدة قد مارسه وخلقت دولةً بغير حق. ولقد لعبت أمريكا أسوأ الأدوار وأشدّها عدوانية في هذا الظلم.

هذه هي الذكريات التي لا يمكن لأي مسلم في الأرض أن ينساها. ومع أن العرب دأبوا لفترة طويلة على تسميتها «المشكلة العربية»، ولم يُدخلوا معهم فيها سائر العالم الإسلامي، إلا أن المسلمين ضموا أنفسهم تلقائياً إلى هذه المشكلة.. لأنها ما برحت قائمة محفورة في قلوبهم.. أنها ليست عداوة للعرب.. وإنما هي عداوة للإسلام. لقد عبّروا عن هذه العداوة مرة بعد أخرى، وفي مناسبات شتى. مثلاً عندما كانت إسرائيل تطلق العنان لفظائعها ضد الفلسطينيين بما تقشعر لذكره الأبدان وتدمى القلوب.. عندما قتلوا النساء والأطفال والعجائز، حتى قضوا على أهل معسكر كامل فلم يتركوا فيه حياً يتنفس بما فيهم الأطفال الرضع.. لم يتحرك العالم، ولم تُبد أمريكا اهتماماً؛ بل كلما حاولت الأمم المتحدة إصدار قرار يشجب هذا العدوان كانت أمريكا تقف حائلاً وسدّاً منيعاً في سبيل ذلك. وهذا تاريخ حالك طويل.

والآن يطلّ هذا السؤال برأسه: هل تستحق الأمم المتحدة حقاً هذا الاسم الذي تحمله، حيث يتمتع فيها خمس دول بحق تقرير مصير العالم.. أعني الدول التي تُسمّى الأعضاء الدائمة التي لها حق الاعتراض على القرارات أو "حق الفيتو".. أي لو اتحدت كلمة العالم كله على رأي واحد.. فبوسع دولة واحدة منها أن تعترض فيرفض هذا الرأي؟ هذا هو الإجراء الذي يجعل دولة واحدة هي العالم كله!

الواقع أن قاعدة القرار الحالي للأمم المتحدة هو نفس الشيء الذي لا يزال سارياً نافذاً. عندما أعلن الرئيس بوش مهدداً: بأي سلطان يحارب العراق الرأي العالمي.. أدرك كل إنسان أن هذا الرأي العالمي ما هو إلا رأي أمريكا أو رأي الرئيس بوش نفسه. ثم إن في لهجة التهديد هذه غطرسةً تولد النفور. عندما يلقي المسلم بنظره على علاقتهم باليهود وإسرائيل.. فلا مناص له من استنتاج أنه سواء أخطأ العراق أم لا.. فإن الإجراء الانتقامي الذي يُتخذ الآن ضد العراق إنما هو لصالح إسرائيل فحسب. هناك أشياء لا تقال، ولكنها علامات ثابتة في القلوب بلا تحليل.. بسببها يعتقد المسلم العادي أن كل ما يجري إنما هو ثمرة العداوة للإسلام.

العدوان من حق إسرائيل

فإسرائيل لها الحق أن ترسل طائراتها عبر البلاد العربية وتهاجم المفاعل النووي العراقي وتدمره! من ذا الذي قضى بأن المفاعل النووي مؤسس لصنع القنابل، وأنه لم يكن للاستخدام السلمي؟ أية منظمة أمم متحدة تلك التي فوّضت إسرائيل وأعطتها سلطة اتخاذ القرار والقيام بتدمير المفاعل؟ عندما حدث هذا لم يعلن أحد عن حق العراق في القيام بما يشاء من أعمال انتقامية ضد إسرائيل! ولم يقل: إن حق العراق في الانتقام قائم يومها أو اليوم أو غداً؟! هل قبلت الأمم المتحدة بهذا الحق للعراق؟ لو سمع أحد هذا الصوت فيني لم أسمع. لو بلغ أحدًا هذا الخبر فإنه لم يبلغني، بل لم تقع عليه عين مسلم!

وإذن فتفكير العالم الإسلامي بأن أعمال العداء الراهنة قائمة أيضًا على بغضاء عميقة للإسلام.. لتفكير له ما يبرره، وينهض على أساس من الحقائق. هذه الأعمال العدائية البيئية والمظالم الواضحة معروفة لكل الدنيا. العيون تنظر ثم تنسى، ولكن الانطباعات تبقى.. وهي انطباعات حقيقية.

ثم العجيب أنه عندما يُهاجم العراق إسرائيل ببعض القذائف، فتتهدم بعض المباني السكنية.. يثير العالم ضجة هوجاء! ألا يذكرون فلسطين؟ ألا يذكرون الغارة الإسرائيلية على المفاعل العراقي؟ إنهم بذلك يضعون الأساس للفظائع والاعتداءات التي سوف يلدها المستقبل! هذه هي الأمور التي لا تزال تجرح مشاعر المسلمين في أعماقهم وتدميها؛ وعندما يعبرون عن أحاسيسهم تنبري لهم الأمم وتساءل: أعطونا اليوم قراركم.. هل ستبقون على وفائكم للإسلام أم تخلصون لوطننا؟ أي عدل هذا؟ لأنه عند التعبير عن الحقائق.. يكون من الظلم الخطير طرح مسألة القومية. إذا كانت هذه الأمور حقائق صادقة.. فللمسلم كل الحق في التعبير عنها.

مكافأة إسرائيل

إن هذا الشيء البغيض الذي صار واضحًا، ستتلوه أشياء بغيضة أخرى. إن أمريكا أجرت مباحثات سرية مع إسرائيل عندما بعثت إليها بشخصية هامة ممثلة لحكومتها المركزية. ومن بين أمور سرية أخرى، وستبقى في طي الكتمان لبعض الوقت، ولكنها سوف تنكشف للعالم عندما تأخذ دور التنفيذ.. أنهم منحوها أكثر من ستة مليارات من الدولار كي لا تقوم بعمل انتقامي ضد العراق، مع الاحتفاظ لها بحقها في أن تفعل ذلك فيما بعد! قالت لهم أمريكا: بعد أن نعاقب العراق بأيدينا يمكن لكم الانتقام من القليل الذي يتبقى لكم! كانت العادة في الأيام الغابرة أنه عندما يهلك طاغية أو من حسبه كذلك.. ويراد الانتقام والتشفي منه.. كانوا ينبشون قبره ويستخرجون جثته، ويعلقونها في المشنقة. واتفاق أمريكا مع إسرائيل لا يخرج في الواقع عن ذلك. قالوا: دعونا أولاً نُقم لكم بهذه الخدمة.. نقتل العراق، ثم نعطيكم الجثة لتمثلوها بها أو تفعلوا بها ما تشاءون؟

أين مبادئكم؟

والسؤال الآن: هل كل هذه الأفعال من العدالة؟ هل هي من الإنسانية؟ ثم هناك شيء آخر لا تراه الدنيا؛ فهم يُمطرون العراق بأشد القنابل فتكًا لتنزل على السكان المدنيين، ومعظم من تأثر بالقصف هم سكان غرب العراق. ولقد أمطروه بما بعد حادثة إرسال الصاروخ العراقي على إسرائيل. وإذا كانت واقعة إرسال الصاروخ

ظلمًا من جانب العراق.. فلقد ارتكبوا ضد العراق مظالم أفدح وأشد ألف مرة. في مقابل كل بيت تهدم في إسرائيل سوّوا بالأرض ألف بيت عراقي؛ وفي مقابل كل إسرائيلي جريح جرّحوا وقتلوا ألوف العراقيين. لقد روى القادمون من هناك أن روائح الجثث المتعفنة المحترقة في بعض المناطق تمنع الناس من المرور فيها، وكثيراً من المناطق خلا من السكان. هذا هو الانتقام الذي تقوم به أمريكا نيابة عن إسرائيل. وهذا بلا شك جانب من الاتفاق الذي لم تنكشف بعد كل تفاصيله.. ولكن البيان العملي والتطبيق الفعلي جعل الأمور واضحة. ومع ذلك فهم لا يزالون يدعون بأنهم حملة لواء الإنسانية، وأنهم يتحدثون من منطلق أخلاقي سام! ويقولون لسائر العالم: الخزي للعراق، لأنه لا يعرف ما هي الإنسانية. يرمي الإسرائيليين الأبرياء العزل! إن هذا لشيء مغرق في الخطأ!

إن الإسلام، بلا شك، لا يسمح بإلحاق الضرر بأي صورة كانت بالمواطنين المسلمين العزل من السلاح. إن دين سيدنا محمد ﷺ لا يبيح ذلك أبداً. وكلما كان هناك جهاد بالسيف كانت تعاليمه الصريحة الجازمة للجيوش قبل تحركها ألا يقتلوا جماهير الناس، ولا يؤذوا النساء والمستنّين والأطفال. هذه التعاليم الإسلامية الصحيحة معروفة من أقواله وسنته ﷺ. ولذلك لا أقول: إن ما فعله العراق صواب، ولكن أقول: وإن أخطأ العراق، فالقواعد والقوانين العالمية التي تزعمون أنكم حملتها العظام.. تقول باعتبار هذا ردّاً ثأرياً من جانب العراق. فالمسلمون الذين يعيشون في إسرائيل يُضربون كل يوم، ويُقتل العزل ويُقدّفون بالنار. إذا اتخذ العراق إجراءً انتقامياً بالنيابة عنهم فلا تقولون إنه ردّ ثأري وشرعي، ولكنكم تقولون بأنه ظلم وعدوان وحشي، وأنه استفزاز يعطي الحق لإسرائيل في الانتقام.. بل تعقدون معها اتفاقات سرية.. وتقولون لها: سوف نعطيكم الأموال، ونقوم ضدّهم بأشدّ الفظائع كي ترضى خواطركم، ومن يُكتب له الحياة من هؤلاء الأبرياء نسلمه لكم، فتدّمرون ما يبقى منهم، أو تعلقون جثثهم انتقاماً يشفي غليلكم!

كل هذه الأفعال شديدة التناقض مع القيم الأخلاقية التي يدعون بها على دقات الطبول. هذه الأعمال تبطل كل الدعايات التي يقومون بها في كافة أرجاء العالم. يدعون بأن الرئيس صدام دكتاتور خطر.. وأنا نعاقبه لأنه يُكره رعاياه على العبودية. نعاقبه لأنه يضطهد أهل بلده ويطلق عنان الطغيان عليهم. نحن ضد الرئيس صدام من أجل حرّيتهم ولسنا ضدّهم. ولكنهم مع قولهم هذا يصبّون نقمتهم على الشعب البريء الذي تقول تصرّيحاً بأن صدام يرتكب ضدّهم الفظائع! فما هي جريمة النساء والأطفال الأبرياء الذين هم مضطهدون من قبل حسب تصرّحاتكم، وباسم تحريرهم تشنّون أنتم هذه الحرب الضروس؟! أتعاقبونها على جريمة ارتكابها صدام ضد إسرائيل عقاباً هو أنكى من عقاب اليهود!؟

أي حق لكم في تلوّث التعاليم المسيحية الطاهرة، وتلطيخ تاريخ النصرانية بالدماء، لتكونوا في ذلك سواء مع تاريخ اليهود الدموي؟! إن كل هذه أعمال ظلم، وكلها تتناقض مع العدالة، وتتعارض مع التقوى.. وهي التي تفجّر ردود فعل في قلوب المسلمين. إنهم مواطنون مسلمون في البلاد التي يعيشون فيها، ولكنهم عندما رفعوا

الصوت عاليًا ليحتجوا على المظالم، دون خروج على قانون أوطانهم، وصفتموهم بالخيانة واتخذتم ضدهم الإجراءات. فأى نوع من العدالة هذا الذي تفعلون؟

جواب "توني بن" هو جوابنا!

لقد اتصل بي أحد المسلمين الأحمديين هاتفيًا وسألني: إني ذاهب إلى مقابلة بالتلفزيون البريطاني B.B.C، ويسألونني: ما موقفكم، وما تعليقكم على الموقف الراهن؟ أجبني عما يكون عليه جوابي. قلت له: قل لهم: إن تعليقي هو تمامًا كتعليق «توني بن» (Tony Benn)! إذا كان هذا الرجل ذو التفكير المنصف يرفع صوته بما هو في قلبي.. فما الداعي لتكرار نفس القول بلساني؟ لو أُنِي قتلته لرميتوني بالخيانة، ولكن إذا قاله «توني بن» فلن تكون بكم الشجاعة لاتهمه بالخيانة. كل ما يحدث إذن يناقض العدالة ويخالف التقوى. ليس هناك قانون، ولا مبدأ، ولا موقف أخلاقي رفيع.. بل إنهم قد سقطوا إلى أسفل دركات الانحطاط الأخلاقي!

هذا هو الموقف الحق، القائم على التقوى.. ومع ذلك لا يحق لعالم دين مسلم أو حاكم مسلم أن يطلق على هذه الحروب اسم الجهاد الإسلامي. عندما يُدعى جماهير المسلمين باسم الجهاد.. فإنهم يلبون الداعي، لأنهم يعرفون في أعماق قلوبهم - وقد أثبت سلوك بلاد الغرب مرارًا وتكرارًا صدق ما يرون - أنه ليس وراء تلك الحروب إلا البغضاء ضد الإسلام. ولذلك عندما يُقتل أولئك الأبرياء فيني على يقين راسخ من أن الله الرحيم سوف يتعامل معهم بواسع رحمته، وأنهم وإن كان لا يمكن اعتبارهم من الشهداء على ضوء تعاليم الإسلام الصحيحة.. إلا أنهم قد ظلّموا بيد أعداء الإسلام، فسوف يعاملهم الله تعالى برحمته وغفرانه. ولكني ما زلت أكرر: ليس من حق شيوخ الدين ولا الحكام المسلمين أن يسموا هذه الحروب السياسية جهادًا إسلاميًا.. حتى وإن كانت حروب المظلومين!

حصد السلام بالحرب محال

الواقع أن عداوتهم للإسلام أضحت بينة واضحة، ولا تزال تزداد وضوحًا. مهما أنكروا ذلك فصوت القلب يرتفع بطريق أو آخر ويترجم إلى كلمات. أما ممارساتهم العملية فكما أسلفت.. إن الصور البغيضة المطلية بالدماء وبفرشاة الكراهية للإسلام تكثر يومًا بعد يوم، ولا تفتأ ملاحها تزداد وضوحًا أمام العالم. ونتيجة لذلك، فمهما يحدث، لن يوطد السلام في المنطقة. لأنه لم يفلح أحد بعد في تبديل المبدأ الأساسي بأن الكراهية لا تنجب إلا البغضاء. إنهم يجلسون من الآن ليدبروا الخطط كيف يوطدون السلام في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب، ولكن هذه أمور غير واقعية.. ومن أحلام الجاهلين! إذا بذرت بذور الكراهية إلى هذا العمق فلن تنبت إلا الكراهية، وحيثما نثرت بذور الحرب فلن تنمر سوى الحرب، لأنه من المستحيل أن يحصدوا السلام من الحروب. إذا لم يكن اليوم فسيرة غدًا أن الخطوات التي يتخذونها اليوم سوف يجربون بها السلام في العالم إلى الأبد. وأيًا كان المجرمون الجانون فلسوف ينزل الله بهم عقابه، لأن الإنسان لا حول له ولا قوة.

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية لا تعبّر مطلقًا عن رأي وليد التعصب، بل لا يمكن ذلك، لأن التوحيد قوّم قلوبنا على الاستقامة، فلم يُبق بها أثرًا للاعوجاج. إن إيماننا ووفاءنا مع التوحيد، وإن من استقر توحيد الله

تعالى في قلبه يستحيل أن يجد التعصب إليه سبيلاً. فهذا ضدّان لا يجتمعان في القلب أبداً. إن توحيد الله قوة توحد العالم كله. ولن يدخل الهوى فيمن عمّر قلبه بالتوحيد. فهذا قانون جوهري لا يتبدل، ولهذا السبب أعلن باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية أنه مهما كان في تعليقاتنا من مرارة ظاهرية.. فإنها مبنية على الحق. وإذا لم يكن اليوم فغداً سوف تؤيدنا الدنيا، وتقول لنا: نعم، لقد رفعت صوت الحق، ولم يكن بكم أثر من التعصب والهوى.

الكبر البغيض

ثمة أشياء تثقل على قلوب المسلمين وتقلقهم أشد القلق، منها مسلكهم المتعجرف ولهجتهم المتعالية، وخصوصاً عندما يتحدث رئيس أمريكا عن العراق أو الدول الأخرى التي لا تتعاون معه، فإنه يبدو في حديثه كما لو أن إلهاً نزل إلى الأرض يتحدث. ومن كان مؤمناً بتوحيد الله تعالى لا يمكن أن يُحني رأسه أمام هذا الكبر البغيض. هناك أنواع شتى من الشرك والوثنية، ولكن الكبر والغطرسة هو أشدها مقتاً. ولذلك فمن أول واجبات المؤمن بوحداية الله تعالى أن يرفع صوته ضد الكبر والغطرسة. وإن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي في المرتبة الأولى من الموحدين، بل الأحرى أن نقول إنهم حملة لواء التوحيد اليوم. ولذلك سنرفع صوتنا ضد كل أنواع الوثنية، وسنرفع صوتنا ضد كل أشكال الكبر. ليس هناك خوف من أهل الدنيا يستطيع خنق هذا الصوت، لأن كل تلك الآلهة الباطلة التي تحاول السيطرة على مقدرات العالم.. لا يمكن لمؤمن موحّد أن يحني الرأس لها ويبقى موحّداً بالله في ذات الوقت.

مِمَّ تَخَافُونَ عَلَيَّ؟

عندما أقوم بهذه التعليقات يكتب إليّ بعض المسلمين الأحمديين أننا نشعر عليك بقلق عميق. لماذا تقوم بمثل هذه التعليقات؟ دَعُونِي أَذْكَرْكُمْ بِأَيِّ أَقْوَلِهَا، لأن سيدي ومولاي محمداً المصطفى ﷺ كان يقول بمثلها. عندما رفع صوته الكريم منادياً وشاهداً على وحدانية الله تعالى، عارضه العالم كله، ناهيك من أهل مكة. لقد توسلوا إليه، ثم حذّروه: لماذا تعرّض حياتك للخطر؟ ألا تدري كم من القوى تتجمع ضدك وتندرك؟ ولكنه ﷺ أجابهم دائماً بنفس الجواب: إنني مستعد لكل تضحية في سبيل توحيد الله تعالى. فهذا هو هدف حياتي، وهذا هو روح رسالتي، وهذا هو جوهر ديني. يمكنكم أن تحولوا بيني وبين كل شيء آخر، ولكنكم لن تستطيعوا منعي عن التوحيد، وتبليغ رسالة التوحيد. ما هذا الذي تقولون؟! «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري.. علي أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أُهلكَ دونه».

فِمِمَّ تَخَافُونَ عَلَيَّ؟ أَمِنْ سُلْطَانِ أَمْرِيكَ أَوْ مَكْرِ الْيَهُودِ، أَوْ قُوَّةِ الْبَرِيطَانِيِّينَ أَوْ بِأَسِ الْقُوَاتِ الْمُتَحَالِفَةِ؟ إِذَا كَانَ رَفَعِ صَوْتِي بِالتَّوْحِيدِ يَجْعَلُهُمْ يَمْزِقُونِي إِرْبًا إِرْبًا، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.. إِنْ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ جَسَدِي سَوْفَ تَصْرُخُ: فَزْتُ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَزْتُ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ. وَهَذَا هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَنْطَلِقَ الْيَوْمَ مِنْ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْمَدِيِّينَ كَافَةً وَمِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ فِي كِيَانِهِمْ فِي شَتَّى أُنْحَاءِ الْأَرْضِ.

ما هي برامحهم؟ وما هي القوى التي يعتمدون عليها؟ هم يتحدثون عن «عاصفة الصحراء». ألا يعلم هؤلاء أن أمر العواصف بيد الله تعالى؟ أنا لا أعرف كيف يكون قضاء الله تعالى، ولكنني أعرف حقاً أن قضاء الله جل وعلا سيدمر المتكبرين في النهاية. إذا لم يكن اليوم فغداً يكون دمار الكبر والغطرسة، لأن مملكة الله في السماء.. ومملكته أيضاً في الأرض، وسوف تتوطد فيها. اليوم أو غداً أو بعد غد.. سوف تزول مملكة الكبر من الدنيا.. وعليهم تنقلب العواصف المهلكة، فتقضي على قواهم المتجمعة، ويتحطم هذا النظام القديم.

«الأمم المتحدة» لا تستحق البقاء!

تذكروا دائماً، واثبتوا دائماً على هذا، فلا تنسوا أبداً.. أن هذه التي تسمى اليوم «الأمم المتحدة»، لا يستحق أسلوبها البقاء. ستصبح هذه الأمم المتحدة ذكرى وعبرةً ودرساً من دروس الغضب الإلهي. وعلى أنقاضها سوف تشيدون.. أنتم، أنتم يا عباد الله وخدام وحدانيته.. ستشيدون البناء الجديد. أنتم الذين سوف تقيمون الصروح الرائعة الشامخة للأمم المتحدة الجديدة، تلك الصروح العالية التي تلمس السماء.

يا خدام المسيح المحمدي! يا مَنْ كُلفتم بهذه المهمة الغالية.. سترون هذا اليوم أو غداً.. أنتم أو جيلكم القادم، أو الجيل الذي بعده سيشهدونه. هذه كلمات الله تعالى وهذه كتابات قدره التي لا يمكن لأحد محوها. أنتم العمال الذين عليهم بناء تلك الصروح. لقد وُضعت في السماء الأسس لتلك الأمم المتحدة الجديدة، وعليكم أنتم رفع البناء. فلا تنسوا أبداً ذلكما العاملين الكريمين، ولا تمحوا اسميهما من قلوبكم.. إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.. وذكروا بهما أبناءكم وأحفادكم وكل أجيالكم؛ بأن يا أيها العاملون في سبيل الله.. بذات التقوى والصدق والإخلاص والارتباط بتوحيد الله بحيث يسري توحيده في كل عرق منكم، ويغمر كل ذرة في أجسادكم.. سوف تمضون في هذا العمل البنائي العظيم، وسوف تتمونه في القرن القادم وفي القرن الذي يليه، حتى يصل البناء إلى كماله. إن شرف اكتمال هذا البناء.. الذي وضع أساسه سيدنا إبراهيم وشاركه العمل فيه ابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام.. قد قدر الله تعالى أن يكون لسيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ. لا يقدر مخلوق على تبديل هذا القدر. إنما نحن عمال وأبسط الخدام المتواضعين لسيدنا محمد ﷺ. فلا تبرحوا أوفياء، ولا تملوا من تذكير أبنائكم وذراريكم.. كي يدأبوا على العمل كالعمال في سبيل الله تعالى، ويؤاظبوا على بذل الدم وبذل العرق، ولا يكفوا أبداً، ولا ينصرفوا عن العمل حتى يحقق قدر الله تعالى وعده ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. فيفوز الدين الذي أرسل به سيدنا محمد المصطفى ﷺ على الدين كله، ويكون هناك لواء واحد هو لواء محمد المصطفى ﷺ، ودين واحد هو دين الله تعالى، ومملكة واحدة هي مملكة الله الواحد الأحد.. تتوطد أركانها في هذه الدنيا.

اللهم قدر لنا أن نرى هذا بأب عيوننا! وإلا فليشهده، يا ربنا، أولادنا، وليذكرونا. أو إذا شئت، يا رب، فليكن لأحفادنا أن يشهدوه بعيونهم! ولكنني أؤكد لكم أنه سواء شهدتموه بعيون رؤوسكم أم لا.. فإن عيون روعي ترى هذه الأحداث. إنها ترى تلك التغيرات العظيمة كما لو أنها تقع أمامي اليوم. وبعد أن نموت.. ستكون أرواحنا مطلعة عليها، وسوف تصلها الأنباء.. أن يا عباد الله الذين تحبون الله حباً جماً، هنيئاً لكم جنة المأوى

وسلام لا ينقطع. فإن السبل التي ضحيت من أجلها صارت طرقاً رئيسية واسعة؛ وإن البنايات التي وضعت
لبنايتها وأحجارها وحصبائها.. قد بلغت تمامها، وصارت صروحاً رائعة لتوحيد الله تعالى. لسوف يتم ذلك.
لسوف يتم ذلك إن شاء الله تعالى!.

اهتموا وركزوا على الدعاء؛ فروح قوتنا هي الدعاء. وما من ثورة روحية تقع في العالم إلا بالدعاء وحده.
اللهم مكّننا من القيام بأكثر ما يمكن في هذا السبيل!.. اللهم آمين!.

٢٥ يناير ١٩٩١

خَوْنَةٌ بين المنتسبين إلى الإسلام!

تلوث تاريخ الإسلام بكثير من الخيانات المروعة. فباستثناء العهد النبوي، الذي يشمل زمن سيدنا محمد ﷺ وزمن خلفائه الراشدين وما بعده بقليل، لو أنكم درستُم مراحل التاريخ الإسلامي لوجدتم أن محاولات الإضرار بالإسلام كانت تتطلب دائماً الاستعانة ببعض الخونة من بين المسلمين. ولولا ذلك ما أمكن لهم قط إلحاق أي ضرر بالملة الإسلامية. ولو استعرضتم هذا التاريخ تبين لكم أن الحرب الجارية واحدة من تلك الخيانات، وهي جديرة بأن تسجَّل بأحلك الحروف. ذلك لأنه لم يحدث أبداً حتى اليوم أن اشترك أو ساعدَ مثل هذا العدد من الشعوب الإسلامية في القيام بهذه المؤامرة الخطيرة ضد مصالح المسلمين. اليوم يمكن للمعلقين قول ما يشاءون عن هذه الحرب لخداع البلاد الإسلامية التي شاركت معهم، ولكن الدارسين والباحثين والمؤرخين من عالم الغرب سوف يقولون ما أقول اليوم.. من أن تلك البلاد الإسلامية قامت بأخطر خيانة لمصالح الإسلام، وأنها بتضافرها مع القوى المناهضة للإسلام دمروا قوة إسلامية صاعدة، وسعوا للقضاء عليها بأسلوب ظالم. لا يسعنا اليوم سوى القول إنهم حاولوا ذلك.. والله تعالى أعلم بما ستكون عليه العاقبة غداً. ولكن - لا سمح الله - لو أنهم نجحوا في سعيهم هذا فسوف يسجل المؤرخون غداً أن هذه البلاد الإسلامية في سعيها ذلك تحالفت تماماً مع أعداء الإسلام لهدم دولة إسلامية كبيرة، ولم يراعوا أقل قدر من العدل أو الرحمة، ولم يبدوا أقل حرص على هذه الأمة.

السعودية ضليعة في الخيانة

كنت توقعت مثل هذا الموقف من بعض البلاد.. منها دولة السعودية أولاً، ومصر ثانياً. فعندما سعت مصر لاسترداد أرضها المحتلة.. كبلتها اتفاقاتها مع إسرائيل والضغط العالمية، حتى تُعدَّها القوى الغربية من حزبها. أما السعودية فخيانتها لعالم الإسلام تاريخية. إنها دولة بدأت بالخيانة، وولدت ثمرة للخيانة، وظلت دائماً تمثل المصالح البريطانية، ثم المصالح الأمريكية. ونظراً لسيطرتها على الحرمين الشريفين.. دأبت هذه الدولة على التظاهر تحت عباءة دينية كاذبة. ووقعت كثير من بلاد الإسلام تحت تأثير هذه الدولة التعيسة، وظلت على محبتها والتودد لها.. ظلنا منها أنها تمثل مكة والمدينة، أو بعبارة أخرى تمثل محمداً رسول الله ﷺ.

السعودية في جيب أمريكا وإسرائيل

وعن هذا الأمر حاولت مراراً أن أبين لمثلي بعض البلاد الإسلامية أنهم مخدوعون خدعة كبرى، فإني عارف بتاريخ السعودية جيداً، وعارف بتاريخ المذهب الوهابي تماماً. تحسبون أن الأصوات المنبعثة اليوم من مآذن مكة والمدينة هي من الله تعالى ورسوله ﷺ، ولكنها في الحقيقة مكبرات صوت مركبة على تلك المآذن.. وإسرائيل تؤذن خلف الميكروفون المركب في أمريكا. هذا أمر ظاهر بين، لا يتطلب تفكيراً طويلاً أو عريضاً. فكل من له أدنى معرفة بالموقف الراهن يعلم بالجزم الحقيقة الواضحة بأن السعودية هي تحت السيطرة التامة لأمريكا، وأن أمريكا بدورها واقعة تماماً تحت النفوذ الإسرائيلي؛ وفي الواقع العملي قبلت أمريكا النفوذ الإسرائيلي في سياستها.

هذا موقف ظاهر، ومع كونه عياناً بياناً إلا أن البلاد الإسلامية لا تزال عمياء. ومن بين أسباب هذا العمى أنهم جعلوا الجماعة الإسلامية الأحمدية هدفاً لدعاية باطلة شنيعة، يزعمون فيها أن الأحمدية عميلة لبريطانيا. ولما سمع ممثلو تلك البلاد الإسلامية هذه الفرية الخبيثة ضد الأحمدية ظنوا أن الأحمديين يتهمون السعودية بذلك ثاراً

منها.. وإلا فلا أساس لما يقولون ضدها. أما الآن فقد انكشف الأمر أمام الدنيا وتبين. إن المشائخ الذين كانوا يقبضون الثمن من السعودية، والذين يتعيشون على ريات السعودية، والذين كانوا يرمون الأحمدية أحياناً بالعمالة لليهود، وأحياناً أخرى للإنجليز.. هؤلاء المشائخ أنفسهم يصرخون اليوم بأعلى صوت أن السعوديين جميعاً، ورأس حكومتهم، وشيوخ الوهابية كافة.. هم عملاء اليهود وعملاء الغرب. ويعلنون رأيهم هذا بلغة بذية لا يليق بنا ترديدها، فإنها لغة تُستعمل في شوارع باكستان، وسبق لكم سماعها منهم. هذه الأصوات ذاتها ترتفع في بريطانيا ضد السعودية، وتأتينا الأخبار بمثل ذلك من بلاد أخرى. اليوم عرف العالم الإسلامي حقيقة أمر السعودية. إذن فلا مجال لمشاعر الدهشة من جراء خيانتهم، فلقد خانوا من قبل، وكنا على يقين من أنهم ما برحوا يخونون.

لم نتوقع منكم هذا

ولكن المؤسف أن بعض الدول في الوقت الراهن قامت بخيانة مصالح الإسلام بما تجاوز كل توقعاتنا. وهنا أيضاً، وبالإضافة إلى الضغوط الأمريكية، تُشتم رائحة الضغط والنفوذ السعودي إلى حد كبير. هناك قدر من الإكراه الناجم عن الفقر دفع بعض الدول إلى بيع دينها.. دول لم يساورنا أدنى احتمال من ناحيتها.. مثل باكستان وتركيا وسوريا. لم نتوقع ذلك من باكستان، لأنه مهما كان اعتزاز باكستان بأمريكا، إلا أنني باكستاني، وأعرف مزاج المواطنين الباكستانيين من عامة الناس ورجال الجيش، فإنهم لا يتحملون أبداً.. وأية صورة كانت.. أن يضعوا أيديهم في أيدي قوى الغرب وأن يشاركوهم في مهاجمة بلد مسلم، أو يلتمسوا عذراً للهجوم عليهم. لا يقبل المزاج الباكستاني هذا الأمر بأي ثمن. ورغم ذلك حين آزرت الحكومة الباكستانية الحالية هذه الخطوة المريعة ضد العراق باسم التحالف أصابني دهشة شديدة لما حدث وكيف حدث. ولكن بحمد الله تعالى قام الجنرال أسلم بيغ رئيس الجيش الباكستاني قبل بضعة أيام بإزالة سوء الفهم حول مساندة الجيش الباكستاني لهذا القرار، فأعلن بنفسه على الملأ براءته من هذا القرار قائلاً: إننا بالتأكيد لا نقبل هذا القرار.. فهو قرار خاطئ.. وهو ضد مصلحة الإسلام.

أما تركيا فهي أمة كسبت لها سمعة طيبة في العالم لقرون طويلة بوصفها حامية مصالح المسلمين. هكذا عرفتھا أوروبا، حيث كانوا يرتعدون لدى ذكر الإمبراطورية العثمانية في تركيا. كان اسم تركيا يجعلهم يفكرون بأن فرصة اختراق العالم الإسلامي مستحيلة تماماً ما دامت هذه الإمبراطورية قائمة. وتلويث هذا التاريخ العريض المجيد.. بقرار واحد من الحكومة التركية.. وتسويد صورتها بهذا القبح يُعدّ انتحاراً خطيراً لا نجد له مثيلاً في التاريخ. وهذا التلوث الذي أصاب الأمة التركية لن يغسله إلا ثورة عظيمة بدمائها.

وهناك أسباب من جهة سوريا لم أتوقع بسببها أن تنضم إليهم. فهضبة الجولان لا تزال تحت الاحتلال الإسرائيلي، وطال النزاع والشجار مع إسرائيل. ومنذ قيام إسرائيل تبذل سوريا تضحيات عظيمة في مناهضتها، وفي سبيل ذلك فقدوا جزءاً من أرضهم، ومع ذلك لم يتغير صمودهم. وبالإضافة إلى ذلك فإنه مهما كانت الصورة التي رسمها الغرب لصدام حسين، فلقد رسموا لحافظ الأسد صورة أقبح وأسوأ، ولا تزال الدول الغربية نفسها تفعل ذلك. فكيف يمكن أن يفكر الرئيس حافظ الأسد في معانقتهم سرّاً؟ ولكنني شاهدت الرئيس الأسد على شاشة التلفاز يجلس مع الرئيس بوش، ويتحدثان سوياً بطريقة وُدّية. ورأيت سياسته تتغير تغيراً جذرياً بما يبعث على الدهول؟ لا يستطيع المرء فهم ذلك ويتحير بشأن ما حدث.

إيران على عهدنا

لم أتوقع ذلك من إيران، ولا أتوقعه اليوم، ولن أتوقعه أبداً. ولقد صرحت من قبل مراراً بأنه بالرغم من الفوارق في المعتقدات الدينية إلا أن الإيرانيين أمة لا يمكنها اللجوء إلى النفاق في أمور الإسلام، لأن بهم حُباً صادقاً للإسلام. ربما يكون بمفهومهم الإسلامي شيء من الخطأ.. قد تكون في عقائد الشيعة ما لا نوافقهم عليه.. قد يكون بفكرهم الإسلامي المتعلق بالسياسة أخطاء كثيرة، وفي رأبي أن فيه أخطاء؛ ولكن ليس من الممكن أن تخون الأمة الإيرانية الإسلام عمداً. فتاريخهم مضيء بخدماتهم العظيمة للإسلام، وما فعلته إيران الكبرى، التي يقع جزء منها تحت الحكم السوفييتي اليوم، يتعذر تقديره مقارنة بما فعلته بلاد الإسلام الأخرى. فلا يسعنا القول بأن خدمات إيران للإسلام تخلفت عن غيرها بأي حال. والحمد لله أن إيران حققت توقعاتنا. هناك نزاع عميق بين حكومة إيران وصادم حسين. لقد اشتبكوا ثماني سنوات في حرب طويلة رهيبية مريعة سالت فيها الدماء. ولهم من صدام حسين شكواوي وآلام عميقة، ولو هبّت إيران ضد العراق لتفهم العالم موقفها ذلك، ولو حاولت إيران استغلال الموقف فلا لوم عليها. فهذه هي مشاعر البشر التي تثور لأمر معينة فيصعب السيطرة عليها. ففي مثل ذلك الوقت لا يستطيع المرء أن يفكر بعمق في ما هي متطلبات الإسلام؟ وما هي متطلبات أمة الإسلام؟ إنه ينساب مع عاطفته. وبالنظر إلى هذه الأمور قد يحكم المؤرخ بأن ذلك مما يُغتفر. ومع ذلك فإن إيران لم تقرر الاشتراك معهم، وظلت على الحياد التام تجاه هذه المحنة، وهكذا ذكّرت العراق بخطئه، وذكّرت القوى الغربية بخطئها. فبقيت إيران ثابتة على قواعد العدل، ومن هذه الناحية سيذكر اسم إيران في تاريخ الإسلام بالإكرام إن شاء الله.

هذا تعليق وجيز بشأن البقاء على الإخلاص وعدم الإخلاص للإسلام. وعندما أقول الإخلاص وعدمه فإنما أعني بذلك المفهوم السياسي، أي البقاء على الإخلاص لجموع المسلمين أولاً. وبهذا الصدد أود أن أذكر شيئاً آخر.

بلدان فرطاً في مركزهما

هناك بلدان في جماعة الإسلام لهما مقام ممتاز بالنسبة للدين أيضاً. فالسعودية.. بوصفها حامية الأماكن الإسلامية المقدسة، وراعية الحرمين.. تتبوأ في العالم الإسلامي مركزاً عظيماً لا يُنكر. ومن حسن طالعها أنها أعطيت هذا الشرف العظيم، ويُعهد إليها بمسؤولية هذه الأمانة. وعلى الجانب الآخر تأتي مصر.. وتعتبر الحفيظة على المعارف الإسلامية، لأن الخدمات التي قدمها الجامع الأزهر للعلوم الإسلامية لا مثيل لها في أي بلد إسلامي. وفي الحقبة الإسلامية الأخيرة نال الجامع الأزهر في مجال خدمة علوم الإسلام مكانة لا ينافسها فيها أي بلد من بلاد العالم. ومن هذه الزاوية لا يمكن أن يطوف بالخيال أبداً أن يتحول هذان القطران إلى خيانة الملة الإسلامية. وتذكرني رؤية هذا الحال شطراً من الشعر سمعته في صباي، كان محبباً إليّ وتعريبه:

حين أضرم الصياد القاسي القلب النارَ في عُشِّي، فإذا الأوراق التي كانت ملاذي وراحت شرعتْ تَهْتَرُ لتدفع الهواء.. فيزداد اشتعال النار.

فالبلدان اللذان طالما اعتمد عليهما العالم الإسلامي.. من جهة العلم، ومن جهة الحرمة.. هيجا النار التي أشعلها العدو في بيت العالم الإسلامي.

إذن هي ليست بجريمة يسع التاريخ غفرانها. أما عن قضاء الله تعالى.. وهل سيقضي به اليوم أو غداً، وهل سيؤاخذهم بذنوبهم في هذه الدنيا أو يؤخرهم لعقاب يوم الدين، فذلك له، فهو مالك يوم الدين، وهو

أحكم الحاكمين؛ ولكن بالنسبة لفكر البشر، وفهم الإنسان.. المتعلق بأمور الدنيا، فهذا هي بعض العواقب السيئة بدأ ظهورها، وهناك غيرها لن ينقطع ظهورها لزمان طويل، ولن يقتصر أثرها على هذه المنطقة.. بل سوف يمتد وينتشر في أرجاء الدنيا.

لماذا هذه الحرب البشعة؟

أود أن أعرض أمامكم الوجه الثاني لهذه الحرب.. فما هو الغرض منها؟ لماذا القتال وما طبيعته؟ وما دمنا لا نفهم ذلك تمامًا فلن نستطيع معرفة الموقف الصحيح لعالم الإسلام، أو ما ينبغي أن يكون عليه موقف العالم؟ وما هي الخطوات التصحيحية التي يجب اتخاذها من جانب الأمم المتحدة؟ إذا لم نشخص المرض تشخيصًا صحيحًا فلا يمكن وصف العلاج الملائم له. وسوف أحاول، بإذن الله تعالى، فيما تبقى من هذه الخطبة أن أقدم لكم تحليلًا موجزًا لأسباب هذه الحرب.. أسبابها الحقيقية وأهدافها؛ وعلى ضوءها سوف أقدم لكم في الخطبة القادمة، إن شاء الله، وجهة نظر للأحمدية فيما ينبغي على الأمم المتحدة، وأمم العالم الأخرى، والعالم الإسلامي أيضًا.. لحلّ تلك المشاكل. وإذا أرادوا التفكير الجاد لتوطيد السلام العالمي حقًا.. فكيف يجب أن يتجه فكرهم.

رأي المستر بوش

في الوقت الحاضر نسمع صوتًا من الغرب.. ويرفعه المستر بوش بحماس وقوة أشد.. يقول: هذه الحرب ليست حربًا دينية، وليست حرب مصالح من أي نوع، وليست حرب بترول، وليست حرب إسلام أو يهودية أو نصرانية. فأية حرب هي إذن؟ يقول: هي حرب العدل والظلم، حرب الحق والباطل، حرب الخير والشر، حرب العالم مجتمعًا ضد طاغية وحشي واحد، صدام. هذه هي وجهة نظر أمريكا تذاق على العالم في أجهزة الإعلام من راديو وتلفاز وصحف. ولقد قبل بها العالم الغربي، ويحسبون أنها حرب الحق.

رأي العالم

ولكن هناك كثير من المراقبين، ذوي النظر العميق.. يرفضون هذا الرأي. أتحدث عن المراقبين الغربيين من بينهم سياسيون على قدر كبير من الخبرة، ومنهم علماء ومحررو أخبار أذكى، ترتفع أصوات من كل طبقة منهم، بأن كل تلك الادعاءات كذب محض ودعاية مزورة. لقد خدعنا قادتنا، ولا يزالون يخدعوننا جهارًا نهارًا. إنها حرب تختلف عما يقولون.

هناك إدوارد هيث Edward Heath رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، وهو من بين الشخصيات العظيمة المعدودة حاليًا، والمعروف في بريطانيا بعمق نظره وذكائه وحكمته السياسية وخبرته الواسعة.. لم يزل هذا الرجل على الموقف القائل: زعماءنا السياسيون الحاليون يخدعوننا كثيرًا، وما يعلنون من أهداف صالحة ليس حقًا أبدًا. هذه الحرب أثرة شديدة، حرب ظالمة حمقاء ستكون لها عواقب سيئة رهيبية، وسيكون الموقف بعدها أشد خطرًا مما قبلها.

وصوت ثان.. يقول بإيجاز: إنها حرب بترول، حرب مصالح أنانية، حرب الدفاع عن إسرائيل، وحرب تحقيق أهداف إسرائيل.

ويقول البعض: إنها حرب بين الرئيس بوش والرئيس صدام، وأن الأول جعلها مسألة تتعلق بكبريائه، فلم يعد تفكيره وعاطفته تحت سيطرته، وعندما يتحدث يفلت زمامه.. فيستخدم عبارات خاطئة كالأطفال.. لا يبدو قائلها كزعيم أمة كبير. ولذلك يرى هؤلاء المراقبون أن الحرب الجارية هي في الواقع حرب الرئيس

بوش.. الذي يمقت الرئيس صدام مقتاً شديداً، وأن الطريقة التي فض بها الرئيس صدام السيطرة الأمريكية، وأبى أن يهرب أمريكاً.. أثارت غضب بوش وأخرجته عن طوره.

السبب الحقيقي

تعالوا الآن ننظر ما هو الموقف الصحيح. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية لا تبني رأيها ولا تتخذ قرارها على أساس من العواطف، فنحن لا نهتم لأنفسنا فقط وإنما نبالي بالعالم كله. وبالرغم من ضعفنا وعجزنا وقلة عددنا.. يؤمن كل واحد منا يقيناً بأن الله تعالى قد آتانا قيادة العالم؛ أعني جعلنا الله "قائد" هذا العالم في مجال الخدمة. ومعنى "القائد" هنا هو كما بيّنه المصطفى ﷺ في قوله: "سيد القوم خادهم". "فقائد الأمة خادها؛ أو بعبارة أخرى: القائد والخادم لفظان يدلان على نفس المعنى. إذا كان المرء لا يعرف كيف يخدم فلا حق له في القيادة. وإذا أُعطي المرء القيادة فالخدمة واجبة عليه. بهذا المعنى أتحدث عن كوننا "قادة" وليس بأي مفهوم آخر. إذن فواجبنا خدمة بني البشر، وتعليمهم كيف يميزون بين الخطأ والصواب، والسعي لأن نوضح هذا الموضوع تماماً. ثم إذا فهمه الأحمديون وجب عليهم رفع الصوت قدر استطاعتهم، والسعي لتغيير آراء مجتمعهم.

جذور المؤامرة

بدأت هذه المشكلة في واقع الأمر قرب نهاية القرن الماضي. فالحرب التي نشهدها اليوم لها جذور تاريخية عميقة. في سنة ١٨٩٧م تأسس مجلس لخدمة الأهداف الصهيونية، ذو صلة بطائفة من اليهود الذين يعتقدون في مملكة داود، ويؤمنون بأنها لا بد وأن تتوطد في العالم في يوم من الأيام، ويُسمّون الصهاينة أو الإسرائيليين. هكذا تأسس المجلس الصهيوني العالمي، وأذاعوا إعلانياً نترك تفاصيله الآن. وفي السنة نفسها تقريباً كُشف النقب عن وثيقة يهودية تُسمّى "بروتوكول رؤساء صهيون" وكلمة صهيون ترمز للحركة الصهيونية، وهي اسم لجبل يقولون إن سيدنا "داود" أُعطي الوعد عنده. على أية حال، كلمة صهيون عندهم تعني إسرائيل. وضع رؤساء إسرائيل الأعلون الذين يؤمنون بالصهيونية خطة: كيف يؤسسون سيادتهم على العالم، وكيف يكون خط سير عملهم، وما هي المبادئ التي يعملون عليها، وما هي أهدافهم، وأية طرق ينتهجونها.. وما إلى ذلك. وقَعَ هذا المستند في يد سيدة روسية، كانت تعمل سكرتيرة لرؤساء صهيون في ألمانيا. كانت المرأة صديقة لأحدهم، وذات مرة كانت تنتظره في بيته، ولما تأخر حضوره التقطت شيئاً تقرأه من فوق المنضدة لتقطع به الوقت، فكان وثيقة "بروتوكول رؤساء صهيون". "فزعت المرأة لقراءة هذه الوثيقة التي احتوت على مؤامرة رهيبية لغزو العالم. فأسرعت بالفرار ومعها الوثيقة. وذهبت بها إلى روسيا حيث نُشرت ترجمتها الروسية لأول مرة في عام ١٩٠٥م.

المخطط الصهيوني

وفي هذه الفترة أعدوا خططهم السرية من جهة، ومن جهة ثانية أعلنوا خطة أخرى. وليس هناك جدال حول هذه الخطة الثانية المعلنة، فهم يقولون: نعم هذه كانت خطتنا، وكشفنا عنها، وهي ترمي إلى تنظيم جهود اليهود لزيادة اتصالاتهم بالحكومات وتنمية تأثيرهم للحصول على وطن منفصل لهم. أما الخطة السرية فقد ذكروا فيها شيئاً عن الأمم المتحدة، قبل أن تكون هناك فكرة لإنشاء أمم متحدة أو عصبة أمم، وخططوا أن اليهود بعد نجاحهم في إنشائها سوف يسيطرون عليها، ومن خلال هذه السيطرة سوف يوطدون سيطرتهم على العالم كله. هكذا كانت خططهم: السيطرة على الأمم المتحدة، ومن ثم السيطرة على العالم.

كان من الطبيعي أن يستغرق تنفيذ هذه الخطة سنوات طويلة.. ولكنهم ما برحوا يجتازون المراحل واحدة بعد الأخرى.. تلك المراحل التي وردت في الوثيقة والتي قالوا إنهم بعدها سوف يصلون بالخطة إلى كمالها. وعندما أعلن اليهود براءتهم من هذه الوثيقة التي تكشف خططهم السرية، وقالوا إنها ليست خطتنا، ولكنهم نسبوها إلينا.. تبارى أهل الدراسة والسياسة والثقافة في العالم في إبداء الآراء حتى رفعت القضايا أمام كثير من المحاكم. وقام أحد البروتستانت في بريطانيا ببحوث مستفيضة حول هذا الموضوع، ونشر كتاباً تحت اسم "الماء ينساب نحو الشرق" (Water Flowing Eastward)، يناقش فيه كل تلك الجوانب. لقد أتيح لي قراءة هذا الكتاب منذ عشرين عاماً، واستعاره مني أحد الأصدقاء، ولا أعرف أين ذهب بعد ذلك. وحاولت العثور على الكتاب في بريطانيا، ولكنه اختفى من الأسواق. وقد ذكر في الكتاب أن اليهود يجمعونه من الأسواق فوراً. وسواء صح القول سارعوا بسحبه من السوق أم لا فهذا ما حدث بالفعل، وهذا ما جربنا. ولا أستطيع الجزم بكلمات الكتاب نفسها، ولكن ما أقوله عن هذا الموضوع صحيح في أساسه. كتب المؤلف أنه عندما سئل أحد الساسة الغربيين: هل هذه الوثيقة المنسوبة إلى اليهود، في رأيك، من عمل رؤساء صهيون حقاً، وهل هي خططهم أم هي مجرد مؤامرة لتشويه سمعتهم؟ أجاب: في ظني أن هناك احتمالين: إما أن تكون هذه خطة القوم الذين نُسبت إليهم، لأن كل ما حدث بعد ذلك بحسب الخطة تماماً. وكيف يمكن للأحداث أن تقع هكذا تلقائياً بنفس الترتيب، وبنفس التفاصيل؟ أو أن هذا الكتاب من وضع أحد الأنبياء الذي يملك قدرة عظيمة على التنبؤ بحسب ما يتلقاه من علم إلهي. بمعنى أن هناك احتمالين: إما أن تكون الوثيقة من إعداد كذابين كبار.. وضعوا خططهم، وينكرون الآن، أو من عمل رجل صالح صادق أطلع الله على الأحداث التي ستقع مستقبلاً!

والفترة التي دخلناها اليوم هي فترة المرحلة النهائية من المخطط. عندما تم السلام بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وكان جدار برلين يتساقط.. تذكرتُ هذا المخطط. ومع أن الكتاب لم يكن بيدي كي يُنعش ذاكرتي.. لكنني أعرف بأن ما ورد في نهاية الكتاب يقول: وفي الأخير سوف نقسم العالم أولاً، ثم نوحده، وسيتم هذا بعد أن تكون سيطرتنا قد توطدت تماماً على الأمم المتحدة.

"الماسون لن يتسلطوا"

منذ ذلك الوقت وقلبي يخفق بشدة أن قد حان اليوم المريع.. يوم تحقيق خططهم. وبالرغم من هذا الخوف الذي هو أمر طبيعي بعد ظهور كل تلك العلامات العظيمة، فإني على إيمان قوي بأن خططهم سوف تبوء بالفشل في نهاية المطاف. وإعلاني هذا أساسه إلهام تلقاه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام عام ١٩٠١ م وهو: "الماسونية لن يُسلطوا لِيُهْلِكُوهُ". (جريدة الحكم ج ٥ عدد ٣٧ بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٠١ م. والتذكرة - مجموعة إلهامات الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام - ص ٤١١)

إنه مما يذهل العقل ويؤكد عظمة هذا الإلهام الإلهي أنه تلقاه في عام ١٩٠١ م مع أن هذه الخطة انكشفت لأول مرة في عام ١٩٠٥ م بترجمتها الروسية، ولم تكن الترجمة الإنجليزية أيضاً قد ظهرت بعد. فبينما كان العالم الخارجي في غفلة تامة عن خطة الماسون لقهر العالم، أخبر الله تعالى عبده الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام عنها، وذلك قبل نشر ترجمتها باللغة الروسية بأربع سنوات، وفي قرية نائية مجهولة في الهند قاديان. أخبره أن هناك مخططاً لسيادة العالم سيلعب الماسون فيه دوراً رئيسياً وكأنهم يتسلطون على العالم، ولكنني أعدك بأن الماسون لن يُسلطوا عليك ولا على جماعتك لكي يضروكم. إن هذا لشيء عجاب حقاً! لذلك فإن إيماني متين

بأن خطتهم مقدّر لها الفشل والخيبة في نهاية الأمر. ولكنها قبل هزيمتها سوف تنفث سوماً خطيرة جداً في العالم، وسوف تثور بسببها براكين عديدة تقع على إثرها كثير من الزلازل، ويحدث دمار كبير، وستعاني الأمم من بلاء كثير، وسوف نمرّ بأشد الأيام خطورةً، لأن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تنهزم هكذا تلقائياً وفجأة. بعد جهد كبير سوف تبدي هذه الخطة كل خصائصها الخفية، لينتصر بعد ذلك قضاء الله تعالى في إحباطها. ولكن ينبغي علينا أن نوقن أن الجنس البشري سوف يمرّ في محن شديدة، وسوف يواجه الإنسان مصاعب جمّة. ولا مناص أيضاً من أن يشارك المسلمون الأحمديون في ذلك إلى حدّ ما. فليس من المعقول إبان الشدائد والمحن القومية أن تبقى جماعة صالحة بمنأى عنها كليةً، بل لا بد وأن تعاني إلى حدّ ما. ولكن بعد أن ينقضي كل ذلك سوف تأتي في النهاية أيام ازدهار الإسلام والنصر والغلبة للأحمدية. هذا هو القدر النهائي المحتوم، وهذا في الواقع هو "النظام العالمي الجديد"، وليس النظام العالمي الذي يجول بذهن الرئيس بوش، والذي يريد وضعه أمام العالم كنظام جديد.

خطوات المؤامرة ودور بريطانيا

أترك هذا الموضوع عند هذا الحد لأعود إلى ما كنتُ بصددّه من أن أساس الموقف الراهن وُضع من حيث الظاهر في أغسطس عام ١٨٩٧م، حينما أعلنوا الشروع في جهودهم لإقامة دولة إسرائيل، وذلك في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول، وكان رئيس المؤتمر في ذلك الوقت الدكتور تيودور هرتسل (Dr. Theodor Herzl). ثم شهدنا الخطوة الثانية الهامة في عام ١٩١٧م عندما كتب بلفور وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى يهودي واسع الثراء كان ممثلاً لليهود لورد روتشيلد (Rothschild)، يبلغه فيها بقرار الحكومة البريطانية القاضي بمساندته ومساعدته في الحصول على وطن قومي لليهود في فلسطين. والقرار موجود ويمكن الحصول عليه كوثيقة مطبوعة.

كانت الفترة ما بين ١٩١٥ إلى ١٩١٨ أشد وأبغض فترات التآمر ضد الإسلام. ولقد لعبت الحكومة البريطانية وقتئذ أكبر دور وقامت بأعظم قسط من هذه المؤامرات. وسأقدم لكم بعض الأمثلة على ذلك. في عام ١٩١٦ كتب مستر مكماهون (Mr. McMahon) ممثل الحكومة البريطانية، رسالةً إلى حاكم مكة والمدينة والحجاز الشريف حسين، وكان من عائلة من شرق الأردن وممثلاً للحكومة التركية في إقليم الحجاز. تتلخص رسالة مكماهون إلى الشريف مكة هذا أنه لو عقد معهم معاهدةً فإنهم سوف يجرّونه من حكم "الأتراك الظالمين"، ويساعدونه لإقامة دولة عربية حرة؛ وفي نظير ذلك يعطيهم كيت وكيت من الامتيازات. كانت بعض المناطق في خريطة المنطقة تحمل علامة (أ)، وبعضها الأخرى علامة (ب)، يعني بعضها منطقة نفوذ فرنسي وبعضها منطقة نفوذ بريطاني. وتتلخص كل الشروط في أن سلطة صياغة سياستك الخارجية ستكون في يد البريطانيين أو الفرنسيين، ولن يُسمح لك القيام بشيء في مناطق نفوذ الدولتين إلا بمشورتهم وبعد إذنهما، حتى لن يجوز لك أن تقابل مراقباً أو مستشاراً أوروبياً ما لم تحصل على إذن من السلطة البريطانية في المناطق الخاضعة لنفوذهم، أو من السلطة الفرنسية في مناطق سيطرتهم.

كانوا يتحاورون مع الشريف مكة من جهة، ومن جهة أخرى كانوا يتواطئون مع زعماء طائفة الوهابية.. عائلة سعود.. أنه إذا عقدتم معاهدة معنا تقبلون بها الإشراف البريطاني على منطقتكم إلى الأبد، ولا تشكّلون سياستكم الخارجية إلا بموافقة بريطانيا.. وتعينوننا على إسقاط الحكومة التركية، فسنساعدكم على إقامة

حكومتكم بأرض الحجاز مع وعد حمايتها للأبد بحيث لن ينظر إليكم أحد بنظرة تكروهونها. فعقدوا المعاهدة على ذلك مع شروط أخرى، وبعد سنوات قلائل نظموا، بحسب المخطط، هجوماً أطاحوا به بشريف مكة. ومن الجانب الثالث اتفقت روسيا وبريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦م على تقسيم الإمبراطورية العثمانية التركية، وقرروا لكل واحد منهم نصيباً من الغنيمة بعد تمزيقها.. لتدخل تحت حكمهم. وإلى جانب ذلك تمت اتفاقية إنجلوفرنسية لتقسيم الجزيرة العربية في خطة للسيطرة على المنطقة، ولم يدعوا شيئاً لروسيا في الجزيرة بل جعلوها حكراً على بريطانيا وفرنسا. داخل هذا الإطار يسهل فهم ما وقع من حروب والدور الذي قامت به هاتان الدولتان فيها. فإذا حللنا الموقف الراهن من وجهة النظر هذه أمكن لكم فهم أهدافهم بسهولة نسبية.

نظام أمنٍ مقلوب

ولكني قبل المضي في هذا البحث أودّ ذكر لغز يرتبط بهذه الأمور ارتباطاً عميقاً. فهناك شيئان لا يتوقع المرء بصفة عامة حدوثهما مع أنهما قد وقعا فعلاً. أولهما أنه على الرغم من أن منطقة شرق الأوسط هي من أغنى مناطق العالم حيث يوجد فيها ٦٠% من بترول العالم كله، ومع ذلك فهي أضعف مناطق العالم في قدرتها الدفاعية ونموها الصناعي أيضاً. فما هذا اللغز؟ حيث يوجد المال.. لا يوجد حراس؟ ومع أنهم يضعون في هذه البلاد ترتيبات أمنية محكمة حول بضعة سبائك من الذهب، فإن المنطقة التي تمثل جبلاً من الذهب قد تُركت من ناحية الأمن منطقة "فراغ عسكري"، حيث لا تتناسب مطلقاً القوات الموجودة هنالك مع الثروة الموجودة فيها؟ لماذا هذا الوضع؟ لماذا تركوا المنطقة بهذا الضعف؟ في حين أن إسرائيل، وهي جزء صغير من المنطقة وليس بها ثروة بترولية، قد جعلوا منها قوة متميزة! عجباً، حيث يوجد المال الكثير يكون البلد ضعيفاً، وحيث لا يوجد خطر السلب والسرقة يكون البلد قوياً! إنه لغز يتطلب تفسيراً وحلاً!

لماذا رفضوا ربط المسألتين

وهناك لغز آخر؛ عندما عرض صدام حسين ربط مسألة الكويت بغيرها رفضت أمريكا وحلفاؤها وقالوا: لا علاقة بين القضية الكويتية وغيرها من القضايا. قال الرئيس صدام: إن الاحتلال الإسرائيلي متعلق بالكويت، وينبغي حل القضيتين وتسويتها معاً. ولو أنهم قبلوا بهذه الصلة لأمكن حل المشكلة، والتزم صدام بسحب عدوانه وقواته من منطقة الكويت، والتزم اليهود الصهاينة المعتدون على الضفة الغربية في الأردن بالانسحاب منها. أوقفوا العدوان الأول وأوقفوا العدوان الثاني، لئسوى النزاع ويستقر العدل وينتهي الأمر عند هذا الحد. كان هذا هو غرض الرئيس صدام عندما كان يردد ويؤكد الربط بين المسألتين. ولكن تعمدت القوى الكبرى المتصلة بالمشكلة عرضها بطريقة أخرى، وعملت على خداع الرأي العام العالمي، في حين أن موقف الرئيس صدام كان تماماً كما شرحت لكم. تعمد العالم الغربي أن يخطئ مسألة الربط بين القضيتين وعرض فكرة الرئيس صدام هكذا: بما أن إسرائيل قامت باحتلال جزء من دولة مسلمة شقيقة، وفقد أغضب ذلك صدام، فقام باحتلال بلد مسلم شقيق.. والمسألتان سيان شكلاً وموضوعاً. ولما كان هذا العرض بهذه الصورة غير منطقي فإنهم أخذوا يسخرون منه، وأعلنوا أنه باطل وبلا معنى. وقالوا: كيف يمكن ذلك، والعالم كله يعلم أن النزاع بين العراق والكويت هو حول البترول وبيعه وسعره وغير ذلك من الأمور، وبسببه قرر العراق احتلال الكويت واتخذ مبرراً. فالحقيقة أن العراق استهدف الاستيلاء على الثروة البترولية في الكويت. إذن فكيف يمكن الربط بين هاتين المسألتين، وليس بينهما أية صلة؟

كيس التسوّل!

وَالوَاقِعُ أَنَّ بَيْنَهُمَا صِلَةٌ عَمِيقَةٌ كَمَا ذَكَرْتَ أَنْفًا. قَالَ صِدَامٌ: إِذَا كُنْتُمْ تَعَارِضُونَ الْاِحْتِلَالَ فَالوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَضَعُوا نَهَايَةَ لِعُدْوَانِ وَاحْتِلَالِ وَاقِعٍ فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ، وَسَوْفَ أُضَعُّ حَدًّا وَنَهَايَةَ مِثْلَكُمْ، وَيَسَوَّى الْمَوْضُوعَ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ ذَلِكَ. فَمَا السَّبَبُ؟ لِمَاذَا هُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّلَةِ الْعَمِيقَةِ مَعَ إِسْرَائِيلَ؟ مَا الدَّاعِي لِيَكُونُوا عَبِيدًا لِلْمَصْلَحَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَيَقْدَمُوا فِي سَبِيلِهَا كُلَّ تِلْكَ الْأَثْمَانِ الْكَبِيرَةِ. بَمَا لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ تَصَوُّرِ حَجْمِهَا؟ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، مَا هِيَ قِيَمَةُ بِلْيُونِ دُولَارٍ؟ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَمْثَالِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ تَخِيلَ حَجْمِ بِلْيُونِ مِنَ الدُولَارَاتِ. بِالنَّسْبَةِ لَنَا تَكُونُ بِلْيُونُ رُوبِيَّةٍ مَبْلَغًا رَهِيْبًا.. أَمَا بِلْيُونُ دُولَارٍ فَهِيَ حَقًّا مَقْدَارٌ هَائِلٌ مِنَ الْمَالِ. طَبَقًا لِلْأَرْقَامِ الَّتِي ظَهَرَتْ فَإِنَّ أَمْرِيكََا وَحَدَهَا تَنْفَقُ بِلْيُونِ دُولَارٍ كُلِّ يَوْمٍ. وَأَيَّامُ الْحَرْبِ مُسْتَمِرَّةٌ.. وَالْإِنْفَاقُ مُسْتَمِرٌّ! وَهَنَّاكَ أَيْضًا إِنْفَاقُ بَرِيْطَانِي، وَآخِرُ فَرَنْسِي. وَقَدْ أَنْفَقُوا مَبْلَغًا كَبِيرًا.. وَدَفَعَهُمُ الْمَوْقِفُ إِلَى التَّوْجُّهِ نَحْوَ الْعَالَمِ بِكَيْسِ تَسْوُّلِهِمْ. وَالدَّرِيْطَانِيُّونَ أَكْثَرُ وَالْأَلْفُ دَبْلُومَاسِيَّةً مِنَ الْأَمْرِيكَانِ لِخُبْرَةِ اكْتِسَابِهَا عِبْرَ الْقُرُونِ. لَقَدْ أَرْسَلُوا وَزِيرَ خَارِجِيَّتِهِمْ إِلَى أَلْمَانِيَا، فَأَعْطَاهُمُ الْأَلْمَانُ ٦٠٠ أَوْ ٧٠٠ مِلْيُونِ. وَعِنْدَمَا أَعْلَنَ الْوَزِيرُ هَذَا الْأَمْرَ قَالَ: لَمْ نَأْتِ هُنَا لِلتَّسْوُّلِ، وَلَيْسَ مَعِيَ كَيْسُ تَسْوُّلٍ. لَا نَحْمِلُ هَمًّا، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَهْنِي قَدْرٌ مَعِيْنٌ مِنَ الْمَالِ الَّذِي سَنَحْصُلُ عَلَيْهِ مَسَاهِمَةٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ. إِخْوَانُنَا الْأَلْمَانُ قَوْمٌ عَطُوفُونَ وَأُمَّةٌ طَيِّبَةٌ، أَحْسَبُوا أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِمْ مَسَاعَدَةُ إِخْوَانِهِمْ فِي شِدْقِهِمْ وَالْمَسَاهِمَةُ مَعَهُمْ فِي جُهُودِهِمْ الْحَرْبِيَّةِ، وَنَحْنُ نَقْبَلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ مَعَ الْاِمْتِنَانِ وَالشُّكْرِ.

فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَّةِ، حِينَمَا كَانَ إِدْوَارْدُ هِيْثُ يَشْتَرِكُ فِي الْمُنَازَرَةِ فِي الْبَرْلَمَانِ الْبَرِيْطَانِي قَالَ: إِنَّ هَذَا نَهَايَةُ أَكَاذِيْبِكُمْ وَخِدَاعِكُمْ. لَقَدْ فَضَّحْتُمْ أَمْتَكُمْ فِي الْعَالَمِ. تَجُوبُونَ الدُّنْيَا بِكَيْسِ الشَّحَاذَةِ. مَا الدَّاعِي لِلتَّوْرُطِ فِي هَذِهِ الْمَصَاعِبِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُونَ تَحْمِلَهَا، وَالَّتِي لَطَّخْتُمْ بِهَا شَرَفَ بَرِيْطَانِيَا وَعَظَمَتَهَا، وَصَرْتُمْ بِسَبَبِهَا مَتَسْوُلِينَ؟

وَبِالْمُقَارَنَةِ مَعَ هَذَا نَجِدُ السِّيَاسِيْنَ الْأَمْرِيكَانِ عَلَى خَشُونَةٍ. وَالْمُسْتَرُ كَوِيلٌ مَوْجُودٌ هُنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَهُوَ نَائِبُ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ بِأَمْرِيكََا، وَكُلُّ مَا يَبْدِيهِ مِنْ مَقْدَرَةٍ وَفِكْرٍ فِي السِّيَاسَةِ يَثِيرُ الضَّحْكَ عِنْدَ مَحْرَرِي الْجِرَانْدِ فِي أَمْرِيكََا، وَدَائِمًا يَحْكُونُ فَكَاهَاتٍ حَوْلَهُ. وَلَكِنْ لَسْتُ بِصَدَدٍ ذَكَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ، فليُسَوِّوْهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ. هُوَ لَا يَمْلِكُونَ مَهَارَةَ الْكَلِمَةِ وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَغْلَفُونَ بَعْضَ الْأُمُورِ بِكَلَامٍ مَعْسُولٍ. إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ وَسِيلَةَ لِلشَّحَاذَةِ تَحْتَ مَسْمَى آخَرَ. عِنْدُنَا فِي الْبَنْجَابِ بَعْضُ الشَّحَاذِيْنَ لَا يَمْدُّونَ أَيْدِيَهُمْ قَائِلِينَ: أَعْطُونَا لِلَّهِ، سَاعِدُونَا بِإِحْسَانٍ مِنْ فَضْلِكُمْ، اِرْحَمُونَا فَنَحْنُ نَتَضَوَّرُ جَوْعًا؛ وَلَكِنْ هُوَ لَا يَمْلِكُونَ عَكَازًا وَيَقُولُونَ: أَعْطُونَا شَيْئًا وَإِلَّا كَسَّرْنَا رُؤُوسَكُمْ! هَذَا هُوَ الْأَسْلُوبُ الَّذِي تَتَّبِعُهُ أَمْرِيكََا فِي تَسْوُّلِهَا، الشَّحَاذَةُ بِالْعَصَا. عِنْدَمَا سَأَلَ صَحْفِي الْمُسْتَرُ كَوِيلٌ: مَاذَا تَتَوَقَّعُونَ مِنَ الْعَالَمِ؟ قَالَ: أَيُّ تَوَقُّعٍ؟ لَقَدْ قَرَرْنَا تَفَادِي مَبْلَغٍ كَذَا مِنْ دَوْلَةِ كَذَا، وَمَبْلَغٍ كَيْتٍ مِنْ دَوْلَةِ كَيْتٍ. لَسْنَا مُضْطَرِّينَ لِلشَّحَاذَةِ. سَنَخْبِرُكُمْ كَمْ سَيَدْفَعُونَ. فَسَأَلَهُ الصَّحْفِي: إِذَا لَمْ يَدْفَعُوا فَمَاذَا تَفْعَلُ؟ أَجَابَ: إِذَا لَمْ يَدْفَعُوا فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَلَّا يَعْتَمِدُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْعِلَاقَاتِ مَعَ أَمْرِيكََا. وَهَذَا بِالطَّبَعِ تَهْدِيدٌ ضَمْنِي. عَلَى آيَةِ حَالٍ، فَإِنَّهُمْ يَدْفَعُونَ الثَّمَنَ، وَلَطَّخُوا كُلَّ سَمْعَةٍ اكْتَسَبَهَا لَهُمْ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ. مِنْذُ وَقْتُ قَرِيبٍ كَانَتْ بَاكِسْتَانُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ إِحْدَى تَوَابِعِ أَمْرِيكََا، وَقَبْلَ عَامَةِ النَّاسِ بِهَذَا الْوَضْعِ، وَاعْتَادَ كُلُّ السِّيَاسِيْنَ أَنْ يُهْرَعُوا إِلَى أَمْرِيكََا مِنْ أَجْلِ رَفْعِ مَرْكَزِهِمْ وَاعْتِبَارِهِمْ، وَتَوَقَّفَتْ رِدُودُ فِعْلِ الْعَامَةِ ضِدَّ تَصَرُّفِهِمْ هَذَا. أَمَا الْيَوْمَ فَقَدْ اشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْكِرَاهِيَّةِ فِي مَدَى بَعْضَةِ أَيَّامٍ، وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةُ أَمْرِيكََا سُبَّةً. وَبِالْمِثْلِ حَلَّتْ بَرِيْطَانِيَا كُلَّ عُرَى رِوَابِطِهَا مَعَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ، وَمَحَتْ كُلَّ اسْمٍ حَسَنٍ اكْتَسَبْتَهُ فِي زَمَنِ طَوِيلٍ.

لماذا يدفعون هذا الثمن؟ لماذا لم يقبلوا الربط، ولماذا لم يطالبوا إسرائيل بالانسحاب من كذا وكذا، لينسحب العراق من كذا وكذا، وينتهي الموضوع؟ ينبغي علينا دراسة هذه الأمور بتفصيل أكثر. ما هي الأسباب العامة لهذه الحرب؟

إن التهمة الموجهة إليهم أنهم من أجل مصالحهم المشتركة مستعدون لتدمير العراق، وما تحرير الكويت سوى ذريعة. علينا أن نتفحص ذلك عن قرب، ونرى هل أبدت هذه البلاد ردود فعل كهذه من قبل نتيجةً لمصالح مشتركة أو غير مشتركة. والدعوى الثانية بأنهم فعلوا ذلك لصالح إسرائيل.. وعلينا دراستها أيضاً. فحيثما حارب اليهود المسلمين، (والأولى أن نقول إسرائيل، لأن من بين اليهود من يعارضون إسرائيل، وينتقد هؤلاء الأشراف علناً عدوان إسرائيل، ولا يؤيدون أفعالها بأي شكل، فالأحسن أن نقول إسرائيل).. فإن هؤلاء ساندوا إسرائيل في كل مناسبة. إذا كانوا مؤيدين لهم فهل ذلك بسبب تحيز ديني.. أم هو مجرد مصالح؟ ما هو الهدف والغرض من إنشاء إسرائيل؟ لماذا يسعون جاهدين للحفاظ على وجودها بأعلى التكاليف؟ هذه هي التساؤلات التي سوف أجيب عليها إن شاء الله في خطبتي القادمة. وأترك المناقشة التاريخية الآن، وفي الخطبة القادمة سوف أصلها بما سأقدمه لكم من أحداث أساسية كانت تقع حتى يومنا هذا.. كي أنعش ذاكراتكم. وبعد هذا التحليل، في الخطبة القادمة إن شاء الله، إن توفر لي الوقت، أو في الخطبة التي تليها بإذن الله تعالى سوف أقدم الحلول لهذه المشكلات من وجهة نظر الإسلام. لقد تأخر الوقت، ولذلك أهني خطبتي.

اللهم مكن لنا، نحن خدام محمد المصطفى ﷺ، كي نقدم حلاً حقيقياً قادراً على إزالة مشاكل العالم، إذا قبلوا به وجدوا سلاماً أكيداً، أما إذا لم يقبلوا به فليفعلوا ما يشاؤون، فلن يجدوا السلام ولن يُقرّوه. القوة التي هي في الحل الصحيح هي قوة الحق. إذا قبل أحد الاقتراح الصحيح انتفع به، أما إذا رفضه قاسى الأضرار. وما دمتُ سأمثل الإسلام في حديثي فإني على يقين من أن كل حل أقدمه باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية سيكون حلاً ينبغي ألا يُستهان به. إذا قبلتم به فهو لصالحكم ولصالح البشرية جمعاء، وإذا رفضتموه فمهما فعلتم لرفع النزاع من الدنيا فلن يُرفع، وسوف تبوء كل جهودكم بالفشل والهزيمة، وستنشأ الحروب واحدة تلو أخرى، والنزاعات واحدة بعد أخرى، حتى يتلون المجتمع البشري بالدماء ويسلب من الإنسان الهدوء والسلام الداخلي. إني أؤمن أنني ما دمتُ أقدم بفضل الله تعالى حلاً إسلامياً، فلن يكون هناك موقف آخر، فإما أن يقبلوا وينتفعوا به، أو يرفضوه ويسلكوا سبيل الضرر.

وأسأل الجماعة الإسلامية الأحمدية أن يدعوا الله تعالى أن يحمي قدرتي الذهنية والروحانية من الزلل، ويثبتها على التقوى، فأرى بعين التقوى ونور التقوى، وأقدم حلاً يضمن للجنس البشري سلاماً أكيداً. اللهم آمين.

١ فبراير ١٩٩١

أمريكا قتلت السلام!

منذ ستة أشهر تقريبا.. تحدثت عن هجوم هلاكو خان على مدينة بغداد، وخشيت أنه إذا لم يتخذ الرئيس صدام حسين خطوات حريصة، فستفرض عليه حرب مروعة هدامة.. تكون أفعال هلاكو خان بالقياس إليها ضربا من الأحلام. وكل ما جري حتى هذه اللحظة فظيع ومؤلم، وما سمعه العالم من أنباء تنزف لها قلوب العالم الإسلامي جميعه. ولكن الأخبار المذاعة لا تساوي عشر معشار ما سوف تكشف عنه أخبار ما بعد الحرب شيئا فشيئا. وفي تقديري أن مئات الألوف من المدنيين والعسكريين قد قُتلوا وأصيبوا في عمليات القصف. إنه لدمار هائل ذلك الذي حاق بالسكان المدنيين ولم يكشف عنه النقاب بعد. ثم إن نوعية العمليات الحربية التي تجري ضد الجيش العراقي لا تعكس موقفا حرييا، وإنما هي كمن يقيد أحدا ثم يقطع أوصاله بالتدريج، فيبدأ بخلع أظافره، ثم أصابعه، ثم نزع قواطعه، ثم بتر أطرافه. ثم ينادي جيشه: أيها الليوث البواسل.. هلموا وهاجموا ذلك الرجل. وما داموا غير واثقين من أن الرجل لا يستطيع حيلة بذراعه المبتورة فلن يسمحوا لأبطالهم البواسل بمهاجمته. هذا هو وصف وجيز بكلماتي لهذه الحرب الراهنة.

حرب الفيل والبعوضة

يتحدث الجنرال الأمريكيون الذين يقودون هذه الحرب عن صواريخ سكود العراقية وأثرها الذي لا يتعدى أثر بعوضة في ظهر فيل. والواقع أن القوات المتحالفة كالفيل والرجل الذي يعارضهم.. ويسمونه "هتلر العصر" ليس في المجال العملي أكثر من بعوضة حسب قولهم. وما دامت هذه المعركة بين الفيل والبعوضة مستمرة.. فأرى مؤامرتهم الخبيثة لتدمير ذلك البلد المسلم قد قاربت التمام.

ليس من واجبي أن أعلق على هذه الحرب، وليس هدي في أن أخبر الجماعة بما يحدث اليوم في هذه الحرب أو ما حدث بالأمس أو ما سيحدث في المستقبل، إنما غرضي أن أضع الخلفية التاريخية لهذه الحرب واضحة، وعلى ضوءها يمكن للمسلمين الأحمديين وغيرهم من أنحاء العالم، الذين يصل إليهم هذا الصوت.. أن يتفهموا الموقف تماما كما حدث، ولماذا يحدث، وما هو الدور الذي لعبه العالم الغربي حتى الآن، وما هو الدور الذي سيلعبونه في المستقبل، وما الدور الذي قامت به الأمم المتحدة، وما الدور الذي قامت به عصبة الأمم من قبل، وما هي الروابط المتبادلة بينهم، وما روابطهم مع اليهود، ولماذا مثل هذه الروابط، وإلى أي مدى تورطت أخطاء المسلمين في هذا؟ وبعد كل هذه التحاليل، وبقدر ما يمكنني ربي، أريد أن أضع أمامكم ما أنصح به تلك الأمم واحدة واحدة. وبتفهم هذا الموضوع تماما يصبح الحل لكل هذه المسائل واضحا بنفسه. الواقع أن تشخيص المرض هو الأهم. لو كان التشخيص صحيحا فلن يصعب التوصل إلى العلاج الصحيح. ولذلك سوف أوجه نصحي لليهود، ولألم المسيحية، وللمسلمين، وإلى البشر جميعا.. لأدلم على نوع المعاملة العادلة التي ينبغي عليهم انتهاجها طلبا للسلام الدائم.

سوف أبحث معكم الآن باختصار الخلفية التاريخية البعيدة لهذه المشكلة، التي تُسمى المشكلة الفلسطينية، أو التي نعرفها اليوم باسم حرب الخليج.

عصبة الأمم والوعد الظالم

ذكرتُ من قبل وعد بلفور الذي منحه لليهود عام ١٩١٧م، وبعده وقعت حادثة مدهشة عام ١٩٢٠م ❖ إذا وضعت عصبة الأمم فلسطينَ تحت الانتداب البريطاني. واشتمل قرار الانتداب مسؤولية الحكومة البريطانية المشرفة على فلسطين في تحقيق وعد بلفور وتنفيذه. فيقول (Paul Harper) في كتابه (Arab Israeli Issue): "في مؤتمر المجلس الأعلى لعصبة الأمم عام ١٩٢٠. بمدينة سان ريمو (San Remo)، أنيطت بريطانيا بالانتداب على فلسطين، فحُمّلت معها تعهداتها بوضع إعلان بلفور موضع التنفيذ." (ص ٣٢-٣٣)

ويندر في تاريخ العالم أن تقع حادثة ظالمة كهذا التآمر المشترك من قبل هذه الأمم، فعصبة الأمم تمثل العالم كلها، ولم يكن من مسؤولياتها بحال من الأحوال أن تضمن قرارها ما جاء في رسالة وزير بريطاني إلى اللورد روتشيلد اليهودي رجل البنوك في فرنسا.. والتي يقول فيها بأن وزارتنا تبحث منحكم وعدا بوطن يهودي. فمن أعطى عصبة الأمم هذه السلطة لتوزيع الحظوظ بين العالمين، فتعطي حق الإشراف لدولة أصدرت هذا الوعد من عندها.. وتمكّنها من تنفيذ وعدّها بالطريقة التي تشاء، وتقرر مصير شعبٍ آخر ضد رغبته؟ ومع قرار الانتداب وافقت عصبة الأمم على تهجير مئة ألف يهودي وتوطينهم في فلسطين!

وعند البحث في هذه القضية تبين لنا شيء مثير وهو أن عملية الانتداب هذه إنما قررتها عصبة الأمم بهدف أن تسرع البلاد المختلفة بمساعدة الدول المتقدمة في الحصول على حريتها واستقلالها. يقول بول هوربر: "ابتكر نظام الانتداب في عصبة الأمم ليكون وسيلة كي تهتدي الأمم المختلفة إلى حكم نفسها بمساعدة الأمم الصناعية." (المرجع السابق)

هذه هي فلسفة وغرض الانتداب. وكان اللورد بلفور يعرف هذا جيدا، ولكنه استغله لهدف معاكس تماما. لذلك هو صاحب أشقى الأدوار في هذه القضية. وأما الطريق الذي سلكه بلفور للاستغلال من نظام الانتداب، ضاربا غرضه عرض الحائط، فقد ذكر في خطابه السري سنة ١٩١٩م إلى الوزارة البريطانية حيث قال فيه: لسنا بحاجة لنسأل سكان هذه البلاد العتيقة عن رأيهم. إن الصهيونية حسنة كانت أو سيئة، وسواء كان أصحابها على حق أو على الباطل، فلا بد أن نعطي الأولوية القصوى لها على آراء ورغبات السكان العرب البالغ عددهم سبعة ملايين. يقول بول هوربر: "ولكن وجهات نظر اللورد بلفور بصدد فلسطين كانت ضمن مذكّرة سرية إلى الوزارة البريطانية عام ١٩١٩م جاء بها: إننا لا نقترح بصدد فلسطين حتى مجرد الدخول في شكلية استطلاع

❖ لقد ذكرت المصادر ثلاث سنوات مختلفة للانتداب البريطاني.. ١٩١٩، ١٩٢٠، ١٩٢٢. غير أن صاحب كتاب (Arab Israeli Issue)، وهو يُعتبر من أهم المصادر الموثوق بها والمحيدة، يذكر أن ١٩٢٠ هي سنة الانتداب. على أي حال، إن هذه الأعوام الثلاثة تعتبر سنوات القرار المصرية في القضية الفلسطينية.

رغبات السكان الحاليين في البلد... فالصهيونية حقا كانت أو باطلا، صالحة كانت أو طالحة.. لها شأن أعمق كثيرا من رغبات وأهواء سبعة ملايين عربي يقطنون الآن هذه الأرض العتيقة." (المرجع السابق)

كان غرض الانتداب كما ذكر من قبل أن تحصل البلاد المتخلفة بمساعدة البلاد المتقدمة على الاستقلال والحرية، ولكنهم استخدموه لهدف مخالف تماما. فبدلا من أن يساعدوا أهل هذا البلد المتخلف على نيل الحرية والاستقلال جلبوا إليه الناس من بلاد متقدمة لتوطينهم هناك!

وفيما يتعلق بجلبهم اليهود وتوطينهم في فلسطين فقد تضاربت الآراء واختلفت المصادر في تعدادهم، ولكن بول هوربر يقول: "في نهاية الحرب العالمية الأولى، وبعد جهدٍ مركزٍ لمدة ٣٢ عاما، وطبقا للتعداد البريطاني.. توطن ٥٦ ألفا من اليهود في فلسطين، على مساحة ٢ بالمائة تقريبا من مساحة الأرض. وكان الحكم البريطاني فرصة للحركة الصهيونية كي تحوّل ما لم يزل حلما وقتئذ إلى حقيقة واقعة." (المرجع السابق ص ٣١)

ويضيف قائلا: "وبقدوم عام ١٩٢٩م كانت هناك ١٥٦ ألف مهاجر يهودي يملكون ٤ بالمائة من المساحة الكلية لفلسطين، ولكنها ١٤ بالمائة من المساحة المزروعة." (المرجع السابق ص ٣٥)

وفي ١٧ / ٥ / ١٩٣٩م قبيل الحرب العالمية الثانية.. نشر البريطانيون "الورقة البيضاء" بعد أن استقر أكثر من مائة ألف من اليهود في فلسطين، وبحسب هذه الورقة البيضاء بدّلوا سياستهم السابقة. كانت عندئذ حكومة تشمبرلين (Chamberlain) في السلطة، فأعرب عن رأيه بأننا على حافة حرب عالمية ثانية، ولو أصدرنا قرارا ضد اليهود غضبوا وصاروا أعداء لنا، ولو أصدرناه ضد العرب كانوا لنا أعداء. وأرى أن يكون القرار ضد اليهود وليس ضد العرب، لأن الحرب وشيكة الوقوع.

كان القرار الأول قبل الحرب العالمية الأولى، والقرار الثاني قبل الحرب العالمية الثانية، وكان هذا الأخير أيضا مبنيًا على اعتبارات سياسية.. وليس على الأمانة. أعلنوا رسميا في ورقتهم البيضاء أن الحكومة البريطانية لا تؤيد إقامة حكومة يهودية في فلسطين، ولا تقبل بحق اليهود في إقامة حكومة لهم فيها، ولكنهم في الوقت نفسه سمحوا ل ٧٥ ألفا من اليهود بالهجرة والاستقرار في فلسطين.

لو كانوا أمناء في قرارهم لردوا الانتداب إلى عصبة الأمم قائلين: إن حكومتنا لم تعد في جانب القرار الذي كلفتموها به.. لذا كان ينبغي إنهاء الانتداب تلقائيا، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل سمحوا بزيادة حصة إضافية من المهاجرين اليهود، ثم حصة ثالثة عام ١٩٤٦ من ١٠٠ ألف يهودي!

قسمة ضيزى

قبل إن عدد السكان اليهود كان ٨٥ ألفا عام ١٩١٩، وهناك خلاف كثير حول هذا العدد يتطلب بحثا كثيرا، ولكن يبدو أنه رقم صحيح. وفي عام ١٩٤٧، قبل نهاية الانتداب بعام، عندما أعلنت الأمم المتحدة ضرورة تقسيم فلسطين، وإقامة حكومة يهودية، وحكومة عربية مسلمة، كان عدد اليهود قد ارتفع إلى ٧٠٠ ألف يهودي. وكان مجموع السكان الفلسطينيين العرب طبقا لبعض الإحصائيات مليونين، أي أن النسبة ١ : ٣. وبالنظر إلى شروط الانتداب.. ما كان يمكن أن يزداد عدد اليهود إلى ٧٠٠ ألف، ولكن البحث دلّ على أن اليهود كانوا يُهرَّبون إلى

هناك بأعداد كبيرة. فبرغم الجهد الحقيقي في بعض المرات من جانب الحكومة البريطانية لوقف التهرب، استمرت عملية التهريب. وكلما حاولت الحكومة وقفها ثار اليهود ضدهم وقاموا بأعمال انتقامية. على كل حال كانت النسبة العددية ٧: ٢٠ عندما اجتمعت الأمم المتحدة لتتخذ قرار التقسيم، وتحدد أي المناطق لليهود وأيها للمسلمين. صدر القرار ليعطي ٥٦ بالمائة من مساحة فلسطين لليهود، والباقي ٤٤ بالمائة يخص منه مدينة القدس لتكون تحت الإشراف الدولي.. لأنها أرض مقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين أيضا، وما تبقى بعد ذلك يخصص للعرب. ولكنهم، ما سلموه للعرب مع إعلانهم في نفس القرار أيضا فيما يتعلق بإقامة حكومة لكل فريق في منطقته.. ضرورة أن تتعاون الحكومة البريطانية مع الأمم المتحدة، وتقوم لجنة معينة من هيئة الأمم، لتنفيذ ذلك تماما بالتعاون مع البريطانيين.

فرار متعمد

ما نُفذ عملياً هو أن الحكومة البريطانية رفضت التعاون، ونتيجة لذلك كان حال المسلمين في قلق وعدم استقرار وفوضى.. إذ لم يكن لديهم تنظيم قادر على تشكيل حكومة مناسبة. فعند انتهاء الانتداب عام ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا من فلسطين بكيفية ليس لها مثيل. عند انسحابهم من الهند حين تقسيمها إلى باكستان والهند أرضوا أنفسهم رسمياً بإيجاد خط تقسيم رسمي، وقالوا لا بد من وجود حدود واضحة بين الدولتين، ولا بد من توطيد الحكومتين بطريقة لاثقة. ولكنهم عندما انسحبوا من فلسطين، وحتى اليوم الأخير.. لم يتخذوا خطوة واحدة، ولم يدعوا منظمة الأمم المتحدة لتتخذ أية خطوة في هذا السبيل. كانت سفنهم محملة وجاهزة للرحيل قبيل منتصف الليل.. وغادروا كل مكان كان تحت أيديهم بمقتضى الانتداب، وعند منتصف الليل تماما أطلقوا صفارات الرحيل وغادروا البلد. لقد كان ذلك منهم عملاً قاسياً وقع أثره المدمر على رؤوس الفلسطينيين.

أما اليهود فكان لهم تنظيمان: أحدهما يقوده مناحم بيغن الذي أنشأ منظمة إرهابية قوية قبل عام ١٩٤٨، وكانت تستخدم الإرهاب ضد البريطانيين والعرب، ومنظمة ثانية بقيادة دافيد جوريون. وكانوا يتلقون كميات ضخمة من العتاد والسلاح من أمريكا. فأقاموا عدة منظمات للدفاع عن منطقتهم وتمكين حكومتهم.. وأيضاً للاستيلاء على الأرض من العرب. وهكذا في غضون عام ونصف، من ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩ وقعت أعمال عنادية بين اليهود والعرب، اشترك فيها بعض الدول العربية المجاورة، واشتعلت بينهم حرب غير رسمية، بمعنى أنها لم تعلن حرباً رسمية ضد إسرائيل، وإنما استمرت تلك الدول تساعد العرب الفلسطينيين. وأخيراً عندما تقرر وقف إطلاق النار في عام ١٩٤٩.. كان اليهود يحتلون ٧٥% من الأرض بدلا من ٥٦% المقرر لهم!

هكذا كان مسلك الأمم المتحدة، والحكومة البريطانية، والحكومة الأمريكية. هناك تفاصيل مستفيضة وعندي مراجعها.. ولكنني لا أريد شغل خطبتي كلها في هذا. والخلاصة: أن عصبة الأمم والأمم المتحدة شاركتنا في مؤامرة دولية مشاركة كاملة، ولعبت كل من بريطانيا وأمريكا دوراً لإقامة حكومة يهودية في فلسطين، ما كان لها أن تقوم أبداً بناء على أي نوع من العدل. ما كان من الممكن.. بالنظر إلى القوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة.. حتى اتخاذ الخطوة الأولى من هذه المؤامرة، ولكنهم قاموا بها، وبعدها بدأت الأعمال العسكرية.

حرب المصالح الغربية ضد إيران

في هذه المنطقة وقعت عمليتان؛ إحداهما كانت للدفاع عن المصالح الغربية وإن قاموا بها باسم مصالح العالم. قالوا هي لصالح المجتمع العالمي، ولكنها في الحقيقة كانت لمصالح غربية بحتة. وقام بالدور الأكبر فيها كل من بريطانيا وفرنسا، وكانت أمريكا تظاهرها دائماً. كانت العملية الأولى ضد إيران. ففي عام ١٩٥٠ قرر البرلمان الإيراني بأنه، نظراً إلى جشع العالم الخارجي وأطماعه في ثروتنا البترولية، نرفض العرض الروسي للمشاركة في حقول بترولنا الشمالية. كان السوفييت قد عرضوا عليهم أنكم سمحتم للشركة البريطانية الإيرانية للعمل في حقول النفط الجنوبية، فيحفرون آبار البترول لكم وينتفعون بها، فاسمحوا لنا أيضاً بذلك. فقرر البرلمان الإيراني بالأبداً يُسمح للسوفييت بالتنقيب عن البترول في الشمال، كما قرروا مراجعة الاتفاقية المعقودة مع الشركة البريطانية من وقت لآخر، على أن تكون أول مراجعة عام ١٩٥١. فابتهجوا في أمريكا لهذا القرار وصفقوا له، لأن عينهم كانت على القرار الخاص بالاتحاد السوفيتي.

وفي عام ١٩٥١م لما حان وقت مراجعة الاتفاقية كانت الشركة من القوة بحيث لم تتخيل بريطانيا وأمريكا أن بوسع إيران إدخال أي تغيير في الشركة. ويمكنكم تصور مدى نفوذ هذه الشركة إذا علمتم أن الإتاوة أو الضرائب التي كانت تدفعها للحكومة الإيرانية تمثل نصف الميزانية الإجمالية لإيران. وكان ما تدفعه هذه الشركة لبريطانيا أكثر من ذلك، وكان ما تحصل عليه الشركة من أرباح يزيد عن ذلك عشرة أضعاف؛ أي أن أرباح الشركة كانت تفوق الدخل القومي الإيراني خمسة أضعاف. لذلك لم يتخيلوا أن يصدر قراراً ضدهم. وعندما عُرضت المسألة أمام البرلمان قَدَّم الرئيس الإيراني، وكان قد باع نفسه للشركة، تقريراً ادَّعى فيه أن تأميم الشركة يتعارض بشدة مع مصالح إيران. فهاج البرلمان، وقُتل الرجلُ رمياً بالرصاص، وانتخبوا دكتور مصدق رئيساً للوزارة. ولما كان هذا الرجل مخلصاً حقاً للمصالح الإيرانية.. بدأت أجراس الحرب تدق. اتصلت بريطانيا أولاً مع أمريكا، وكانوا قبلها قد أعدوا قواهم المحمولة جواً في قاعدة موريشوس لتهاجم إيران. ولكن أمريكا أخبرتهم بأن هذه ليست الطريقة السليمة، وإنما ستسوي المسألة بطريقة أخرى. وبالضغط على أمريكا تمكَّنوا من إعداد مؤامرة قامت بها المخابرات البريطانية (ISI) والمخابرات الأمريكية (CIA). تم هذا الاتفاق سراً بين مستر سنكلر رئيس (ISI)، ومستركيم روزفلت ممثل (CIA). واستخدمت أمريكا نفوذها لمقاطعة بترول إيران في كل العالم. ولما كان نصف الدخل القومي لإيران من البترول لذلك حدثت أزمة مالية كبيرة عندما توقف بيع النفط الإيراني. وفي منتصف عام ١٩٥٢م طلب دكتور مصدق من رئيس أمريكا معونة مالية مؤقتة للتغلب على الأزمة يسد دونها بعد تسوية النزاع. ولكن الرئيس الأمريكي أجابه بأنه ليس في صالح دافعي الضرائب في أمريكا نقل الأموال إلى إيران.. في حين أنها قادرة على الحصول بنفسها على حاجتها من المال. فأمامكم خيار بسيط.. وافقوا على شرط الشركة البريطانية للبترول لتحصلوا على المال منهم، والشركة مستعدة لذلك. فأدرك دكتور مصدق سوء طويتهم، ولم يكن بوسعها فعل شيء.

وكانت خطة جهازَي المخابرات (CIA) و (ISI) قد اكتملت قبل ردّ الرئيس الأمريكي بأربعة أيام. واعتمدها ووقع عليها الرئيس بالتنفيذ. كانت عملية طويلة، وتتلخص في السيطرة على الشرطة والجيش الإيراني.. وهذا أسلوبهم المعتاد عند القيام بانقلاب عسكري، يشترطون رؤساء الإدارات. فازوا في العملية التي قادها "كيم رزوفلت" (Kim Rosfelt)، أُعطيَ ميدالية الشرف التي لا تعطى إلا نادرا للأبطال في أمريكا.

أسفرت المؤامرة عن وقوع نزاع بين دكتور مصدق وشاه إيران. فسعى كل منهما للفوز بأكبر قدر من السلطة. فأصبح دكتور مصدق قائدا أعلى للجيش، وقرر تعيين رئيس الشرطة ورئيس الأركان. وذكر هذا الرجل الذي أراد الدكتور مصدق تعيينه كرئيس الشرطة متفاخراً أن بجوزته قائمة بأسماء عملاء بريطانية يحفظها في قلبه. فاغتيل الرجل في اليوم التالي.

وعندما اكتملت الاستعدادات، أصدر الشاه مرسوما بإقالة د. مصدق. فقامت المظاهرات لتأييد رئيس الوزراء، ولكن جيشاً مأجوراً قوامه حوالي ستة آلاف من المدربين المجهزين بأسلحة قوية، تغلبوا على المظاهرات إلى حد ما. ولكن المظاهرات كانت قوية ومنتشرة بحيث توقع الناس أن يتدخل الجيش كما هو المعتاد. فاندفع ٢٠٠ ألف جندي لمساندة الشاه كما كان مخططاً. وهكذا سُلط على الشعب الإيراني شاه إيران، الذي كان مثلاً لعبيد أمريكا وبريطانيا.

كانت هذه الحادثة الأولى التي ينبغي وضعها في الاعتبار من هذه الخلفية التاريخية.

عملية ضد مصر

أما الحادثة الثانية فقد وقعت عام ١٩٥٦م حين قرر الرئيس المصري جمال عبد الناصر تعميم قناة السويس. ويرتبط هذا القرار بمشروع السد العالي عند بلدة أسوان في جنوب مصر. وعدت أمريكا جمال عبد الناصر بتمويل المشروع، ولكن نظراً لميل الرئيس المصري نحو الاتحاد السوفييتي ونظراً لعدم تخفيفه من معارضته لإسرائيل رغم تحذير الأمريكي المتكرر، ارتأت أمريكا أن تلقنه درساً، فسحبت وعدها. وكان السد العالي حين ذاك مشروعاً كبير الأهمية لحياة مصر، وكان سيؤدي دوراً كبيراً في الاقتصاد المصري والإنتاج الزراعي؛ وبدونه لا تستطيع مصر كفاية نفسها من الطعام، إلى جانب نواح اقتصادية أخرى؛ كما أن المشروع كان قد وصل إلى مرحلة لا يمكن لمصر أن تؤجله. لذلك كله أمّمت مصر شركة قناة السويس لتمويل المشروع. كانت القناة تحت إشراف بريطانيا وفرنسا المالكيتين للجزء الأكبر من أسهم شركة القناة.

وهنا قررت بريطانيا خطة أخرى لمعاكبة جمال عبد الناصر ومصر وبسبب تعرضهم للمصالح البريطانية. كانت خطةً سخيفةً خرقاء، ولكن شريرةً للغاية. دفعوا إسرائيل للهجوم على مصر والوصول إلى قناة السويس، ويكون هجومًا غير معلن وغير متوقع، ولا تكون لدى مصر قوة دفاعية قادرة على صد الهجوم المباغت، لذلك كان مقدرًا له النجاح السريع. عند ذلك يأمر الإنجليز والفرنسيون كلاً من مصر وإسرائيل بالانسحاب بجيوشهما بعيداً عن القناة، وتعلن الدولتان الغريبتان عن تدخلهما من أجل السلام. وهذا ما حدث تماماً. وصلت القوات الإسرائيلية فجأة على الضفة الشرقية من القناة، وفي اليوم التالي صدر إنذار مشترك من قبل بريطانيا وفرنسا موجه

لمصر وإسرائيل لأنهما يتحاربان ويعرضان سلام العالم للخطر، لذلك يجب عليهما وقف العمليات الحربية والتراجع لمسافة معينة من شاطئ القناة. فوافقت إسرائيل على الفور حسبما كان مخططاً، ولكن مصر قالت: هذه أرضي ووطني والقناة قناتي، فلماذا أسحب قواي من أرضي؟ كيف يُعقل هذا؟ يكفي أن ينسحب المهاجم المعتدي. عند ذلك هاجمت الدولتان مصر معاً، وكانت حرب ١٩٥٦م.

أما عن الدور البريطاني في هذه الحرب فقد أُلّف وزير الخارجية البريطانية وقتها مستر ننتنج (Nutting) كتاباً عنه. ودراسة هذا الكتاب تبين أن خط سير الأحداث الذي انتهجه البريطانيان ضد جمال عبد الناصر ومصر هو بالضبط الخط الذي اتبعه مستر بوش ضد صدام والعراق، وكأنه نسخة بالكربون من الموقف الراهن. فكما فعلوا ضد جمال عبد الناصر فإنهم شرعوا يفتعلون أشد الأعمال ترويعاً لتشويه سمعة الرئيس صدام. وقالوا كما قالوا من قبل إننا نفعل ذلك لحماية المصالح العالمية ونيابة عن المجتمع العالمي.

وملخص ما ذكره "مستر ننتنج" في كتابه: الغرض من هذه الحرب هو ركل جمال عبد الناصر من عليائه. واستخدم الرئيس بوش العبارة نفسها عن ركل صدام وإنزاله من عليائه. وهذا هو الهدف الحقيقي من الحرب كما قرروا من قبل.

وجاء في كتاب مستر ننتنج عن رئيس الوزراء البريطاني مستر أنتوني إيدن (Anthony Eden)، أنه قام بهذه الحرب لمعاقبة جمال عبد الناصر على جريمته. فكيف لكولونيل مصر أن يتحدى رئيس وزراء الإمبراطورية البريطانية؟ ويقوم اليوم بعض المعلقين بنفس التحليل على مستر بوش. وهذه الحرب في الواقع تكراراً لحرب ١٩٥٦م.. اليوم بسبب البترول، أما البارحة فسبب قناة السويس. والقوى الثلاث البارزة في هذه الحرب هي نفسها التي كانت بارزة في الحرب السابقة؛ والفرق هنا أن أمريكا تقوم بدور إسرائيل التي بقيت، أو احتفظوا بها، في خلفية الصورة.

حروب التوسع الصهيوني

أما الحروب الأخرى التي وقعت في منطقة الشرق الأوسط فيمكن تسميتها رغبة إسرائيل التوسعية. وفي هذه الحروب التي نشبت في عامي ١٩٤٨م و ١٩٤٩م ألقوا باللوم على الفلسطينيين والبلاد الإسلامية المجاورة بزعم أنهم بدأوا الهجوم مما اضطر إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات انتقامية واللجوء إلى توسيع رقعتها.

ولكن كل حرب عدوانية بعد ذلك لم يكن لإسرائيل عذر من أي نوع للقيام بها. كانت حرب ١٩٦٧م حرباً توسعية صرفة، وكانت حرباً فظيعة قضوا في غضون أيام قلائل على القوة المصرية والسورية والأردنية، ووسّعوا رقعة أرضهم حتى ضاعفوا المساحة التي منحتهم إياها الأمم المتحدة أضعافاً كثيرة.

سأعرض أمامكم بإيجاز موضوع التوسع اليهودي في الأرض، لتدركوا كم توسعوا، ولا يزالون يتوسعون، ولن يتوقفوا غداً عن توسعهم في الأرض.

ربما كان ذلك في حوالي عام ١٩٣٧م حين بدأ البريطانيون، وغيوهم على وعد بلفور، يضعون الأرقام عن المساحة التي سيمنحونها لليهود، وقرروا أن يعطوهم خمسة آلاف كيلو متر مربع. وفي نهاية عام ١٩٤٨م أعطوهم

٢٠ ألف كيلومتر مربع بدلاً من خمسة آلاف. وزادت هذه المساحة خلال سنتين قادمتين كما أشرت من قبل. ومع نهاية عام ١٩٦٧م كانت إسرائيل تسيطر على ٨٨ ألف كيلو متر مربع من الأرض. من ذلك ترون كيف ابتدأت المسألة بخمسة آلاف ثم أين انتهت.

قرارات تُنفذ وقرارات تُهمَل!

والحرب التي كانت قبل الحرب الحالية هي حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وتُسمى أيضاً حرب كيبور؛ وكيبور يوم عيد من أعياد اليهود. في هذا اليوم هجمت مصر والشام معاً على إسرائيل. ادّعوا أيضاً أنها حرب عدوانية من جانب البلاد العربية المسلمة. هذا قول غير صحيح. الحق أن حرب ١٩٦٧م كانت حرباً عدوانية من الجانب اليهودي، واحتلت فيها إسرائيل كل تلك المساحة من الأرض حتى بلغت ٨٨ ألف كيلو متر مربع كما ذكرت قبل قليل. وأصدرت الأمم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ تلوم به إسرائيل وتأمرها بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في هذه الحرب. وتلاعبوا أيضاً في هذا القرار كعادتهم وعلى الطريقة البريطانية والغربية، وذلك عندما يجين وقت تنفيذ قرارٍ ما تبدأ المحاورات والمجادلات. فقالوا أيضاً: إن من حق جميع المنطقة أن يحفظوا أمنهم، وأن تكون حدودهم الدولية بحيث لا تتعرض للخطر. وكان غرضهم من هذا أنه لدى تنفيذ القرار سيقولون: سلامة وجود إسرائيل تتطلب تعديل الحدود في المنطقة. ولكنهم مع ذلك لم يعملوا أي شيء مما ورد في القرار!

والآن نتساءل إذا كان تحرير الكويت، تنفيذاً لقرار الأمم المتحدة، يبيح لأمريكا وحلفائها مهاجمة العراق - علماً أن الكويت ليست جزءاً من أراضيهم - ألا يحق لأولئك الذين سلبت أراضيهم، بعد أن صبروا سنين طويلة ومع ذلك لم يساعدهم أحد على تنفيذ القرار الصادر عن الأمم المتحدة أن يحاولوا استرداد تراب وطنهم ولو بعمل عسكري؟ فقولهم بأنها كانت خطوة عدوانية هو نفسه عدوان وظلم. إن ما فعلته مصر ليس إلا محاولة من جانب أمة مستضعفة معتدى عليها. إذا لم يكن هناك من يساعدها على تنفيذ قرار الأمم المتحدة فمن حقنا أن نحاول بأنفسنا.

هذا هو تاريخ الحروب في المنطقة، وهذه هي مواقف هذه الأمم منها.

حقوق إسرائيل الامتيازية

والأمور التي تجلت لنا بوضوح في هذه الحرب الجارية ليس لدينا وقت كافٍ للحوض في تفاصيلها، وستكون غضة في ذاكرتكم، وسأحدث عن أهدافها فيما بعد إن شاء الله تعالى. وعلى ضوء هذه الخلفية التي بينتها لكم نتوصل إلى الأمور التالية:

أن الدول الغربية أعطت إسرائيل الحق في القيام بأي عمل عدواني تشاء، وقتما تشاء، وضد من تشاء، وحقاً احتلال أي منطقة تضع يدها عليها ثمرةً لعدوانها. وإذا أصدرت الأمم المتحدة أو مجلس الأمن قراراً ضد إسرائيل للانسحاب من المناطق المحتلة لإسرائيل الحق في عدم الانسحاب؛ وليس لأي بلد آخر هذا الحق، حتى وإن كان معتدى عليه وحاول بنفسه تنفيذ قرار الأمم المتحدة لتحرير أرضه من إسرائيل!

لم أذكر لكم أنه فيما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩م ابتدعت إسرائيل النشاط الإرهابي في العصر الحديث؛ وكان مناحم بيغن هو مخترع الإرهاب. قتلوا في مسلسل إرهابهم نائب الحاكم البريطاني، وفسدوا فندق الملك داود، فراح فيه مئات القتلى والجرحى، ووقع خراب شديد. وهاجموا الفلسطينيين وذبحوا منهم ثلاثة آلاف بين رجل وامرأة وطفل. وقتلوا الحكومة البريطانية مراراً. كانت الحكومة وقتئذ في يد حزب العمال، ووافق "المستر بيغن" (Bevin) وزير الخارجية على أن المسلمين تعرضوا للظلم، وأن اليهود يتجاوزون الحدود. وفعل كل ما في وسعه لوقف دخول اليهود تسليلاً بطرق غير شرعية إلى فلسطين. وعلى سبيل المثال، تدخلت السلطات البريطانية بأمر المستر بيغن وأعادوا إلى ألمانيا سفينة تحمل أربعة آلاف يهودي أرادوا الهجرة ودخول فلسطين بطريقة غير شرعية. عندئذ شنت صحافة العالم احتجاجاً شديداً، وسبوا المستر بيغن بما يذهل الإنسان. لقد كلفت دولة بأمانة المحافظة على منطقة ما، وجاء في هذا التكليف كشرط من شروط الأمانة ألا يسمح إلا بدخول عدد محدود من اليهود. فكان رد فعل الصحافة البريطانية مذهلاً للغاية. جاء في كتاب اسمه "صنع إسرائيل" (Making of Israel):

تخيّلوا الفظاعة والظلم في إعادة آلاف من اليهود إلى أرض التعاسة والقسوة في ألمانيا!

لقد أُعيدوا عام ١٩٤٧م.. أي بعد الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات؛ فإذا كانت ألمانيا أرض القسوة والتعاسة قد تحولت بعد هزيمة النازي إلى حطام، وجثم على أنفاسها الأمريكيان والفرنسيون والبريطانيون.. فأبي حق بعد ذلك لهؤلاء اليهود ليغادروا ألمانيا إلى فلسطين ليعيشوا فيها؟

على كل حال، يكشف هذا كيف كان الصحفيون في صفهم، وكل الرأي العام الأوروبي يحميهم. فمن حقوق اليهود المقبولة.. أعني على ضوء الخلفية التاريخية.. أن يتخذوا خطوات إرهابية، ولن يسمّى إرهابهم الإرهاب الإسرائيلي. أما بلاد المسلمين فلا يسمح لهم بأي نشاط إرهابي لحماية مصالحهم السياسية، وإن هم فعلوها فسيُشهر بهم، كما يوصم الإسلام بالإرهاب أيضاً.

أضع أمامكم بإيجاز، على هيئة نقاط، أموراً أخرى قبلوا بها:

- لإسرائيل الحق في رفض قرارات مجلس الأمن، ولهم الحق في النظر إليها باحتقار ونبذها كما تُنبذ قصاصة ورق في سلة المهملات؛ وليس لأي بلد الحق في لومهم.
- وإسرائيل، باسم حماية أمنها، الحق في تغيير الحدود الجغرافية للدول المجاورة لها.
- وإسرائيل الحق في صنع القنبلة النووية وتخزين كميات منها. ولها الحق في صنع أسلحة الدمار الشامل من كيمائية وبيولوجية، ولا يحق لأحد انتقادها، وليس لدولة مسلمة هذا الحق.

أحلام بوش

هذا هو ملخص النزاع التاريخي الذي وضعته بين أيديكم. وهناك شيء أكيد وهو أنه لم تتغير هذه السياسة حتى اليوم، ولن تتغير غداً. هذه حقوق لليهود ستبقى دون مساس بينما حرمان المسلمين من حقوقهم أمر جوهري لن يتبدل. على ضوء هذه الخلفية تعالوا ننظر ما هو حلم الرئيس بوش حول "النظام العالمي الجديد"..
لأننا ما لم نفهم حلمه جيداً لن نستطيع تقديم نصح سليم له.

بقدر ما تفكرت في هذه الخلفية التاريخية للعدوان، فإن حلم الرئيس بوش عن السلام في الواقع ليس حلمًا للسلام، بل هو حلم الموت الزؤام. ويخطئ بعض الناس إذ يحسون الموت سلامًا. وهذا يذكرنا بقصة الحصان المريض. يحكى أن ملكًا كان له حصانًا يحبه ويعتز به كثيرًا. فمرض الحصان وشارف على الهلاك. فاستبد القلق بالملك وقال: من يأتيني بخبر موته سأقتله. ووقع القدر الإلهي المحتوم ومات الحصان. فأمسكت الحاشية برجله وأجبروه على الذهاب إلى الملك لإبلاغه بالخبر. كان الرجل ذكيًا، فذهب إلى الملك وقال: أهنئك يا مولاي، فإن حصانك في سلام تام. فسُرَّ الملك كثيرًا وقال: زدني كيف حاله؟ قال الرجل: كنا في أول الأمر نسمع حشرجة صدره من بُعد ميل، أما الآن فلا نسمع له صوتًا حتى من قريب. ولما كان قلبه ينبض كانت الأرض تهتز من تحته، أم الآن فلن نسمع شيئًا ولو وضعت أذنك على صدره. إنه يرقد في هدوء وسلام! قال الملك: إذن لماذا لم تقل: إن الحصان المسكين قد مات؟ فأسرع الرجل يقول: جلالتك قتلتها بنفسك، وأنا لم أفلها!

حلمه للبلاد العربية

فما يحلم به الرئيس بوش للشرق الأوسط والبلاد الإسلامية تأويله الموت في الواقع، حتى وإن كان الحلم باسم السلام؛ وليس له تأويل آخر. وبقدر ما فكرت.. أرى حلمه هكذا: على بلاد البترول الغنية كالسعودية والمشيخات أن تعد نفسها لتوزيع قسط من دخلها البترولي كإحسان ومن على بعض بلاد العرب المحرومة من الثروة البترولية أو الفقيرة فيها. وكما تستعبد أمريكا بلاد العالم الثالث بالمعونة الأمريكية.. سيحولون بعض بلاد العرب إلى عبيد لبلاد عربية أخرى. ومن خلال هذا الإحسان، ونتيجة له سترتبط المعونات المالية بشروط كتلك التي تربط المعونات الأخرى. فالمعونة الأمريكية مثلاً تحمل معها دائمًا بعض الشروط السياسية التي تخدم المصالح الأمريكية. وسيكون لهذه المعونة العربية بعض السياسات التي تخدم مصالح إسرائيل ومصالح العالم الغربي بصفة عامة.

حلمه لإسرائيل

وأول هذه الشروط ألا تذهبوا بخلافاتكم إلى الأمم المتحدة، وإنما يجب تسوية الأمور مع إسرائيل تحت مظلة الرعاية الأمريكية. والشرط الثاني أن تعطوا عهدًا مؤكدًا بأنكم لن تتجاسروا أبداً على الدخول في حرب بالمنطقة. قدّموا لنا هذه التأكيدات. وفي الوقت الذي تواصل فيه إسرائيل صنع الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل لن يأمل أحدكم بصناعتها. هاتان هما العلامتان الأساسيتان لحلم السلام الذي رآه الرئيس بوش. وسترون أن هذا ما سوف يحدث غدًا تمامًا.

إسرائيل لن تنسحب

وهناك أجزاء أخرى للحلم، قد تتحقق أو لا تتحقق. أحدها يتعلق بالضغط على اليهود لاتخاذ بعض الخطوات. عفواً، فمن الخطأ تعميم كلمة اليهود، لأن منهم قوم شرفاء يقفون بشدة ضد إسرائيل ويرفضون سياستها، ويعدونها ضارة بالعالم وباليهود أنفسهم. وعندما أقول اليهود فإنني بالتأكيد لا أدين اليهود كافة، إنما أعني يهود إسرائيل. على أية حال، سيفكرون في محاولة الضغط على إسرائيل لتنسحب من مرتفعات الجولان ومن الضفة

الغربية لنهر الأردن، ويظنون أنهم بذلك سيحصلون على معاهدة السلام. ولكن المؤكد أن إسرائيل لن تنسحب من كل مناطق الجولان بأي ثمن؛ ومن المؤكد أيضاً عندي أنها لن تنسحب من الضفة الغربية للأردن.

ومع ذلك فإن حلفاء الغرب من بلاد العرب المسلمين سيسعدون بأعمالهم، وسيشاركون في المعاهدة التي أشرت إليها! والسبب في ذلك أن ضرر احتلال الضفة الغربية واقع على الفلسطينيين والأردنيين وحدهم، ولن تُغضب أمريكا اليهود من أجل خاطر الفلسطينيين والأردنيين. فهذا شيء غير وارد أبداً. والسبب الثاني أن خطة تهجير اليهود من الخارج وتوطينهم في إسرائيل خطة قديمة، ونفذوا جزءاً كبيراً منها، وأقاموا مستوطنات يهودية دائمة في هذه المناطق المحتلة. لذلك، حتى ولو أرادت أمريكا، فليس الإسرائيليون مستعدين للانسحاب من هذه المناطق. ويكشف ما يبدو من علاقات إسرائيل وأمريكا أن الرئيس بوش لا يملك إلى الآن الشجاعة على إغضاب إسرائيل. عندما أُطلقت صواريخ سكود على إسرائيل اتصل الرئيس بوش هاتفياً بالرئيس الإسرائيلي وبعث إليه رسله الرسميين، وتوسل إليه ألا يحاول الانتقام الفوري من العراق. وتكشف هذه الواقعة أمام العالم بجلاء عن طبيعة العلاقة بينهما. بهذه الصواريخ ماتت سيدتان وجرح شخصان أو ثلاثة، فقالوا هذا عدوان من جانب واحد؛ مع أن إسرائيل أرسلت من قبل طائراتها بدون إنذار، وقذفت بالقنابل المفاعل النووي العراقي ودمرته تماماً؛ ولم يقل أحد منهم إنه عمل عدواني. وهكذا لإسرائيل هذا الحق، وهم قبلوا به. فلها أن تعتدي وتجوس بطائراتها خلال البلاد الأخرى وترميها بالقنابل، وليس للأمم المتحدة ولا لأي بلد حق الاعتراض. كما ليس من حق المعتدى عليه بالقنابل أن يحاول القيام بأي عمل انتقامي. وهم إذ قبلوا بالمبدأ القائل بأن حق الانتقام الفوري ليس لازماً، كان من الممكن على الأقل اعتبار صواريخ سكود عملاً انتقامياً آجلاً من جانب العراق، ووجب عليهم إعلانه بهذا الوصف.

ولو تفكرتم قليلاً في هذا الموضوع لاتضح أمامكم العلاقة بين أمريكا وإسرائيل. يتصل الرئيس بوش عدة مرات هاتفياً، ويتوسل إليها بلهجة رقيقة: لا تقوموا بعمل انتقامي فوري، ثم يرسل ممثليه لمناقشة الموضوع تفصيلاً، وينتهون إلى أنه لو امتنعت إسرائيل عن العمل الانتقامي الفوري فسوف يسعون للانتقام لها بأشد ما يمكن؛ وسيضاعفون ضرب المدنيين آلاف المرات ويدمروهم تدميراً. ولقد كان بالفعل انتقاماً لإسرائيل، وأخذت القوات المتحالفة بالمهمة على عاتقها ونفذتها تماماً.

ومن جانب آخر، بالإضافة إلى تأرهم لإسرائيل قالوا سنعطيك تسعة بلايين من الدولارات معونة مالية. تخيلوا هذا القدر من المال. إنه جبل من الثروة. لما يدفعون؟ هل ذلك في نظير ألا تأخذ إسرائيل الثأر بنفسها؟ لا، فقد أعلنت أن تأجيل الانتقام أمر مؤقت، وبعد ذلك فلهم الحق وقتما يشاؤون وحيثما يشاؤون، في فعل ما يشاؤون للثأر من هذا العدوان العراقي! لذلك قلت: قد قبلوا أن لإسرائيل الحق في العدوان، ولا يجوز لأي بلد أن يتخذ تدابير وقائية ضد عدوانها! ولو أن بلدًا فعل ذلك بإسرائيل فسوف تقوم تلك القوى الغربية بالعدوان عليه، ويبقى بعد ذلك لإسرائيل حق العقاب. وسوف نرى متى وكيف يكون ذلك.

هذا هو النظام العالمي الجديد الذي حلم به مستر بوش، والذي يقول عنه إنه يضمن سلام العالم للأبد!

ولا تزال لهذا الحلم بقاياها. لن تنسحب إسرائيل من الضفة الغربية بأي ثمن، بل أحشى أن يكون الأساس قد وضع لتحتل إسرائيل الضفة الشرقية أيضاً. لقد أُجبر الملك حسين على البقاء محايداً، وكل جريرته أنه منذ أيام قليلة عبّر في مؤتمر صحفي عن أسفه الشديد لأن القوى المتحالفة تقضي على المدنيين الأبرياء في العراق، وترتكب فظائع مؤسفة. وتبنى الملك حسين تعليقة على ما تعلنه القوى المتحالفة بلسانها. وما يصدر عنها من بيانات عن عملياتها الحربية تبرز هذه الصورة. إذا كانت هناك طلعة جوية في كل دقيقة للقذف والتدمير - ويعترفون أن القذف على العراق لم يحدث نظيره في أي حرب أخرى على مدى التاريخ كله في أي مكان بالعالم وأنه لا مجال للمقارنة بينه وبين ما حدث في فيتنام - واستنتجت بها أن مئة ألف من المدنيين قد تأثروا بها، فيكون هذا في نظر الرئيس بوش إهانة لأمريكا ووقاحة في حق إسرائيل؟! فيُنذر الملك حسين بأن احذر واحفظ لسانك عند الكلام! ألا تدرك ما تقول؟ من أعطاك حق النقد!؟

هذه أيضا بعض الجوانب المرعبة من الحلم.. فقد رأى حلم السلام بمعنى الهلاك. وهناك أيضا ناحية تحذيرية في حلمه أرى أنها تتضمن تدبير عذر لمهاجمة الضفة الشرقية حتى يمتد الاحتلال الإسرائيلي على الضفتين. ويؤيد حدسي هذا محاولات تاريخية عديدة منذ البداية وحتى اليوم أشرت إليها آنفا. فاليهود يتوسعون في الأرض دائما، وسياسة التوسع ليست في زيادة عددهم فقط، بل وزيادة مساحة منطقتهم أيضا. وحلم إسرائيل الذي ارتآه اليهود منذ البدء هو أن يجمعوا اليهود من كل المناطق المضطهدة ويوطنوهم في دولة حرة لهم. ودون دخول في التفاصيل، أقدم لكم عدد السكان اليهود في بعض البلاد: في إسرائيل مليونان ونصف، وفي أمريكا ٥ ملايين، وفي روسيا مليونان ونصف. وهناك برنامج في الوقت الحالي لتوطينهم في إسرائيل، والبرنامج مستمر، وعند اكتماله ينتقل مليونان ونصف يهودي إلى إسرائيل. وهذا يعني مضاعفة عدد سكان إسرائيل، وهذا يحتاج إلى مزيد من الأرض. هذا شيء بيّن واضح طبيعي. وكل أرض يحتلوها اليوم هم بحاجة إلى أكثر منها لتفي بحلمهم. وفي نفس الوقت.. هجرة اليهود من أوروبا وأمريكا مستمرة.

وحول هذا الموضوع سوف أعرض عليكم بعض الأمور في خطبتي القادمة إن شاء الله تعالى، ولكني أود الآن أن أخبركم في إيجاز أنه في مقدمة الأسباب التي برّروا بها إقامة دولة إسرائيل هو أنهم غير آمنين في البلاد الأوروبية، وتعرضوا فيها للفظائع. ولو كان هذا حقا هو الغرض من إنشاء إسرائيل فإن الحلم الإسرائيلي لن يتحقق ما لم يفسح مكان في فلسطين لليهود المقيمين في البلاد الغربية، والاتجاه الحالي يشير إلى نفس الأمر، أي كيف يتقدمون.

مسألة أدوار

ففي حلم الرئيس بوش وجه تحذير بضرورة احتلال الضفة الشرقية من الأردن. أما كيف يتقدم هذا الحلم فيما بعد، وإلى أي مدى سوف يبتلع العالم.. فهذه تحتاج إلى تفصيل طويل. وبإيجاز أشعر أنها مسألة أدوار. وما دامت القوى المسلمة لم تُدمر واحدة بعد أخرى.. لن يتحقق حلم الرئيس بوش. فمن عليه الدور؟ لا أستطيع القول هل هي باكستان أو سوريا؟ باكستان تحلم بأن تكون قوة نووية. ومسألة وصولها إلى ذلك أم لا

موضوع جدلي، ولكن هناك طرقا عديدة لتدمير باكستان؛ فهناك مشكلة كشمير، ومشكلة الشيخ. بوسعهم تحريض الهند والسماح لها بالهجوم على باكستان. وبوقف المساعدات الدفاعية والاقتصادية يجعلون القوة الباكستانية عديمة الجدوى والسلاح، فلا يبقى لها قوة للدفاع عن نفسها ضد هذا الهجوم. هناك أنواع المؤامرات، والخطر مائل بلا شك.

وسوريا بالتأكيد تواجه الخطر لأنها قوة كبيرة أيضا. ومن الخطأ الفادح ومن حماقة أن تحسب سوريا نفسها بمأمن من الخطر لأنها انضمت إلى القوى المتحالفة. ما دامت إسرائيل هناك فسوريا في خطر. وإيران كذلك تواجه الخطر، وتركيا أيضا. وأشعر أنهم سوف يحققون حلمهم بإثارة النزاع بين البلدين.. والنزاع القائم اليوم. فيشعلون بين إيران وتركيا حربا بالطريقة التي اتبعها الأمريكان وحلفاؤهم عندما هيّجوا العراق لمهاجمة إيران، وساعدته في هذا السبيل بلاد عربية متحالفة مع أمريكا، وزودت بلاد الغرب العراق بأسلحة الدمار الشامل، وساعدته مساعدة كاملة.

هذه هي خلفية الحلم.. نستطيع أن نرى في أي اتجاه يتقدم الحلم وينتشر، وعلى ضوءها سوف يتحقق الحلم في النهاية. كما فعلوا في الماضي.. يستخدمون قوة إسلامية، يعطونه القوة لهدم قوة إسلامية أخرى. فما هي الخطوة التالية؟ إنهم سوف يقضون على ما تبقى من البلاد الإسلامية التي تتمتع بقدر من القوة.. واحدة بعد الأخرى. هذا هو حلم الموت الذي رآه الرئيس بوش، وسماه حلم السلام.

أمريكا قتلت السلام!

لقد ذكرتني أيديهم الملوثة بدماء المسلمين العراقيين والفلسطينيين المستضعفين وغيرهم من العرب.. بأسطر من رواية ماكبث (McBeth). لما سلّطت لادي ماكبث زوجها لقتل ملك إسكتلندا، قتله وهو نائم. فأصابها رد فعل سيكولوجي جعلها تحسب نفسها القاتلة الفعلية. ونتيجة لهذا المرض النفسي كانت تغسل يدها باستمرار وتقول: لا تزال رائحة الدم في يدي. غلستها كثيرا، ولكن رائحة الدم ما زلتُ أشمّها في يدي.. ولن تستطيع كل العطور العربية تعطير هذه اليد الصغيرة. أي إن رائحة الدم ستبقى في يدها، لن تزيلها العطور العربية القوية.

وموضوع الرئيس بوش يختلف شيئا ما عن ذلك، فإن يده التي تلوّثت بدماء العرب المسلمين لن تكف عن مطاردة أمريكا وحلفائها، ولن تقدر عطور العالم كله على تعطير ريحها اللاذع وتحويل مرارتها إلى الحلاوة.

وبمناسبة حلم السلام الأمريكي أقدم لكم مناجاة ماكبث لنفسه بعد أن جفاه النوم. كانت جريمة قتل الملك شديدة الوطأة على ضميره القلق، ولم يغف لنفسه ما فعله. وفارقه النوم ليلا، وقال يصف حاله: "أحسبني سمعت صوتا يصيح: "لن تنام أبدا.. لن تنام أبدا. انظر لقد اغتال ماكبث النوم."

فلأنه قتل الملك النائم.. لا يمكن، تحت الضغط النفسي، التعبير عن مقتله بأحسن من هذه العبارة: لقد قتلت النومَ عندما قتلتَ النائم.

فإذا بدلنا كلمة واحدة هنا أمكن أن يكون العبارة مناسبة لحال الرئيس بوش، فأقول: "أحسبني سمعت صوتا يصيح: لا سلام إلى الأبد. انظر لقد قتلتُ أمريكا السلام."

وإني أشعر، إنْ تحقق الحلم الأمريكي، بصوت صراخ مسموع يقول: إن سلام هذه المنطقة، بل العالم كله.. لن يستقر أبدا.. فقد قتلته أمريكا.

ماذا نستطيع عمله؟ هذا ما سوف أخبركم به في خطبة الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى. وأود الانتهاء من هذا الموضوع.. لأعود سريعا إلى موضوعي الحقيقي الأبدى.. ألا وهو موضوع العبادة ووسائل الاستمتاع بها.

٨ فبراير ١٩٩١

كلبهم أفضل من الإنسان!!

شرحتُ لكم أموراً تتعلق بحرب الخليج وخلفياتها، لنفهم لماذا يدخلون الحرب. وما لم نتفهمها تماماً فلن يكون بوسعنا حقاً صنع خريطة جديدة للعالم. والموقف الراهن هو أن الجهد المبذول لإقرار السلام قد تسارع فجأة، ويرتبط بذلك مصلحتان لأمریکا. فقبل الشروع في الهجوم الجوي تركوا في العالم انطباعاً بأننا قدّمنا مراراً لصدام حسين اقتراحات معقولة، ونريد أن نقرّ السلام، ولا نريد الحرب؛ ولكن انظروا كيف يرفضها رفضاً متواصلًا. وتوشك الحرب أن تدخل في مرحلة أخرى، فيها خطورة شديدة على القوات المتحالفة من بعض النواحي. فهم، وإن كان لهم التفوق المادي والقدرة على إصابة العراق بأشد الضرر.. لكنهم قد يتعرضون لخسارة كبيرة في الأرواح. فشرعوا في هذه المرحلة يذيعون حملتهم الدعاية مرة ثانية لكسب ميزتين: الأولى: إذا كان ثقل الخسائر العراقية يصيب صدام حسين بالفزع، ويثير الرأي العام في العراق ضده لأهم قاسوا ما يكفي من الدمار، ويجبون إهاء الأمر وقبول مطلب الانسحاب من الكويت.. فبذلك يكون هدفهم من تدمير قوة العراق قد تحقّق. والثانية: في نفس الوقت تتحرر الكويت، وينقذون أرواح الأميركيان التي يخشون فقداها. وعند هذه المرحلة أرسلوا إلى بغداد بمبعوثيهم من الدول التي سوف تعرض الأمر هكذا: كل ما عليك هو الانسحاب من الكويت فينتهي النزاع. يجب ألا تصرّ.. فقد نلت ما يكفي من الدمار.

ولكن الموقف الحقيقي ليس كذلك. لقد ذكرت من قبل أن هذا كذب. كان موقفه دائما: إن هجمي على الكويت عمل عدواني، ولكن ثمة أعمال عدوانية أخرى وقعت من إسرائيل على البلاد الإسلامية، ولا يزال احتلالها قائماً بالرغم من أن الأمم المتحدة ومجلس الأمن قد أصدرتا قرارات متكررة تدين الاحتلال الإسرائيلي وتصمّه بعدم الشرعية. فإذا كنتم حقاً ترغبون في السلام فلتكن هناك مناقشة لكل هذه الأمور. ليس مسألة الكويت فحسب، بل ينبغي النظر في أمر تحرير الكويت، وأيضاً تحرير الأراضي المحتلة.. كي ينتهي هذا الموضوع الذي لم يزل مصدر فظائع منذ زمن طويل.

تعليمات أمريكا صارمة

وما برحت أمريكا ترفض ذلك بشدة حتى إنّها كانت تعطي تعليمات صارمة بشأن هذا الرفض لكل مبعوث كي يضغط على العراق، بل حمل السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دي كولار تعليمات بالألا يبدأ أي بحث حول هذا الموضوع، ولا يربط أبداً بين مشكلة فلسطين والكويت في المباحثات.. لأنهم لو بدأوا بحث الموضوعين سوياً لانكشف الخداع الأمريكي، وهذا يخلق مشكلة سيكولوجية لأولئك العرب الذين يساندون أمريكا. ترفض أمريكا أن تضغط على إسرائيل للانسحاب، بينما تصر على العراق بالانسحاب. إنه خداع وظلم مفضوح يصعب بعده على أية حكومة مسلمة أن تستمر في مساندتهم. ولكن سبب تأييد الحكومات الإسلامية لهم سوف يبقى كما هو، وسأتناوله فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيما يتعلق بالملام، فلا نستطيع إلقاء المسؤولية على طرف واحد. الموضوع طويل جداً، وسأخذ مزيداً من الوقت لشرحه. بيد أني أشعر بأن الله وحده يعلم كيف ومتى تنتهي هذه الحرب، ولكنها عندما تنتهي لن تنتهي المشاكل، بل سوف تزداد. وأول ما تبين من نتائج هذه الحرب هو موضوع الآية القرآنية: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.. أي رمت الأرض بمصاعبها ومشاكلها المتعلقة بالشرق الأوسط. بل وخرجت جليّة أمام عيون الدنيا جميع المشاكل العالمية المشابهة. كيف ستكون خريطة العالم الجديد؟ وماذا ستكون العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى في هذه الخريطة الجديدة؟ وما الدور الذي ستلعبه الأمم المتحدة، إذا كان باستطاعتها أن تؤدي دوراً محددًا؟ من يملك السيطرة على ثروات النفط، وكيف يكون التصرف فيها؟ كل هذه الأمور وأمثالها تواجه العالم اليوم. وسواء تقوم حرب هناك أم لا، وسواء تنتهي الحرب أم لا.. فسأمضي في موضوعي حول مشاكل العالم المستمرة.

صدام مسؤول

أما مسؤولية الحرب فأشعر أن الرئيس صدام يتحمل بالتأكيد مسؤولية مهاجمته للكويت، وكان متسرعاً في هجومه. ونتيجة لذلك أساء إلى سمعته الشخصية وسمعة العراق أيضاً. وكان أعظم الأضرار وقوعه في فخ نصبه له العدو. هناك جدل حول هذه المسألة عمن هو المسؤول؟ فأهل الفكر والمتفكرون من الفئة العليا.. من أمريكا نفسها.. يعترفون صراحة أن النصيب الأكبر من المسؤولية واقع على أمريكا، وأن جريمة صدام أنه وقع في الفخ الذي نصبته أمريكا. فهذه أعظم جرائمه، وهو مسؤول أيضاً من هذا الوجه.

أمريكا المسؤولة الأولى

أما عن سلوك أمريكا فأقرأ على مسامعكم تصريح جيمز أكينز (James Akins)، السفير السابق لولايات المتحدة لدى العراق. كتب يقول: "أوقعت الولايات المتحدة صدام حسين في غزو الكويت بتعليماتها إلى السفيرة الحالية أبريل جلاسي April Glaspie، كي تشجعه وتؤكد له أن هذه المسألة من الشؤون الداخلية للعراق ولن تتدخل فيها." (Canadian Ecumenical, Jan & Feb 1991 p. 3)

وقال الجنرال ميكل دوجان (Mickael Dugan) رئيس الأركان لسلاح الطيران الأمريكي، والذي أقيمت من منصبه بسبب بيانه هذا أمام الصحفيين: إن أمريكا تهدف إلى قطع رقاب صدام وأسرته وأعوانه لتنتهي المشكلة من الأساس. وقواتنا الجوية مستعدة لتنفيذ هذه الخطة التي اقترحتها إسرائيل.

(Aviation Week & Space Technology, Sep. 24, 1990 USA. & Times, Oct. 1 1991 USA)

هذا التصريح له وزنه، فهو من رجل يشغل منصباً رفيعاً كرئيس الأركان. فهو ليس تصريحاً لمعلق عادي. الواقع أنه كانت هناك مؤامرة لترتيب هجوم لاغتيال الرئيس صدام وأسرته وكبار ضباطه، وبهذه الطريقة أرادوا تسوية المشكلة!

وأبدت أمريكا إزاء هذا التصريح رد فعل عنيف، ولكن لا حجة لها في إنكاره. فمن الحقائق الثابتة أنهم رتبوا هجوماً سابقاً مماثلاً ضد الرئيس الليبي معمر القذافي، وتعلم الدنيا كلها ذلك. القانون الأمريكي لا يسمح للرئيس

بترتيب اغتيال أحد في دولة أجنبية، ولكنهم لا يزالون يقومون بعمليات اغتيال تحت اسم "العمليات السرية". وعندما تُفضح هذه العمليات الخفية تصبح جريمة كبرى. فأمريكا تتحمل مسؤوليتها الكبرى بكل يقين.

لعبة أمريكا

ثم هي عملية باسم الأمم المتحدة، في حين أنهم في الواقع قد اشتروا كثيراً من البلاد، وضغطوا على بلاد أخرى كثيرة، ودفعوا كثيراً من الرشاوي الآجلة. وكل هذا لعبة أمريكية. وبهذا الصدد لم يزل الرئيس صدام يقول: إن استخدام اسم الأمم المتحدة لتبرير هذه العملية سخرية واستهزاء بالأمم المتحدة. وعندما زار سكرتير الأمم المتحدة أخيراً صدام حسين للتباحث معه، أخبره أن العملية كلها خداع للعالم. إنها عملية أمريكية، ومن الخطأ القول بأنها من الأمم المتحدة. فأقر ديكولار أنه شخصياً يوافق على رأيه مائة بالمائة، وهذا ما حدث تماماً؛ ولكنه من الناحية الرسمية ليس في موقف يسمح له بإعلان ذلك. وحاولت أمريكا إخفاء هذه الملاحظات عندما عاد السكرتير العام وقدم تقريره عن مهمته متضمناً بعض أمور مشاهمة. ولكن الرئيس صدام حسين أذاعها، ونشرتها أيضاً الصحف البريطانية التي اطّلت عليها. (Guardian 12.2.1991)

فالمسؤولية الأولى تقع على كاهل أمريكا.. بالرغم من أن الرئيس صدام قد استُغل. وفيما يتعلق بمسؤولية الرئيس صدام فثمة أمور نستطيع بناء عليها القول بأنه عديم الحيلة. ولكن مسؤولية الحلفاء واضحة، وهم فعلوا كل تلك المظالم لمصالح شخصية. فكل طرف من الحلفاء له أغراض ومصالح خاصة.

الخطة من وضع إسرائيل

وإسرائيل مسؤولة لأن الخطة كلها من وضعها كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فليس هناك مكيدة لإسرائيل أعظم من تدبير القضاء على قوة إسلامية ناهضة يمكن أن تمثل تهديداً حقيقياً لها في الحرب. وتتم الخطة بأن تتحمل البلاد الإسلامية أو بعض الحلفاء الآخرين نفقات الحرب، ويكون القائمون بها من الأمريكان والبريطان والعرب؛ ويكون الغنم لإسرائيل، كما تجد هي فرصة لاحتلال مزيد من الأرض، وتكتسب تسعة بلايين من الدولارات، ويبقى لها بعد تدمير العراق كلية - لا سمح الله - الحق في الثأر من البلد الذي يعاني من سكرات الموت! فالميزة العظمى من هذه الجريمة كانت لإسرائيل، وعليها معظم هذه المسؤولية.

الأمم المتحدة مسؤولة

والأمم المتحدة أيضاً مسؤولة. عندما بدأ "البيع والشراء" في مجلس الشعب الباكستاني قيل إنهم يتاجرون في الخيل. كانت فعلاً تجارة خيل، ولكن من أين تعلموا هذا التعبير للدلالة على شراء أعضاء المجلس لأغراض سياسية؟ كيف بدأ وكيف فكروا فيه؟ لقد علمنا الآن أن هذا المفهوم جاءهم من أمريكا.. لأنهم هنالك فتحوا سوقاً لتجارة الخيل داخل الأمم المتحدة لشراء الأصوات. وإذا كانت الأمم المتحدة قد صارت فعلاً سوقاً تستطيع الأمم الغنية الشراء فيه بشروطهم فهي - أعني الأمم المتحدة - لا ترتكب بذلك أبشع جريمة فحسب، وإنما ترتكب انتحاراً أيضاً، لأن الثقة في هذه المنظمة ضاعت إلى الأبد.

بريطانيا مسؤولة

إلى جانب ذلك هنا خلفية تاريخية ينبغي أن تضعوها في الاعتبار. ولا داعي هنا للدخول مرة ثانية في تفاصيل مسلك الحكومة البريطانية ومؤامرة اليهود التي دُبرت لإنشاء إسرائيل. ولقد صاغ الدكتور تيودور هرتسل (Dr. Theodor Herzl) هذه الخطة عام ١٨٩٧، وعيّن تحت مظلتها كثيراً من علماء اليهود ومفكريهم للتغلغل داخل القوى الغربية. ومن بين هؤلاء الكيميائي وايزمان (Weizmann)، الذي كان خبيراً كبيراً في الكيمياء ومن مواطني بولندا، وتعلّم في ألمانيا، وجاء إلى بريطانيا، وأنشأ علاقات مع ذوي النفوذ. وكان أشد تأثيراً في اللورد بلفور (Lord Balfour)، الذي كان وزير الخارجية البريطانية في حكومة لويد جورج من عام ١٩١٥ حتى ١٩١٨. وإن أكبر جهد لإنشاء إسرائيل قام به بلفور، ولذلك تتحمل بريطانيا رسمياً مسؤولية النزاع الحالي، لأن الموضوع برمته غير شرعي ولا حق له في الوجود. فتوجههم إلى بلد، ثم فرضهم على أهله قوماً ضد رغبتهم، وضد شروط الانتداب، وضد اتفاقياتهم أنفسهم، هو ظلم ما بعده ظلم، ولا مبرر له على الإطلاق. لقد لعبت بريطانيا أكبر الأدوار في هذا الظلم، ومن ثم فهي شريكة دائمة في المسؤولية.

أصوات أيدت الحق

ولكن دعوني أخبركم بأن الأمة البريطانية في مجموعها لم تكن متورطة في هذا التصرف عند بدايته. وتدل دراسة الصراع الذي دار بين عامي ١٩١٧ و ١٩٢٠ في بريطانيا على أن المسلمين أبدوا كثيراً من الجهل أيضاً. ففي الوقت الذي كان اليهود ينشرون فيه فتاخ مؤامرتهم في جميع الاتجاهات ويؤثرون على أصحاب النفوذ.. ظل المسلمون مهملين ذلك تماماً. قام اللورد كيرزن (Lord Curzon) - خليفة "بلفور" في وزارة الخارجية، والذي ناصر المسلمين كثيراً - بكشف أشد الأمور غرابة بحيث يتعذر فهمه. يقول: كان اليهود مشتغلين بنشر مؤامراتهم، باذلين أقصى جهودهم، وكان العرب يبدون المتفرج الذي يختلس النظر في فرجة ضيقة، وليس مسموحاً له بالدخول؛ أو لعلهم لم يكونوا يدرون بما يجري حولهم.

على كل حال فالقول بأن الأمة البريطانية كلها كانت مشاركة في هذه المؤامرة غير صحيح. لقد خالف اللورد كيرزن مشروع وطن اليهود بشدة، وفهم الهدف والغرض من إنشاء دولة إسرائيل، وكتب: "إنهم ضغطوا علي مراراً كي أقبل بالصلة التاريخية بين إسرائيل وأرض فلسطين، ولكنني أعرف أنها مؤامرة عميقة شديدة الخطورة وذات آثار بعيدة المدى. وإذا ما قبلنا بها فلن يكون لدينا عذر لكبح جماح اليهود والسيطرة عليهم. سوف يكررون كل تاريخهم القديم، ويقولون لقد فعلنا كذا وكذا في موقع كذا وكذا.. فاليوم لنا الحق في كذا وكذا!!"

(The Origins & Evolution of The Palestine Problem 1917 1989 P. 21-28
Published by U.N.O. 1990)

كان الرجل صلباً على طول الخط، وبذل كل جهد بوسعه ضد المؤامرة، ولكن نتيجة لخطتهم السرية ظلت وزارة لويد جورج تحت دائرة النفوذ اليهودي. وفي النهاية تركوا الأمر يمرّ في البرلمان، وأقرّوا إقامة دولة لليهود في فلسطين على أساس الصلة التاريخية. والعبارة الأولى التي اعترض عليها اللورد كيرزن بشدة، فإنهم غيروها بدهاء

إلى "صلة تاريخية". ولكن عندما تطلعون على صيغة القرار، ولا أستطيع قراءتها الآن، ستندهشون، لأنهم استخدموا أسلوباً أشد ما يكون مكرراً بحيث يُحقق كل أغراض اليهود.

تنازلات للصهاينة

وعندما عرضوا القرار أمام مجلس اللوردات قاموا باستخدام العدل الكامل، يجب أن نعترف بذلك، بل حذروا أمتهم من اتخاذ مثل هذه الخطوة لأنها ظلم فادح شديد الخطورة، سيؤدي إلى أضرار بعيدة المدى، ولا يمكن التكهن متى تتوقف نتائجه الضارة. وهكذا رفض مجلس اللوردات المشروع. ولكنهم بعد ذلك عرضوا المشروع على مجلس العموم مرة أخرى، فوافقوا عليه.

كان اللورد سيدنهام (Lord Sydenham) عضو مجلس اللوردات يردّ على بلفور قائلاً: "ربما لا يمكن علاج الضرر الذي وقع نتيجة إلقاء سكان الغرباء على قطر عربي، والعرب يحيطونه بما وراء الساحل. ولم يكن ما فعلناه حقاً ممنوحاً للشعب اليهودي، وإنما هي تنازلات لقطاع من الصهاينة المتطرفين، كي يشرعوا في تكوين قرحة مؤلمة لا يدري أحد إلى أي مدى ستمتد هذه القرحة." (المرجع السابق ص ٢٩)

وإذن فكان هناك عدل في الأمة البريطانية، ولا يزال هناك إلى اليوم. فمثلاً تعبّر فئة من كبار المفكرين بشجاعة عن آرائها الأمانة، ولكن، كما قلت، فإن المؤامرة عميقة، تمتد بعيداً بحيث أوقعتهم في قبضة اليهود.

حق تقرير المصير

واليوم يقع اللوم على أمريكا، ومع ذلك كان هناك إنصاف في أمريكا. فمثلاً إن المبادئ التي وضعها الرئيس ودررو ولسن (W. Wilson) عام ١٩١٨ تتضمن تمسك أمريكا بتلك المبادئ واحترامها بحيث لا تدعها تتبدل. كما تقرر بأنه في أي منطقة في العالم للأغلبية الحق الأول في اتخاذ القرار الذي يتعلق بمصيرها، وهو المعروف بحق تقرير المصير. فإذا لم تقبل الأغلبية شيئاً فلا يحق لأحد في الدنيا فرض قرار عليها. هكذا كان موقف أمريكا آنذاك. كانوا أرسلوا إلى فلسطين عام ١٩١٩ لجنة عُرفت باسم لجنة King Crane قدّمت تقريراً عادلاً ومفصلاً. جاء في هذا التقرير: "نؤكد لكم أنه لا يمكنكم إقامة دولة إسرائيل هنا بدون استخدام قوة كبيرة، وبدون سفك دماء غزيرة. فما الداعي إلى فعل ذلك بحجة أن هؤلاء الناس عاشوا هنالك منذ ٢٠٠٠ سنة؟ إذا قبل هذا المنطق لانحى العقل والعدل من على وجه الأرض! إنه منطوق سخيف، ولا ينبغي أخذه في الاعتبار." ما أشدّ الفارق بين ذلك الوقت وبين يومنا هذا! النسل الأمريكي كله لعبة في كف اليهود كالدمية، ولم يعد هناك عدل، ولا إدراك ولا مبادئ أخلاقية، ولا شيء.

وعيب المسلمين أنه كان من واجبهم تقدير الموقف بذكاء. عندما كان اليهود يعملون على زيادة تأثيرهم في تلك المواقف كان ينبغي على المسلمين استخدام نفوذهم وتغلغلهم. ولكن يبدو أنهم بسبب تنكرهم لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. لم تعد لهم قيادة تفكر في مشاكل الأمة الإسلامية كلها، وتمضي بهم قدماً، جسداً واحداً، له عقل واحد وقلب واحد.

اعتراف ناقص

ولا يزالون في بريطانيا على نفس القدر من الصراحة. ففيما يتعلق بأسباب هذه الحرب، وما هي أهدافهم، ولماذا يقاتلون، كتبت مجلة "سوشياлист ستاندرد" (Socialist Standard): "قبلت جريدة سندي تايمز (Sunday Times) بأن أغراضهم أنانية، فقالت: "أما السبب فليس تحرير الكويت.. وإن كان ذلك مرغوباً.. وليس الغرض حماية السعودية.. وإن كان هذا هاماً أيضاً؛ وإنما الهدف هو القضاء على صدام الذي صار خطراً على المصالح الغربية الحيوية في الخليج، وخاصة التدفق الحر للنفط بأسعار السوق، وهو أمر جوهري لرخاء الغرب." (London, Nov.1990)

ولكن هذا ليس في الواقع اعترافاً كاملاً، لأن الهدف الأعظم هو حماية إسرائيل إلى الأبد من أي خطر عراقي، وإزالة هذا التهديد عن إسرائيل حتى لا يستطيع أي بلد مسلم تحديها. وهذا الهدف وثيق الصلة بالبتروول، لأن من أسباب إنشاء إسرائيل إقامة حارس على البلاد الإسلامية.. قادر على تعنيفهم عند اللزوم. عندما لا ترسخ البلاد الإسلامية لمطالبهم ينبغي أن يكون هناك ممثل لهم يلقنها الدرس المطلوب."

تكلفة الحرب

تعالوا معي الآن أخبركم عن تكلفة الحرب. لقد أنفقوا إلى الآن ٨٩.٥ بليون دولار على الحرب، منها ٣٠ بليوناً بمعدل بليون كل يوم من أيام الحرب، وقد مضى عليها شهر. ويقال إن أمريكا قد أنفقت ٩ بلايين وبريطانيا بليونين قبل أن تبدأ الحرب. وليس هناك أرقام مؤكدة للنفقات الحربية البريطانية لكل يوم، وهذا مبلغ إضافي. وبجانب ذلك هناك ما أنفقوه لشراء الحكومات الأخرى. فقد أسقطوا ٢١ بليوناً من ديون مصر، ومن ذلك تستطيعون تقدير الثمن الذي قبلت به مصر لتبيع مصالح الأمة الإسلامية. ودفعوا حتى الآن ١٣ بليوناً لإسرائيل كمكافأة وتقدير لضبط النفس العظيم الذي أبدته بعد إصابة عدة عدد قليل من اليهود بصواريخ سكود العراقية. قال الإسرائيليون: بعد تدمير العراق وتمزيقه إرباً سيأتي يوم الانتقام الإسرائيلي. بما تقرُّ به قلوبنا. وتقول أمريكا: هذا ضبط نفس عجيب، سندفع من أجله ١٣ بليوناً من الدولارات، بالإضافة إلى أشياء أخرى من أسلحة وغيرها.. وذلك على سبيل الهدية.

وفيما يتعلق بروسيا.. كشفت جريدة "العرب" التي تصدر في بريطانيا أن السعودية دفعت للاتحاد السوفييتي ٣ بلايين، كما دفعت الكويت بليوناً. وهناك أيضاً بعض النفقات المتنوعة لتركيا وسوريا، مع وعود لما بعد الحرب لا ندري عنها.

بالإضافة إلى النفقات.. هناك الخراب الرهيب الذي وقع. كان تقدير المراقبين قبل بضعة أيام أن الدمار في الممتلكات تتطلب ٥٠ بليون دولار لمجرد بناء الكويت. وعشرة أضعاف هذا المبلغ لبناء العراق، أي ٥٠٠ بليون. وما عانتها بلاد العالم الثالث من أضرار اقتصادية تبلغ اليوم ٢٠٠ بليون. ويقول المعلقون إن هذه الأضرار ستزيد ولا يمكن أن تنقص. فهذا الإنفاق الباهظ هو فوق ما يُنفق على الحرب والرشاوي. وفوق كل ذلك ما فقد من أرواح.

ثم هناك أضرار البيئة من تلوث في الجو وتلوث في البحر. فعندما حدث تلوث في الخليج اعترف جنرال أمريكي بزهو وفخر أنهم نجحوا في ضرب حقول البترول بالكويت، وأن البترول يتدفق منها. ولكنهم في اليوم التالي بدّلوا القصة بأكملها وألقوا باللائمة على العراق وقالوا: إنها بلد أثيم.. لم يرحموا من قسوتهم حتى الطيور. كان هناك بعض طيور مغموسة في النفط واطبوا على عرضها مرات ومرات، ليكشفوا بذلك قسوة صدام حسين، وكيف لم ينج من قسوته وشروبه حتى الطيور الصغار.

قسوة وخداع الدجال

ومقارنة بهذا الضرر الذي يُثبتون به للعالم تعاطفهم مع الإنسان وكل أنواع الحياة، فإن مسلكهم الذي أبدوه بالنسبة لمعاناة العالم أود أن يكون واضحاً لكم، لأنه كله خداع. لقد جمع سيدنا محمد المصطفى ﷺ تاريخ كل هذه الحقة الحاضرة وبيّن تفاصيلها الكاملة في كلمة واحدة: "الدجال". إن عملهم ليس سوى خداع مدهش رهيب. تقاسي أفريقيا من المجاعة منذ سنوات، والملايين من الناس.. رجالاً ونساءً وأطفالاً.. يتحولون إلى هياكل عظمية تموت بعد معاناة شديدة، ولا يلتفت أحد إليهم. لقد سمعتم منذ لحظة تقديرات نفقات الحرب: يتطلب إصلاح الخراب ٥٥٠ بليوناً من الدولارات، وقد أنفقوا ١٠٠ بليون تقريباً حتى، وهناك ٢٠٠ بليون خسائر العالم الثالث، فهي وجبة تتكلف ١٠٠٠ بليون دولار. وعلى الجانب الآخر، وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة، هناك ٢٥ مليوناً من الأفارقة يموتون جوعاً. وإذا كفى دولاران لإطعام رجل واحد في أفريقيا باليوم، فإنك تحتاج إلى بليون ونصف بليون دولار أو أكثر قليلاً لإنقاذ ٢٥ مليوناً من الموت جوعاً طوال العام. يمكنكم الآن معرفة حقيقة هؤلاء القوم الذين لا يلقون نظرة رحمة على ٢٥ مليوناً من الناس في أفريقيا، ويصبون الموت على رؤوس ١٦ مليوناً من البشر في العراق.. بإنفاق جبال من الثروات. تصوّروا أن ما عندهم من تعاطف فهو لبضعة طيور! يخلقون كل هذا الضجيج من أجل موت بضعة طيور!! إن هذا إلا خداع وخبث. كان ينبغي عليهم أن يحترموا حياة البشر أولاً. كان ينبغي عليهم أن يهتموا بالفقراء المتضورين جوعاً في أفريقيا وغيرهم من الشعوب. كان ينبغي عليهم محاولة القضاء على عدم التوازن الاقتصادي. يستطيعون إطعام خمسة وعشرين مليوناً من الناس عاماً كاملاً ببليون ونصف دولار، وبذلك يمكنكم إدراك معنى بليون من الدولارات. ينفقون بليون دولار كل يوم ليصبوا الهلاك، ولكنهم لا يستطيعون إنفاق بليون لحفظ حياة ٢٥ مليوناً من البشر تسعة شهور!!

قلب الموازين

يذكرني هذا بالحادث التي رواها ونستون تشرشل قال: كان مستر لويد جورج ساخطاً على سير إدوارد جراي (Sir Edward Grey)، فاعتذرت عنه قائلاً لمستر لويد جورج الذي كان محتدّاً: حسناً، نعرف على أية حال أن الألمان لو كانوا هنا وقالوا لجراي: إذا لم توقع هذه المعاهدة فسوف نرميك في النار فوراً، فمن المؤكد أن رده سيكون: لا يليق أبداً بوزير بريطاني أن يرضخ للتهديد. لن يحدث هذا. ولكن جورج لويد أجاب: لن يقول له الألمان هذا لو كانوا أذكاء. إنهم سيقولون: إن لم توقع هذه المعاهدة فسنحنق جميع سناجيبك. وعندئذ سوف ينهار ويوقع!

أي أنهم إذا هددوه بقتل بضعة سناجيب يرببها كحيوانات مدللة ووقع المعاهدة على الفور. ومعنى ذلك أن إحساسهم بالتوازن قد فسد، وأصابه التلف منذ زمن طويل. إنهم يهينون البشر من أجل الكلاب، ولا يستطيعون تضحية اهتماماتهم الأنانية من أجل إخوتهم من البشر. ومن ثم فهم مسؤولون مثل غيرهم، وإذا لم يحاسبوا على جرائمهم اليوم فسوف يقدمون عنها الحساب غداً.

عقدة فيتنام

ذكرت لكم ما وقع من أضرار ومعاناة، ولكن لا يزال هناك مزيد من الأضرار، كما أن هناك بعض المزايا أيضاً. ذكر بعض المعلقين المطلعين أن من أسباب دخول أمريكا في الحرب عقدة فيتنام التي أرهقت الرئيس بوش وأمريكا. لقد وقعت أحداث مشابهاة في فيتنام، فقد أمطروا عليهم القنابل بشدة لم تحدث من قبل قط. دمروا القرى كلها، وأهلكوا كثيراً من أنواع الحياة، وأضروا باقتصاد فيتنام بما يندر أن يرى المرء مثل هذه الفظائع ترتكب من جانب واحد ضد بلد آخر. ومع ذلك فشلت أمريكا في تحطيم عظمة الشخصية في هذه الأمة. لم يتمكنوا من إجبار شعب فيتنام على إحناء الرأس أمامهم. واستمرت هذه الأمة تقاتل وتضحى بالأرواح، ولم ترع أبداً أمام سيادة أمريكا. وفي النهاية تحطمت عزيمة أمريكا، وتبعثرت خيلاؤها، واضطرت إلى التراجع والانسحاب من فيتنام بغير أن تحقق غرضها.

يسيء كثير من الناس الفهم عندما يسمعون حكاية فيتنام، ويحسبون أن الرأي العام في أمريكا وتعاطفهم الإنساني هو السبب في تراجع أمريكان من فيتنام.. إذ قالوا كفي ما دمرنا من الحياة، ويجب ألا يتكرر مرة أخرى. كلا، هذا ليس بصحيح قطعاً. ما كان الرأي العام الأمريكي ليتألم حتى لو هلك عشرة ملايين من الفيتناميين. ما كان الرأي العام الأمريكي ليعاني بقدر ما عانى لهلاك بضعة طيور بحرية. ولكن ضياع الأرواح الأمريكية وتحدي الصلف الأمريكي هو الذي كان جحيماً روحياً ما كان باستطاعتهم تحمله.

كانت تلك الخلفية السيكولوجية من بين أسباب هذه الحرب أيضاً. يرى الأمريكان كبرياءهم المهشمة، وتدمى جراحهم إلى اليوم، فيحسّون الحرق في قلوبهم، ويريدون الانتقام من فيتنام في شخص العراق، ويقولون في أنفسهم: سوف نحطم عزيمتهم، ونشعر بالراحة والرضا.

ولكن بفضل الله تعالى مضى شهر كامل ولم يتمكنوا بعد من تحطيم عزمهم، وظهر بطلان أغراضهم الشريرة، وأقوالهم المتعجرفة. أذكر أن الرئيس بوش أو أحد زملائه قال: لماذا نتحدثون عن فيتنام، لن نسمح أن تكون هناك فيتنام أخرى. لن تكون سنوات، بل ستكون أياماً. وبعد ذلك سمعنا الرئيس بوش يقول: لن تكون أياماً بل شهوراً. ويثبت هذا القول أن كلماته السابقة كذب. إنهم يخشون من الثأر عند هذا المنعطف، لأنه - لا سمح الله - لو هلك كل الشعب العراقي ما تأثر الرأي العام الأمريكي. ولكن إذا وصلت ألف جثة أمريكية فإنهم سوف يضطربون ويرتعشون بشدة. هذا هو السبب في أنهم يجرون محاولات للسلام.

يجب أن ندعو الله تعالى دائماً ألا يسمح للآلة الباطلة أن تفرض نفسها على عباده. إن أشد آلام الدنيا ما يصيب توحيد الله من جراح. إذا تُركت الآلهة الباطلة تمارس تألهها فمن أين يأتي عباد الله الإله الواحد الأحد، وأين يعيشون؟ إنهم لا يستطيعون العيش بعد ذلك في هذه الدنيا. فأعظم الأخطار هو على توحيد الله تعالى، وعلى بيت الله تعالى، وعلى شرف بيت الله تعالى. إنه الخطر على سمعة توحيد رب المصطفى ﷺ. الحق أنه لن يكون الخطر إن شاء الله على التوحيد، ولكن استشارةً لتأييد الله تعالى يجب أن نرفع أكف الابتهاال والضراعة كما ابتهل النبي ﷺ يوم بدر، مشيراً إلى تلك الحفنة القلية من صحابته الأوفياء.. المحبين لله وللرسول وقال: "اللهم إن تُهلك هذه العصاة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض" (مسلم، كتاب الجهاد). فالمسألة اليوم هي شرف التوحيد وعلو أمره. ويقف المسلمون الأحمديون جبهةً باسلة في هذا المجال. وأقول لكم بإيمان راسخ: إن المسلمين الأحمديين اليوم.. في مشارق الأرض ومغاربها.. كأعضاء الجسد الواحد.. مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل توحيد الله، ومستعدون غداً، ومستعدون دائماً، إن شاء الله تعالى.

قد تذكرون أن سيدنا الخليفة الثالث لسيدنا الإمام المهدي العليّ كان يقول: "إن القرن القادم هو قرن غلبة التوحيد وتمكنه." وهذا صحيح تماماً. فكل المخاطر التي يتعرض لها توحيد الله اليوم إنما تشبّ كي تُعدنا وتُخبرنا: لقد أقامكم الله تعالى لأداء هذه المسؤوليات العظام.

وأهداف هذه الحرب وما تحتها من أسباب نفسية، كل هذه وثيقة الصلة أيضاً بالتاريخ. ولما كنت أريد إهداء هذا الموضوع في خطبتي القادمة إن شاء الله تعالى، لذلك سأطيل خطبة اليوم قليلاً حتى لا يمتد الموضوع إلى خطبة إضافية.

عداء الإسلام هو السبب

لهذه الحرب أو لإنشاء إسرائيل خلفية تاريخية تتصل بكل حروب المسلمين والنصارى. تذكرون أن الغارات الصليبية بدأت حوالي عام ١٠٩٥، واسترد صلاح الدين فلسطين عام ١١٩٠ أو ١١٩١، فلم يتمكنوا بعدها من الاستيلاء على فلسطين. واستمرت هذه الحروب لمدة ٢٠٠ عام. لم يكن المسلمون أبداً البادئين لهذه الحروب، ولكن تضافرت البلاد الأوربية في الغارات على العرب المسلمين ثماني مرات. كان ينجحون أحياناً، وينهزمون أحياناً أخرى. وفي النهاية استطاع المسلمون إنقاذ فلسطين من براثنهم. لم يزل هذا الجرح من جراحهم دامياً حتى اليوم، ولم ينسوه أبداً. يشعرون بألم عميق كيف أن القوى الأوربية العظمى تتحد في هجومها مرة بعد أخرى، ويشترك في هذه الغارات ريتشارد قلب الأسد (Richard The Lion Hearted)، وغيره من ملوك وطغاة فرنسا وألمانيا وبلجيكا.. ثم يخرجون فاشلين لم ينالوا خيراً! هذا الجرح لا يزال يؤلمهم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى طالما لقوا الهزائم المتكررة على يد الإمبراطورية العثمانية التي حكمت شطراً كبيراً من أوروبا. هذا جرح ثان سبب لهم الألم، ولن يبرح يؤلمهم. هذا ملخص ما جعل الأوربيين يعتقدون أن الإسلام خطر عليهم، فبسبب الحروب الصليبية الطويلة وسيادة الإمبراطورية العثمانية وعلى الخصوص في زمن السلطان سليمان العظيم، وما تعرضت له القوى الأوربية من هزائم متكررة.. كل ذلك أقر في خلفيتهم

النفسية أن المسلمين قمعوا كل اعتداءاتنا بقوة - وهم بالطبع لا يقولون عدواننا وإن كان في الواقع عدوانا - فيجب ألا نعطيهم مثل هذه الفرصة أبداً في المستقبل فيحموا مصالحهم منا.

مظالم الغرب على اليهود

وهناك خلفية أخرى مثيرة للاهتمام ومؤلمة للغاية أيضاً. عندما شرع الصهيوني تيودور هرتسل لأول مرة في عرض مخططه لإنشاء دولة إسرائيل.. برر ذلك قائلاً: نحن نُضطهد منذ آلاف السنين، وتعرضنا للاضطهاد في أوروبا على وجه الخصوص. وحدث في فرنسا أن اتُّهم يهودي في قضية باطلة، ربما كان اسمه روفوس، فسافر هرتزل من النمسا إلى فرنسا، وكان متأثراً للغاية بسبب ما تعرض له اليهودي من ظلم حتى بدأ هذه الحركة. فبرر مطلبه بإنشاء دولة إسرائيل بأننا نُضطهد في أوروبا! وفي ذلك الوقت لم يفكر أحد بأن الاضطهاد يقع في مكان، ولكنهم يثارون له من أهل بلد آخر! فأين المنطق في هذا؟ بدخولهم فلسطين كيف يتوقف اضطهادهم في أوروبا؟

إن اضطهاد البلاد المسيحية الغربية لليهود حقيقة واقعة. فقد أنزلوا بهم الفظائع المرعبة الرهيبة. واليهود محقون تماماً في أن أمتهم كانت هدفاً للمظالم والعدوان المتكرر لألف عام.. بما لم تتعرض له أمة أخرى من أمم العالم. وسأضع أمامكم بعض ما يتعلق بهذا.

بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٥ من فرنسا، وكان أول من حركها أمير فرنسي (God Frey of Bouillon)، وانضم إليه ملوك فرنسا، ونظموا الحملة الأولى. فقال: في سبيل هذا الغرض النبيل يجب أن نقدم قرباناً. وكان خير قربان في هذه المناسبة، في نظر أمير بويون، أن ينتقموا للمسيح عيسى، ويقتلوا كل اليهود. وكما هي عادة المسلمين وقت الشدائد أو المهمات العظيمة من تقديم قربان أو أضحية.. كذلك فعل هؤلاء الصليبيون وقاموا بمذبحة واسعة النطاق ضد اليهود في أرجاء فرنسا. ويندر أن ينطلق الطغيان بمثل هذا الحد ضد أمة بلا حيلة. بعد ذلك صار من تقاليدهم على مدى ٢٠٠ عام أن يذبحوا اليهود قبل خروجهم لحملة صليبية. وهكذا ترون فظائعهم بينة واضحة.

وَتُقَدَّم القرايين أيضاً لطردهم الشرور، وفي هذا السبيل أيضاً كانوا يذبحون اليهود. لعلكم سمعتم "بالموت الأسود" الذي انتشر في أوروبا ما بين ١٣٤٧ و ١٣٥٢. وكان وباء من الطاعون الرهيب جاءهم من الصين، وانتشر بالتدريج من شرق أوروبا حتى وصل إلى هنا في بريطانيا. وخلال هذه المحنة أخذوا يضحون باليهود كي يتخلصوا من الشر، ولفقوا عنهم كثيراً من الحكايات الباطلة تزعم أن كل ما نزل بهم كان بسبب شؤم اليهود، وأنه استرضاء للرب وطردهم للشر لا بد من القضاء على نذير شؤم اليهود. ولسوف تعتریکم الدهشة لو عرفتم كيف أن أعداداً من اليهود لا حصر لها قُتلوا وأُحرقوا أحياء في بيوتهم. والتقديرية التقريبيية تقول بإفناء اليهود من ٦٠ مدينة كبيرة، ومن ١٤٠ بلدة صغيرة. وهذا هو الانتقام النصراني الثاني ضد اليهود.

أما الانتقام الثالث الكبير، من بين انتقامات أخرى عديدة، فهو الذي قام به النازي في ألمانيا. ومع أن الخبراء لا يتفقون على الأرقام، فإن اليهود يصرون على أن ٦ ملايين يهودي فقدوا حياتهم داخل غرف الغاز، وقاسوا

غير ذلك من الفظائع. ووقع كل هذا خلال ١٠ سنوات. فقد حدثت إذن مظالم وشناعات رهيبة مفزعة تقتضي المطالبة بوطن قومي لليهود. كان هذا منطقتهم.

وفي تلك الآونة كان اليهود يفرّون من التعذيب والاضطهاد في أوروبا ليجدوا الملاذ في ظل المسلمين بفلسطين. التاريخ يؤكد ذلك. كما يؤكد التاريخ أيضاً أن المسلمين في عصور سلطاتهم لم يرتكبوا مثل تلك الفظائع ضد اليهود. لقد فتح المسلمون فلسطين مرتين.. أعطوا فيهما الحماية الكاملة للأرواح والممتلكات، ولم يُصَبَّ يهودي أو نصراني بأي ضرر. كان الفتح الأول في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثاني عندما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي فلسطين. يقول الباحثون العلماء أنه باستثناء هاتين المرتين.. لم تحدث ولا مرة واحدة أن غزا جيش فلسطين ولم تقع مجازر واسعة. فمثلاً عندما غزا الملك ريتشارد قلب الأسد جزءاً من فلسطين ذبح كل اليهود والمسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولم ينج منهم أحد.

هذا هو تاريخ تلك الأمم، وهذه هي عدالتهم ومساواتهم ورحمتهم وقيمهم الإنسانية. وهذا ما أجبر اليهود وجعل هرتزل يدرك أنهم لا يملكون حماية أنفسهم، لذلك لا بد من إنشاء دولة لهم.

أقول: إذا لم تكن لهم حماية في أوروبا كان ينبغي عليهم الفرار منها. ولكن أي نوع من العلاج هذا الذي اختاروه، حيث أبقوا أوروبا كلها تحت سلطتهم، بل ومدّوا سلطتهم فيها، وبالإضافة إلى ذلك توجهوا للعيش في وسط المسلمين؟ إنه ليس علاجاً إذن، ولكنه يشبه حال من رفسه الحمار فقطع رجل الجمل! إنه ظلم عظيم أن يضربك أحد فتعاقب الآخر. ليس في ذلك منطق سليم أبداً.

"عصفورين بحجر واحد"

أشعر أن القوى النصرانية أيضاً لديها خلفية سيكولوجية، وينبغي التفكير في سبب كل هذه الاعتداءات المتكررة ضد اليهود. يبدو أن موقف اليهود التاريخي من "أن العين بالعين" حتم عليهم الثأر من تلك الاعتداءات، وكان هناك سلسلة تاريخية من الأحداث، يأخذ فيها اليهود ثأرهم سرّاً شأن الضعفاء. إذ لا يمكن أن يستمروا في تجاهل تاريخهم على مدى ألفين من السنين، ويتخلّوا عن مزاجهم وفطرتهم الأساسية. ذلك مستحيل. التاريخ لا يحفظ لنا ما كانوا يفعلون، وكل ما نعرفه أنهم كانوا دائماً موضع اتهام ببعض الجرائم، وكانوا يعاقبون. فالفظائع التي ارتكبت في حقهم يذكرها الغرب جيداً ويعرف طبيعتهم. وتكشف شخصية شيلوك (Sherlock)، في رواية شكشير عن اليهودي التائه، صورةً أدبية لو كعهم بالانتقام. وفي مثل هذا الموقف فكّروا بالتدريج - وربما لم يدُر ذلك في خلدتهم أول الأمر - قالوا: لماذا لا نصرّف خطر اليهود بعيداً عنا ونوجّهه نحو عالم الإسلام؟ إن هذا سيحقق لنا ميزة مزدوجة: نقتل عصفورين بحجر واحد، أو بتعبير آخر: نتخلص من عدوين في وقت واحد.

هناك نكتة سخيفة تعكس هذا المزاج: يحكى أن ثلاثة من الشبان أرادوا الزواج من فتاة واحدة. وكان أحدهم ماكرًا شديد الذكاء، فجلس في هدوء وترك الآخرين يقتتلان. سأله بعضهم: إنك ماهر جدًّا، ولكنك لا تبدي اهتمامًا؟ فأجاب: لا تقلق، إني أحرضهما على القتال، فإذا قُتل أحدهما كنتُ شاهدًا على الجريمة، فيُنشَق الثاني، وبذلك يخلو لي الميدان.

قد تكون نكتة، ولكنها جريمة رهيبية تنفذ أمام أعيننا. والمؤامرة النهائية هي نفسها، فلا ينفكّون يستخدمون اليهود في الثأر من المسلمين وقهرهم إلى الأبد حتى يُفرغوا نار غضبهم على المسلمين بدلاً منهم. ولكن هذا من حماقة الغرب.. كما سأبين لكم في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. إنهم مخدوعون، وسيُخدعون، وسيعرفون فداحة الأخطاء التي وقعوا فيها عندما يفلت اليهود تماماً من أيديهم.

وفي الخطبة القادمة سأوجه النصح أولاً للقوى الغربية.. كيف يخرجون من هذا المستنقع الذي تورطوا فيه، وماذا عليهم فعله حقاً لإقرار السلام في العالم، وما هي التغييرات التي ينبغي أن يحدثوها بأنفسهم.

وثانياً: سأوجه النصح أيضاً لليهود.. إذا لم يتوقفوا عن نشاطهم هذا فماذا سوف يكون مصيرهم الذي بينه القرآن الكريم. وإذا لم يستفيدوا من هذه النصيحة فلن يكون بوسعهم النجاة من القدر.

وثالثاً: سأوجه النصح للعرب والمسلمين، إن شاء الله تعالى، بصدد الدور الواجب عليهم في هذا العالم المتغير، فلا يكرروا الأخطاء التي وقعوا فيها آنفاً، وكيف يكون برنامجهم للمستقبل.

ورابعاً: سأوجه النصح لسائر أمم العالم: كيف يبدأون في جهاد سلمي حكيم للتحرر من ربقة الأرباب الباطلة. إن المشاعر الجاهلة المثيرة للدافعة للكراهية وعداوة البريطان أو الأمريكان تشبه تصرفات المجانين.. ولا يمكن أن تنجح في هذه الدنيا. إن القيم العليا هي التي سوف تنتصر. إن سنة سيدنا محمد المصطفى ﷺ هي التي سوف تفوز. إنها سنة القيم والأخلاق الرفيعة. ولو أن المسلمين اختبروا هذه السنة فسيكونون مثلاً عظيماً لسائر العالم. وهذه هي السنة التي لا يمكن أن تلقى الهزيمة أبداً. ما من قوة على الأرض تستطيع الغلبة على السنة المحمدية. عليكم إذن أن ترجعوا إلى سنة العدل، وتتبعوا أسوته.. وعندئذ إن شاء الله تعالى، يمكن حل جميع مشاكل العالم، ويمكن تحقق تلك الثورة الحقة الجديدة التي يمكن تسميتها جنة الله على هذه الأرض. وإذا لم يتبعوها.. فلن يبرحوا يتقاتلون ويموتون بنفس الطريقة، ويقاسون المحن، ويرتكبون أعمال العنف.

ونظراً لتأخر الوقت فسأكمل الموضوع في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله.

١٥ فبراير ١٩٩١

تربية «هتلر» جديد

في خطبتي الماضية ذكرت أنني، بإذن الله تعالى، سوف أقدم النصح للعالم من زوايا متنوعة. وأبدأً بأمريكا، وأول نصيحتي لأمريكا أن تحاول رؤية نفسها بعيون الآخرين. فموقف الرئيس بوش هذه الأيام، مع ما يكال له من صنوف المديح عن نفسه، والخطوات التي يتخذها.. تجعله من الناحية النفسية غير مدرك تماماً لضرورة فحص خطواته وسياساته من منظور الآخرين، كما وأنه غير مهتم كيف تتشكل صورته في العالم الخارجي. ترى أمريكا، أو يرى الرئيس بوش، أنهم نجحوا في جعل العالم يقتفي أثرهم. ويذكرنا هذا بالتعبير الذي يقوله الصيادون عن كلاب الصيد بأنها «تسير في كعبهم». فيقول الرئيس بوش في نفسه: لقد جعلت بريطانيا والحلفاء الآخرين «يسرون في كعبي» طلباً للصيد الذي خرجت له، وأن هناك حيوانات أخرى تتبعنا رغبةً في أن تنال شيئاً من الفريسة بعد إمساكنا بها. هذا هو ظن الرئيس بوش عن الخطوات التي اتخذها باسم تحرير الكويت ضد العراق وضد العالم الإسلامي.

زاوية النظر الإسرائيلية

ولو نظرنا من زاوية أخرى لاستطعنا القول، وهو الأصح، إن إسرائيل لها الحق أكثر من أمريكا والرئيس بوش لتقول: لقد جعلت العالم كله يسير في كعبي، وأمريكا تتبعني كما يتبع كلب الصيد كعب الصياد. وهذه الصورة أكثر صحة، والعالم يتفحص الموقف برمته. يمثل هذه النظرة. عند تغيير زاوية النظر يبدو الشيء مختلفاً. هناك زاوية النظر الأمريكية، وهناك أيضاً زاوية أخرى، وسأضع أمامكم بعض الأمثلة لذلك.

تعتبر أمريكا وحلفاؤها إسرائيل حاميةً لمصالحهم النفطية وغيرها من المصالح، ويقولون: ينبغي إرضاء إسرائيل بأي ثمن، ولا يهم حتى لو سخط العالم جميعه. وفي المقابل ترى إسرائيل أنه لو اتجه الرأي العام لقارة آسيا مثلاً كلها ضدنا فسوف نفضل مساندة الدول الغربية. أمريكا وحلفاؤها يظنون أنهم يحتاجون إسرائيل، والحقيقة أن إسرائيل ترى بأنها بحاجة إلى الغرب. فلماذا تُلعب المباراة بهذه الطريقة؟ وما الغرض من ذلك؟ وإلى أية مرحلة، وإلى أين تؤدي؟ سوف أضع أمامكم بعض الأمور بعد قليل.

القط حارس اللب!

فيما يتعلق بالمصالح البترولية.. يجب النظر إلى إسرائيل نظرة عميقة. فقد فشل هؤلاء الغربيون في دراستها. إن طبيعة إسرائيل تؤكد أنه من المحال أن تكون هي على مقربة من حقول البترول ومع ذلك تمتنع عن السطو على هذه الحقول. فاتخاذ إسرائيل حارسة على البترول يتفق مع المثل البنجابي القائل: القط يحرس اللب، أو الجدي يحرس الغلال! عبارة بسيطة ولكنها حكيمة. ليس هناك مظهر للغباء أجلى من أن يُتخذ القط حارساً على اللب، أو الجدي حارساً على الحبوب. فأشد الأخطار على تلك المصالح سوف تأتي من جانب إسرائيل التي جعلوها حارسة عليها. في النهاية سوف يصل الأمر إلى هذه المرحلة لو لم يلحظ العالم ذلك.

وسأتناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فظائعهم خلقت النواصر والصوادم

تتمس إسرائيل في أذن حلفائها الغربيين، وأمريكا بصفة خاصة.. أن هناك وسيلة واحدة وحلاً واحداً لإقرار السلام في هذه المنطقة.. ذلك بأن نمنع ظهور أمثال عبد الناصر وصدام هنا. وما دام النواصر والصوادم يُؤلّدون هنا فلن تصل المنطقة أبداً إلى بر السلام.

والمعنى الآخر لهذه الرسالة هو القضاء على روح الحياة في بلاد العرب وحرّيتهم، والقضاء على فكرة مساندة الفلسطينيين. وهذا هو الرأي الذي قبله عالم الغرب في ممارساتهم العملية. إنهم لا يرون أن الفظائع ليست من صنع النواصر والصوادم حقيقة، وإنما هي ثمرة مظالمهم هم. والواقع أن صدام اليوم هو ثمرة ارتكاب المظالم ضد مصر والبلاد الإسلامية للقضاء على عبد الناصر والبلاد الإسلامية. الكراهية لا تثمر إلا البغضاء، وشجرة الحنظل لن تثمر فاكهة حلوة. فالموضوع إذن على العكس تماماً. فما دتمت تعاملون العرب معاملة جائرة، ولا تنفكون تطلقون عليهم فظائعكم.. فسوف يظهر ناصر بعد ناصر، وصدام تلو صدام. هذا هو القدر الإلهي، ولن تستطيعوا تبديله. لقد قصفتم العراق حتى اليوم قصفاً رهيباً مريعاً لا يقاس به قصف الحرب العالمية الثانية. في سنوات الحرب العالمية الست قذفوا في كل العالم ٢٧٠٠ ألف طن من القنابل، ولكنهم أسقطوا على العراق في خمسة أسابيع فقط ١٥٠ ألف طن. ومن ذلك ترون كيف أمطروا الموت عليهم بلا رحمة. إنهم لا يحاولون فهم الطبيعة البشرية. هذه القنابل لا تهدم الصداقية، وإنما تُشعل رغبة في قلوب مئات الألوف من المسلمين عرباً وغير عرب لخلق عديد من الصوادم. ثمّة أجيال من الصغار يراقبون الموقف اليوم، وقد عقدوا العزم في قلوبهم على ما سيفعلون غداً. تمطرون القنابل وتتوقعون بذلك ثماراً حلوة؟ هذا هو أشد الجهل!! الكراهية تولد الكراهية دائماً. فما سبب الكراهية؟ ما لم يصلوا إلى معرفة سبب الكراهية التي خلقت عبد الناصر وصدام.. فلن يستطيعوا اقتلاع جذورها، ولن يستتب السلام في هذه المنطقة.

حكمة إسرائيل.. شن الحروب

وبقدر ما بحثت، والوقائع تؤيدني.. توصلت إلى أن إنشاء إسرائيل هو الجذر الأساسي لكل الكراهية، وأن مفهوم خلق إسرائيل نفسه يتضمن الحروب. وليس هذا قولي أنا وحدي، بل إن «بن جوريون»، مخطط إسرائيل ومؤسسها، ينادي بذلك. سأتلو عليكم مقتبساً من كتاب «صنع إسرائيل» يقول كاتبه جيمس كيمرون (James Cameron):

«بالنسبة لبن جوريون.. ليس لكلمة دولة من معنى سوى أنها أداة للحرب، حيث قال: لا أستطيع التفكير الآن في معنى آخر سواه. وأشعر الآن أن حكمة إسرائيل هي شن الحروب ولا شيء غيره. هذا وهذا فحسب».

(Making of Israel p. 55)

وذكرتني قراءة هذا الكلام بسطرين من شعر كولريديج (Coleridge)، الذي كتبه عن قبلائي خان في قصيدته المشهورة «قبلائي خان».. قال: «في وسط هذه الضوضاء.. سمع قبلائي من بعيد أصواتاً ملحّة تنبأ بالحرب».

وسواء سمع قبلائي هذا الصوت أم لا، فمن المؤكد أن بن جوريون سمع ذلك الصوت ينبعث من جبل صهيون قائلاً: يا إسرائيل، وجودك بعد اليوم له غرض واحد لا ثاني له؛ إنه شن الحروب المستمرة، ودفع العالم دائماً نحو الحرب. ولا معنى لإسرائيل دون ذلك.

مهما خدع الأمريكان والحلفاء أنفسهم بتأييدهم إسرائيل هذه، فالواقع أنه لن يكون هناك معنى لأي سلام. فطبيعة إسرائيل ذاتها وتعريفها يجزمان دفع العالم نحو الحروب. لماذا يدفعونه؟ سوف أميط اللثام عن هذا السر، وإن لم يعد سراً مكتوماً.

وفيما يتعلق بتجهيزات إسرائيل للحرب.. كان العالم الغربي مهتماً فقط بتضخيم الخطر العراقي للعالم، وأنه هتلر العصر، وظهور جديد للنازية. في حين أن أحد المعلقين من الغرب كتب عن العراق يقول: تسمون هتلر من لم يستطع في ٨ سنوات أن يتغلب على بلد مثل إيران.. في حين أن هتلر خلق هزة مفاجئة عنيفة في أوروبا جميعها؟ كانت نفوسكم ترتعد منه. قام من برلين ليطلق أبواب لينينجراد، وكانت صواريخه على الجانب الآخر تنهال على لندن؟ بأي وجه تسمون صدام حسين هتلر وأنتم تطرونه بصواريخكم. ما أسخف هذه الفكرة!

إنه لا يستطيع صنع صاروخ سكود واحد، حتى إنكم بدأتم تعدون ما تبقى لديه من هذه الصواريخ. وإذا كان أدخل تعديلاً على الصاروخ لزيادة مداه فكان ترقيعاً رديئاً كما يفعل النجار أو الحداد في قرانا. وهم بأنفسهم يسخرون من العراق الصريع ويقولون: هذا هو حالهم ومع ذلك يجرؤون على الحرب معنا.. لا يُحسنون صنع صاروخ سكود! وأقول: هل هكذا كان هتلر؟

إسرائيل تتحدى الاتحاد السوفيتي!

بينما ادعى جنرال إسرائيلي، بل عدة جنرالات.. ادعاءات مرعبة حيث قيل: «كثيراً ما تبجح جنرالات إسرائيل بقدرتهم على مواجهة كل الجيوش العربية مجتمعة في وقت واحد والقضاء عليها. وادّعى رئيس الأركان أن بوسعه هزيمة القوات المسلحة السوفيتية».

(Dispossessed, The Ordeal of The Palestinians, By David Gilmour P. 224)

هتلر خيالي.. وهتلر حقيقي

ففي محاولة تدمير هتلر خيالي افترضوا وجوده، يصنعون هتلر حقيقياً!! ما أشدّ عماهم وما أضعف بصيرتهم! لا يعرفون أنهم باسم هتلر، الذي أطلقه اليهود على صدام والفلسطينيين، يخلقون هتلر حقيقياً. إنهم إذا فشلوا في إدراك هذا فستخبرهم الأيام إلآم تهدف إسرائيل، وكيف ستعاملهم!

عندما يرى المسلمون إسرائيل ترتكب الفظائع وتلقى مساندة بعد مساندة فإنهم يندهشون، ولا يفهمون لماذا يفعل بهم هذا. لقد تحدثت إسرائيل مراراً عن إرهاب المسلمين، ولعل عيونكم ملّت من قراءة عناوين كثيرة تقول: «الإرهاب الإسلامي، الإرهاب الإسلامي، الإرهاب الفلسطيني» وما شابه ذلك من إرهاب. لقد قدموا الإسلام والإرهاب كأشياء واحدة، واسمان لروح واحدة وجسد واحد. ولكن الحقيقة أن إسرائيل هي مخترعة الإرهاب ومؤسسته. ولقد عرضت عليكم بعض الأمثلة لذلك في الخطبة الماضية، وسأخبركم الآن بإيجاز

عن الإرهاب المروع الذي ارتكبه إسرائيل، وعن المدن العربية التي دمرتها مثل دير ياسين ويافا وبيروت الغربية وصبرا وشاتيلا. وقعت على هذه المدن فظائع مرعبة، وذبحوا فيها الرجال والنساء والأطفال.. شيباً وشباناً.. في وضح النهار، وطعنوهم بالحرايب في قسوة بالغة وهم ينظرون في عيونهم. وقتلوهم بوسائل أخرى، فلم يتركوا وراءهم أحداً حياً. دمروا الكثير من هذه البلاد ولم يدعوا فيها بنياناً قائماً. في هجمة واحدة منها عام ١٩٧٧ شردوا ٢٥٠ ألف فلسطيني بلا مسكن يؤويهم. ولكن دول الغرب صمَّ بكمَّ عُميَّ حيال كل هذه الأمور لا يشعرون بأي ألم. والعرب والمسلمون الآخرون ينظرون بدهشة إلى ما يحدث. لماذا هذه الأكوام من الفظائع المتراكمة، وعواصف الظلم المتزايدة.. والغرب لا يبدي إحساساً بها، وليس هناك إنسان منصف يقول لإسرائيل: إنك سطرت في تاريخ الإنسانية صفحات يحجل منها تاريخ الإجرام والفظائع؟ ولا يزالون يغلقون عيونهم متعامين عنها. لدي أمثلة كثيرة عن فظائعهم، ولكن الوقت لا يسمح بعرضها كلها، وإذا أمكن فسوف ننشرها فيما بعد. ولقد أعدوا خطة للهجوم على لبنان سموها «عملية سلام الجليل». إن جوهر الصورة التي رسمها في هذا الصدد دافيد جيلمور (David Gilmour) في كتابه المذكور آنفاً تبين أن خطة إسرائيل عن الجليل كانت بحجة حماية أنفسهم والدفاع ضد هجمات الفلسطينيين المتكررة من جنوب لبنان. ولكن في عام ١٩٨١ تم اتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ومن يوليو ١٩٨١ حتى مايو ١٩٨٢ عندما شنت إسرائيل هجومها على لبنان لم يحدث أن خرَّق الفلسطينيون هذا الاتفاق ولا مرة واحدة؛ ولم يقع هجوم فلسطيني واحد خلال هذه الفترة. ثم يقول ثانياً: ولم تتعرض الجليل لأي خطر من جانب لبنان. وبضيف ثالثاً: وكانت هذه الخطة معدة قبل عام ١٩٨٢، ودلل على ذلك من مراجعهم. (المرجع السابق ص ٢٢٢ و ٢٢٥).

فأعدارهم باطلة ومفتعلة، ولا أساس لها من الواقع، لأنهم أعدوا خطة الحرب قبل ١٩٨٢ بفترة طويلة. ويكتب جيلمور أنهم عندما شرعوا في قصف بيروت عام ١٩٨٢.. كان القصف شديداً، وكانوا يطلقون مدافعهم من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت سفنهم المجهزة بمدفعية رهيبية تمطر قذائفها ليل نهار لتنسف البيوت واحداً بعد الآخر وتبيد الناس. (المرجع السابق). ولكن لم نسمع صوتاً واحداً في هذا العالم لنجدة الفلسطينيين المعتدى عليهم. كان الغرب صامتاً. والأعس من ذلك أن العرب أنفسهم كانوا صامتين! كانت مخافة الإرهاب الإسرائيلي عندئذ قد استقرت في نفوسهم بحيث لم يرفع أحد من الدول العربية صوتاً ضدهم. ونتيجة لهذا القصف قُتل ١٤ ألف شخص، وأصيب أكثر من ٢٠ ألفاً، وصار المشردون بلا مأوى بعدد لا يحصى. (المرجع السابق).

هذا ملخص قصف عام ١٩٨٢ كما نشر في بعض الصحف. ولعلكم سمعتم أنه عند نهاية الحرب العالمية.. عندما أطلق الألمان صواريخ (V2) على بريطانيا وبلجيكا.. اعتبروها أشد الفترات فظاعة وألماً؛ وطالما يتحدثون في بريطانيا في مناسبات متعددة عن القصف بهذه الصواريخ ولم ينسوها. ولكن العجيب أن ضحاياها في بريطانيا وبلجيكا لم يتعد ٧٥٠٠ من القتلى.. في حين أن قتلى القصف الإسرائيلي هذا بلغ ١٤ ألفاً. هذه كلها أحداث الإرهاب الإسرائيلي.. التي لم يدخلوها في أي حساب، ولم تلتفت إليها أية قوة غربية، ولم يرفعوا الصوت ضد

إسرائيل بسببها.

حقيقة الوعود الإسرائيلية

أما فيما يتعلق بوعود إسرائيل فيقال: لو تعاهدتم على السلام مع إسرائيل فلا خوف عليكم من خطرهما. ولكن هذا كذب محض. كذب كبير لا تجدون له مثيلاً في الدنيا، وسوف أثبت من الحقائق والأرقام أن وعود إسرائيل لا ثقة فيها إلا بقدر الثقة في كذابي الدنيا كلهم مجتمعين!

في حرب عام ١٩٦٧ التي فرضت على العرب بسبب عدوان من إسرائيل احتلت إسرائيل مساحة كبيرة من أراضي العرب. كانت قبلها قد أعلنت أنها لا تريد احتلال قدم واحدة من أرض العرب، وأكدت لبلاد الغرب ذلك قائلة: إننا نفضل ذلك لتلقين الفلسطينيين درساً وهو: إذا لم تتوقفوا عن مهاجمتنا.. ودأب مناصروكم على إبداء البطولة فسوف نزل بكم جميعاً هذا العقاب. وهذا هو كل غرضنا. فمثلاً أعلن ليفي أشكول (Levi Eshkol) رئيس الوزارة وقتئذ باسم إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧: لا تنوي إسرائيل الاحتفاظ ولا بقدم واحدة من المناطق العربية. (المرجع السابق ص ٢٢٥). ولكن في تلك الحرب احتلوا، ولا يزالون يحتلون، كل أرض وضعوا أيديهم عليها. وبدلاً من قدم واحدة لا يزالون يحتلون ٧٣ تريليون قدم من أراضي العرب!

تذكرت عند ذلك تعليق أحد كتّاب الغرب على النشاط الإسرائيلي قال فيه: بوسعي فهم ما جاء في تعاليمهم الدينية من أن عيناً بعين وسناً بسن، ولكني لا أستطيع فهم عشرين عيناً أو أكثر مقابل عين واحدة! الواقع أن الكاتب لم يضم أرقام النشاط الإسرائيلي إلى بعضها. إن إسرائيل في الوقت الحاضر لا تعتقد في أن عشرين عيناً بكل عين، ولكنهم يعتقدون في ٢٠ ألف أو مليوني عين بعين واحدة منهم. فإنهم يحققون وعودهم بمفهوم سلبى مضاعف ملايين المرات، يعني أنهم ينقضون عهودهم مرات كثيرة. وهذا ليس من قبيل المصادفات. اسمعوا هذا: قبل هجومهم على لبنان عام ١٩٨٢، وقد أشرت إليه، أعلنوا أنهم لا يريدون احتلال بوصة واحدة منها. (المرجع السابق، ص: ٢٢٥).

وفي عدوانهم هذا فعلوا كثيراً من الفظائع لم أذكرها لكم، وبعدها انسحبوا من لبنان فيما عدا المنطقة جنوب نهر الليطاني، وهي منطقة في خطة إسرائيل منذ البداية، ومساحتها ليست بوصة واحدة.. بل هي ٨ تريليون و ٨٣٠ بليون بوصة. فهم عندما يقولون: لا نريد قدماً واحدة، فمعنى ذلك أنهم يريدون ٧٣ تريليون قدماً، وعندما يقولون: لا نريد بوصة واحدة، فمعناه أننا سنستولي على ٨ تريليون و ٨٣٠ بليون بوصة من الأرض.

عند ذلك فكرت في ضرورة فحص تاريخهم ومعرفة كم مضى من الزمن على نزول تعاليم التوراة التي تقول: عيناً بعين وسناً بسن، ثم نحوها إلى ثوان، وعندها نعرف سيكولوجيتهم، وكيف نما فيهم حب الانتقام كل ثانية. اندهشت لما عرفت أنه انقضى منذ نزول التوراة ما يقرب من ٦ تريليون و ٢٤٤ بليون و ١٢٨ مليون ثانية. فتصوّروا منذ زمن سيدنا موسى حتى الآن كم مضى من تلك الثواني، ولكن سرعة نقضهم للعهد وقولهم الكذب وولعهم بالانتقام تزداد بمعدل أسرع من الثواني!

أضع أمامكم اقتباساً آخر نقلاً عن مراقب غربي حول الفظائع التي أهالوا بها على لبنان. كتب السفير

الكندي في لبنان مستر تيودور أركاند Theodore Arcand، تعليقا على قصفهم لبنان بعد أن شهده بنفسه: يبدو أن قصف برلين عام ١٩٤٤ مقارنًا به لا يزيد عن حفلة شاي. (المرجع السابق ص ٢٢٤).

وقد حللها بعض المراقبين جيدًا، فقال أحدهم: لم يكن مجرد مذبح عامة لمنظمة التحرير الفلسطينية فحسب.. بل خطة لتحطيم احترام النفس لديهم. (المرجع السابق ص ٢٢٦).

بل صرح دكتور ناحوم جولدمان (Dr. Nahum Goldman) مؤسس الصهيونية، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي لسنوات وقال: إن هدفهم الظاهر هو تصفية الشعب الفلسطيني. (المرجع السابق ص ٢٢٦).

وكان موقفهم عدوانيًا ضد الشعب الفلسطيني حتى إنهم لعبوا دورًا هامًا في تشويه الشخصية الفلسطينية بحيث كتب بعض المراقبين الغربيين أنهم عندما يخاطبونهم لا يذكرون اسمهم إلا مصحوبًا بكلمة سخرية.. فلا يقولون: فعل الفلسطينيون كيت وكيت، وإنما يقولون: فعل الإرهائيون كيت، أو الحيوانات يفعلون كذا، ويستخدمون ألفاظ السباب والشتائم قائلين بأنهم يفعلون كذا (المرجع السابق). حتى كانوا يصفون عرفات بأنه هتلر الجديد المختفي في مخبأ في بيروت (المرجع السابق ص ٢٢٤).

لا حق للفلسطينيين في الحياة!

وكانوا إلى زمن قريب يقولون: إننا بُغضُ الفلسطينيين لأنهم لا يقبلون بوجودنا، فلماذا نقبل بوجودهم؟ إلى من نتحدث؟ إلى من يريدون إلقاءنا في البحر؟! بعد محاولات فاشلة لزمن طويل، سعى ياسر عرفات إلى إبطال حججهم، فصرح في مجلس الأمم المتحدة، حينما دعي للتحدث فيه، أمام كل الأمم: أعلن باسم حركة التحرير الفلسطينية اعترافنا بإسرائيل، ونقبل بحقها بالوجود. وعندما قام بهذا الإعلان، أعلنت إسرائيل ردًا على إعلانه، بلسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية: «الشيء المفيد الوحيد الذي تستطيع منظمة التحرير الفلسطينية فعله هو أن تختفي، لأن فلسطين لم يعد لها وجود، ومن ثم فلا معنى لوجود حركة تحرير لها» (المرجع السابق ص ٢٢٧).. أي أنهم لا حق لهم في الحياة.

هذه هي الأمة التي يغمض الغرب عينه عن طغيانهم وعدوانهم، ويتخذون الفلسطينيين المستضعفين المضطهدين هدفًا لدعاية ظالمة قاسية. لقد جردوهم من كل أرضهم، وطردهم من ديارهم ووطنهم. في كل يوم جديد يعرضهم الإسرائيليون لمعاملة قاسية، وينشرون فيهم القتل، ويمحون مدناً كلية، ويشردون أهلها. أربعة ملايين فلسطيني يتيهون في العالم من بلد لبلد.. في حين يزرع الغرب اليهود في أراضي الفلسطينيين ويثبتونهم بقوة. فزاد عددهم في الماضي ولا يزال يزداد. وبرغم كل محاولاتهم هذه وصل عدد اليهود هناك إلى مليونين ونصف المليون. ولا يزال مليون ونصف مليون فلسطيني يعيشون هناك. يزيدون عدد اليهود من يوم لآخر، وفي مخططهم أنه بعد امتلاء الضفة الغربية باليهود سيطالبون بمزيد من الأرض. فهم يستزيدون من الأرض أولاً، ثم يكتثرون عدد السكان، وهكذا يمحون في عملية متكررة مستمرة. وهذه هي طريقتهم. أما الفلسطينيون الذين حكموا هذه الأرض لقرون، وولدوا ونشأوا وتربوا على تراثها، فلا حق لهم في الحياة داخلها. يقولون: ليس لكم وطن، ولستم موجودين، ولا نعترف بكم.

الثور الوحشي

والسؤال الآن: مع رؤية هذا كله.. بأي قوة، وبأي فكر، ونتيجة لأي استراتيجية.. لا تنفك أمريكا توطد علاقة الوداد مع إسرائيل.. وكما يقولون في بلدنا: «يُطَلِقون الثورَ الوحشيَّ سُدىً»؟ لقد أطلقوا في حقول العرب ثوراً متوحشاً هائجاً. إن الثور العادي يلتهم الخضار، ولكن هذا الثور يعيش على الدماء ولحم البشر، ولا يوقفه أحد!!

لقد سمعتم كثيراً عن مشروع قرار واحد. يقولون: ما دام العراق لا ينفذ هذا القرار فسنواته ضربته وتخريبه. وبالرغم من طرد العراق من الكويت فلن نتوقف عن مطاردته ولو عشرات السنين ما دام هناك احتمال أن يرفع أحد رأسه من هذه الأرض مرة ثانية.

قوة «الفييتو الأمريكي»!

وعلى النقيض من ذلك، وعلى إثر العدوان الإسرائيلي، كلما طُرح في مجلس الأمن قرار لوضع الحد للاعتداءات الإسرائيلية أو تغيير مسارها، استخدمت أمريكا حق الاعتراض عليها (الفييتو). ولقد حدث هذا ٢٧ مرة؛ فكلما أدان مجلس الأمن إسرائيل بالعدوان، وطلب منها تحرير الأراضي العربية التي احتلتها نتيجة للعدوان، اعترض ممثل أمريكا على القرار. وفي معظم الحالات كان الفييتو صادراً من أمريكا وحدها، في حين أنه في الحالات الأخرى التي درستها كان مع أمريكا هناك معارض آخر أو اثنان. ولكن أمريكا كانت غالباً ما تقف في وجه الجميع لتساند وحدها إسرائيل، وتستخدم الفييتو ضد كل مشروع.

وبحثتُ عدد كثيراً التي وُجّه فيها شيء من اللوم بكلمات لينة إلى إسرائيل، وطلب منها التوقف عن عدوانها، فوجدتها أيضاً ٢٧ قراراً؛ وفي معظمها امتنعت أمريكا عن التصويت ولم تصوت لصالحها. أما كثيراً التي أدانت إسرائيل بشدة فما كانت أمريكا لتسمح بمرورها من مجلس الأمن. والقرار رقم ٢٤٢ الذي سمعتم عنه كثيراً، والذي طالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد عدوان ١٩٦٧.. إنما مر من المجلس وأقره، لأن صياغة القرار أعطت الدول المساندة لإسرائيل سلاحاً كي تفسره بالطريقة التي تروقها. إنه القرار الوحيد الذي أيده أمريكا.

لماذا يحدث كل ذلك؟ يذهل العقل، لأن ذلك كله غير معقول؟! ما غرض أمريكا من مؤازرة إسرائيل بهذه

القوة؟

نكتة مؤلمة

ومن دراسة تلك كثيراً التي وافق عليها مجلس الأمن ضد إسرائيل ظهر أمامي شيء مثير للاهتمام. لقد كان هناك بون شاسع بين مسلكهم إزاء تلك كثيراً ومسلكهم إزاء القرار ضد العراق. إنهم لم يدعوا للعراق فرصة التقاط الأنفاس. فمن ناحية وافقوا على قرار المقاطعة الذي يمنع الطعام بل والدواء، فلا يدخل شيء إلى العراق حتى ولا ورقة. ثم ما كادت المقاطعة تبدأ حتى قرروا بدء الهجوم على العراق. والحق أنهم أكملوا خطة الهجوم قبل المقاطعة بوقت طويل، وكان الهدف من المقاطعة تجويع العراق وتعذيبهم بندرة المواد الأساسية.. حتى إنهم قصفوا مصنع

ألبان الأطفال أيضاً. هناك فرق كبير بين مسلكتهم مع العراق ومسلكتهم مع إسرائيل. عندما تمتنع إسرائيل عن التعاون معهم تكون صيغة قرارهم هكذا: يا إسرائيل.. لقد أخبرناك وقت كذا وكذا أن تعيدي الأراضي العربية، ولكنك لا تزالين تحتلينها. إننا ننظر إلى هذا التصرف نظرة استياء شديد، ولا نحب ذلك منك! ثم يصدرون بعده قراراً ثانياً يقول: يا إسرائيل.. ألم نخبرك بأننا سنستاء؟ ها نحن مستاءون! ثم يصدرون قراراً ثالثاً: لقد أخبرناك من قبل مرتين أننا غير راضين، ونقول الآن: أننا غاضبون جداً! ثم قراراً آخر: أننا سناخطون للغاية، وسنضطر لاتخاذ خطوات أخرى تكشف عن سخطننا! وهلم جراً. ولم يفعلوا أكثر من هذا.

هذا الموقف يشبه نكتة تقال في بلدنا عن سكان ولاية «أتر برديش» الهندية. يقولون عنهم أنهم يخشون العراك. فإذا ضرب شخص أحدهم قال: أتحداك أن تكرر الضربة! فإذا ما ضربه مرة ثانية قال: أتحداك أن تعيد الضربة! فإذا ما ضربه مرة أخرى كرر التحدي؛ وهكذا يكرر التحدي مع كل ضربة! لا بد أنها نكتة مختلقة، لأن القوم هناك شجعان حقاً وحاربوا أعداء أشداء. ولكن النكتة تنطبق بالفعل على الأمم المتحدة في معاملتها مع إسرائيل. تصفعهم إسرائيل مرة بعد مرة، وتتمرد على قراراتهم علناً، وتقول: ما قيمة قراراتكم هذه، إنها ورق مهمل سنمزقها ونرمي بها في سلة المهملات، وندوسها بقدمنا؛ وفي كل مرة تردّ الأمم المتحدة: نتحداك أن تضربنا مرة أخرى! لو تكرر هذا الفعل منك سنغضب كثيراً!!

لماذا يستمر هذا الجنون؟ لا بد وأن يكون هناك حد لذلك. فهذه أمور غير مفهومة! لا يستطيع المرء أن يصدق حدوث مثلها في العالم.. ولكنها تحدث. عجباً! ما فائدة الأمم المتحدة هذه؟ لو كانت بلاد العرب والمسلمين ذكية لتفكروا في مدى منفعتها. وكذلك ينبغي أن تفكر سائر بلاد العالم في هيئة الأمم هذه التي تصدر قراراتها فعلاً لصالح الدول القوية الذين يسيطرون عليها وعلى دستورها. فبوسعهم ظلم من يشاءون، وليس لسائر الدول حق رفع الصوت ضدهم! وإذا حاولوا ذلك فحق الاعتراض أو الفيتو يوقفهم. وبإمكانهم تسليط أحد توابعهم ليرتكب من المظالم ما يشاءون، ويمسكون بمصائر بلاد العالم في قبضتهم. هذا هو حال الأمم المتحدة. إذا أريد منهم اتخاذ قرار ضد العرب والمسلمين أسرعوا واتخذوا أشد القرارات قسوةً، ولكن إذا أثرت مسألة لحماية حقوقهم فلا يفعلون سوى إثارة بعض الضجيج الذي لا يجدي فتياً!

دجاجة تعيث الفساد

كنت في طفولتي مولعاً بتربية الفراريج، ورأيت دجاجات تلقي بروتها وقذارتها في حديقة صاحبها، ولكنها عندما تبيض تذهب إلى بيوت الجيران لتضع بيضها عندهم. والأمم المتحدة واحدة من هذه الدجاجات. فهي تثير الاضطراب في بيوت العرب، وتضع البيض في حدائق إسرائيل ودول الغرب. وإذا كان هذا هو مفهوم الأمم المتحدة فينبغي التفكير في أمرها. سوف أقدم للعالم نصيحة بهذا الصدد.

في النهاية يكون بوسعكم إدراك شيء واحد: إن عالم الغرب يضم عداوة شديدة للإسلام، ووراء هذه الكراهية، كما ذكرت، هناك خلافات تاريخية. ولهذا العداوة سبب آخر هو الخوف من الإسلام.. ولده جهلة المشايخ المتعصبين والملاّات في عقول العالم الغربي. يقدم الشيخ المتعصب في جهالته مفهوماً للإسلام يخشاه العالم،

ويقولون: لو ينال هؤلاء الناس مقاليد القوة فسوف يستخدمون ضدنا العنف والظلم. وسأتناول هذه المسألة فيما بعد عندما أوجه نصحي للمسلمين.

ذاكرة الإسرائيليين

ولكن ما أود قوله الآن للغرب: إذا حسبتم أنكم لو تركتم إسرائيل تلاحق المسلمين بعدوانها فستنسى إسرائيل فظائع الغرب ضد اليهود، وستمضي في الثأر من العرب بدلاً من الثأر منكم.. فهذا سخف تماماً. إن ذاكرة الانتقام لدى اليهود قوية للغاية ولا يمكن محوها، وإن ذاكرة اليهود نحو معروفٍ صنَّعه أحد لديهم لهي كتابة على الماء! إذا درستم التاريخ الإسلامي فستدهشون إذا عرفتم أنه خلال الحكم الإسلامي في أسبانيا لمدة ٨٠٠ عام لم تقع حادثة اعتداء واحدة ضد اليهود. وحيثما أُلقيت النظر على أوقات حكم المسلمين ستجدهم يرتكبون المظالم بعضهم ضد بعضهم فقط، وذلك عندما يستحث المشايخ المتعصبون أتباع طائفة ضد طائفة أخرى، ولكنك لن تجد أي عدوان ضد اليهود أو النصراري.

هناك ثلاث قبائل من اليهود يتصلون ببداية تاريخ الإسلام في المدينة: هم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع. دأبت هذه القبائل على نقض عهودهم، واتبعوا أسلوب الخداع ضد النبي ﷺ وضد المسلمين. كانوا ينضمون إلى المهاجمين عند الإغارة على المسلمين. وأخيراً اضطر المسلمون لانتخاذ التدابير الملائمة ضد هذه القبائل. وعندما كانت الأمم المتحدة تناقش مسألة إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ غير اليهود المسلمين بأن هذا من حقنا، ومن عادتكم طردنا من ديارنا، ولم ننس حتى الآن ما فعلتم بقبائل اليهود حول المدينة.

فهي ذاكرة عجيبة، يحفظون فيها فظائع خيالية تعود إلى ١٤ قرناً خلت، ويمحون منها الصنيع الحق الجميل!

فظائع الغرب على اليهود

إنها أمة عجيبة تنسى أن إيزابيلا وفرديناند أمرا عام ١٤٩٢م بطرد اليهود من أسبانيا. لقد لبثوا في العذاب قرنين من الزمان.. ولم يحاولوا مع ذلك مغادرة أسبانيا إلى حين أخرجهم النصراري منها جبراً. اضطر بسبب التعذيب عدد كبير من اليهود إلى التنصر. ولكن قامت حركة تقول: إنهم تنصروا في الظاهر ليخضعونا. عندهم ثروات كبيرة، ولا بد من سبب نتذرع به لتجريدهم من ممتلكاتهم وأموالهم؟ لذلك ناشد البابا الملكة إيزابيلا والملك فرديناند بأن الحل الوحيد لعلاج الأزمة هو التفتيش عليهم وعدم الوثوق في تنصرهم. وحركة التفتيش هذه (Inquisition) هي طريقة التعذيب التي كان النصراري يستخدمونها ضد معارضيهم، وارتكبوا بواسطتها فظائع رهيبة ضد غير النصراري، وأيضاً ضد النصراري المشكوك في عقيدتهم. على كل حال، استمر هذا الجدل بين البابا والملكة إيزابيلا طويلاً. ولما كانت الملكة ساخطة على البابا - ولعله سيكستوس الرابع Sixtus iv - لأنه لم يعين كاردينالات رشحتهم من جانبها، لذلك لم توافق على أن تقوم لجنة عينها البابا للتفتيش. وأخيراً قال القسيسون للملك فرديناند بأننا نعطيك كل ما نصادره من أموال اليهود في نظير الإذن لنا بالتفتيش. دعنا فقط نقوم بالفظائع.. أما الثروة فهي لك! فبدأوا حملة التفتيش عام ١٤٨٠م. وكان التفتيش مؤلماً حقاً.. بحيث يندر أن نجد في تاريخ العالم مثيلاً للفظائع المرعبة التي وقعت من النصراري ضد اليهود. وأخيراً لما لم

يكتفوا بالتعذيب أمروا بنفيهم من أسبانيا عام ١٤٩٢ الميلادي.

اليهود يَحمون بالمسلمين

لعلكم تذكرون «الموت الأسود» أو الطاعون الذي انتشر في أوروبا بين عامي ١٣٤٧ و١٣٥٢ م، وقضى على أعداد لا تحصى من الناس. أشاعوا أن ذلك بسبب نحس اليهود. فكثرت القتل في اليهود، ووقعت في فرنسا معظم هذه الفظائع. وبوسعكم تصور هذه الفظائع، فقد خرج اليهود من أسبانيا عساهم يجدون ملجأ في فرنسا ومنها إلى الدول الأوروبية الأخرى؛ ولكنهم لم يجدوا حماية هناك، واستمر التنكيل بهم. وإذا كان هناك من منَحهم الحماية.. فهي الحكومة الإسلامية في فلسطين. وهذه حقيقة تاريخية. ومرة أخرى أثناء الاضطهاد النازي في ألمانيا، ذهبوا إلى فلسطين طلباً للحماية. وهكذا خلال التاريخ الإسلامي لقي اليهود من المسلمين الجميل بعد الجميل، وترَبَّتْ معارفهم وفضائلهم في حضن المسلمين. ثم لما وقعت بهم أعمال الوحشية على يد الأوروبيين النصرى.. إذا بهم يأخذون ثأرهم من المسلمين!

خطة قهر العالم

هذا ما يجول بذهن أمريكا وحلفائها.. فما أربحها من صفقة! فليكن اليهود مشكلة للمسلمين. دَعُوهم يأخذوا من المسلمين ثأر وحشيتنا معهم؛ ويُقتل الاثنان بحجر واحد. فما أبرع مكرنا! ولكنهم ينسون أن اليهود قوم لا ينسون.. فهذا ضد طبيعتهم كما ذكرت، ومن المحال أن يتركوا ثأرهم من الغرب على ما ارتكبه في حقهم من فظائع. إنها مسألة وقت. فالיום يحصلون على القوة بامتصاص دم المسلمين، وزادت قوتهم حتى صاروا خطراً إلى حد التباهي علناً بقدرتهم على محاربة الاتحاد السوفييتي وهزيمته. قد تقدمت إسرائيل على أمريكا في كثير من فروع التكنولوجيا اللازمة لتطوير أسلحة الحرب، وصنعت القنبلة الذرية، وأنتجت أسلحة مهلكة أخرى. لماذا يحدث كل ذلك؟ لماذا تزداد قوتهم باطراد؟ إنها لغباوة وحماقة كبرى لو ظنت أمريكا وحلفاؤها أن كل ذلك خوفاً من المسلمين. الواقع أنه كلما اصطدم المسلمون المساكين باليهود دمر اليهود كل قواتهم تماماً، وألحقوا بهم هزيمة نكراء تنحني بسببها رؤوس المسلمين في خجل. فأى خوف عندهم من المسلمين؟

الواقع أن خطتهم أن يقهروا العالم كله. أولاً يستولون على ثروات البترول، وبعد ما تتلاشى ذكرى خطوة يتخطون خطوة أخرى، ثم التالية لها وهكذا. وعندما أقول إن مكة والمدينة في خطر فلا شك في هذا؛ لأن بنيتهم الاستيلاء على حقول النفط في النهاية، إلا إذا قدر الله تعالى غير ذلك، واستجيبت دعواتنا في ساحة رب العالمين، وعندئذ تختلف النتائج؛ ولكن الخطة هكذا تماماً. وبعد ذلك يثأرون من الغرب، وسيكون انتقاماً مريعاً لا يتخيله أهل الغرب. إن اليهود أمة تنفخ في نفير الحرب. ولقد أسمع دافيد بن جوربون صوت هذا النفير مرة أخرى. يتردد في آذانهم منذ أربعة آلاف عام: الحرب الحرب. ولا هدف لهم غير ذلك. فإذا كان أمريكا وحلفاؤها يتوهمون أنهم يخدعون اليهود والمسلمين، ويجعلونهم يتحاربون.. فهم إنما يرتكبون خطأ كبيراً.

مظالم أمريكا على فيتنام

وفيما يتعلق بأمريكا فقد قلتُ إن بهم كثيراً من الأسباب السيكولوجية تدفع بهم للسعي في إهانة العراق

وخزيه.. ذلك كي يتمكنوا من إزالة وصمة هزائمهم الماضية. وذكرت بهذا الصدد فيتنام. وسأخبركم باختصار عن فيتنام، وكيف تحطم في أرضها «الأنا أو الصلف الأمريكي» وتمشم كبرياء هذه القوة العظمى هناك. بدأت حرب فيتنام في ٤ أغسطس ١٩٦٤. وكانت مصادفة عجيبة، أو قُلْ هو قدر الله تعالى.. أن الحرب بدأت بعاصفة، يطلق عليها المؤرخون الأمريكيان العاصفة المدارية. فعندما كانت الحرب تجري بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية، وكان الشيوعيون الشماليون يحاولون إسقاط حكومة الجنوب.. كانت أمريكا تتلمس ذريعة للتدخل في المنطقة لتساعد فيتنام الجنوبية لتهزم الشيوعيين في الشمال. دخلت إحدى السفن الأمريكية وتسمى مادوكس (Maddox) في منطقة من البحر ضمن حدود فيتنام الشمالية، فأرسلت فيتنام الشمالية قوارب دورية لتعرض طريق السفينة، ولكن السفينة هاجمتهم وأغرقتهم، ثم عادت بصحبة إحدى المدمرات تدعى تيرنر جوي (Turner Joy). قال الأمريكيان في أنفسهم: لو هاجمونا الآن كانت بيدنا حجة للهجوم عليهم. ولكن ما حدث هو أن العاصفة المدارية هبّت، وهي عند هبوبها تكون رهيبة كعواصف الصحراء. قالوا: تعطلت معدتنا الألكترونية وظننا بالفعل أننا هوجمنا. وهذا ظن يشبه تصرف الجاهل؛ فهناك عاصفة واضحة، فكيف كان هناك هجوم؟ هل هيجت فيتنام العاصفة؟ على أي حال من يبحث عن ذريعة يجدها. وهكذا وجدت أمريكا سبباً كسيحاً، وادعوا بأنهم تعرضوا للهجوم. ولجّوا في إصرارهم على أنهم هوجموا أولاً ولا بد من رد الهجوم! فقاموا بهجمات جوية على فيتنام. وفي خلال عام، أي قبل نهاية عام ١٩٦٤، أرسلوا إلى فيتنام ٢٠٠ ألف من جنودهم، وفي عام ١٩٦٧ بلغت قواتهم ٥٤٠ ألف جندي.

كان القصف الجوي شديداً لمدة ثماني سنوات ونصف السنة. كانوا يضربون فيتنام ليل نهار، حتى بلغ مجموع ما ألقوه مليونين ونصف مليون طن من القنابل؛ وهذا يعادل ما أُلقيَ خلال ست سنواتٍ في الحرب العالمية الأخيرة في أنحاء العالم.. في أوروبا وآسيا وأفريقيا. علماً بأن مساحة فيتنام تساوي مساحة ولاية فلوريدا الأمريكية. فهو بلد فقير، ليس به مصالح كثيرة أو قوة تجارية. ولكن بوسعكم مشاهدة عظمة الشعب الفيتنامي.. إذ حاربوا أمريكا برأس مرفوعة أكثر من ثماني سنوات. وبلغ مجموع القتلى من عسكريين ومدنيين في الشمال والجنوب مليونين ونصف مليون، أي بقدر سكان إسرائيل من اليهود؛ ومع ذلك لم يُحَنوا الرأس أبداً، بل قصموا ظهر الصلف الأمريكي، حتى اعترفت أمريكا بهزيمتها في مذلة ومعرة.

وكان أسلوب الاعتراف الأمريكي مثيراً. ففي مؤتمر السلام بفرنسا رفض وفد فيتنام الشمالية وقف إطلاق النار، وقالوا: نعم نبحت السلام ولكن لا نتوقف عن القتال!! فالدرس الذي تمليه أمريكا اليوم على العراق.. تعلمته من قبل على يد فيتنام: نبحت السلام مع استمرار القتال. لقد تمشم صلف هذه الدولة العظمى هناك، وحاقت بهم هزيمة نفسية رهيبة، تدفعهم إلى الانتقام واستعادة كرامتهم. ولكن الواقع يقول: الظهر إذا انكسر لا ينصلح أبداً.

الحق أن العالم قد تغير، والزمن لم يعد كما كان، ويستيقظ في الإنسان مفهوم الاعتماد على النفس ويتنامى، وموجات التحرر تلعو وترتفع. إن قدر الله تعالى يغير مستقبل العالم، فلم تعد الأيام للآلهة المزيفة. آن

الأوان لحو سلطانهم.. ولكنهم لا يستطيعون رؤية ذلك. إنهم لا ينفكون يرتكبون عدواناً بعد عدوان، ولا يرون صورتهم في عيون العالم أو في عين التاريخ. يقدمون الرئيس صدام على أنه شبيه هتلر، الطاغية القاسي؛ ولو قبلنا بهذا الادعاء فما فظائعهم بالقياس إلى عدوان صدام إلا كجبال إزاء حبة خردل! كل ما ينسبونه إلى صدام من فظائع، لو صدقنا بها.. فما هي بالنسبة لجرائم أمريكا في فيتنام، ولمدة تزيد على ثماني سنوات متواصلة؟ لم يكن لهم حق في الذهاب إلى فيتنام ليقصفوا بلدًا ويناصروا فريقاً منه لارتكاب أعمال وحشية ضد الفريق الآخر!! لو قرأتم تفاصيل فعالهم هناك لا شعرت جلودكم وارتعدت فرائصكم. كانت جرائم وحشية. والأدهى من ذلك محاولاتهم المستمرة إلى الآن لتشويه الشخصية الفيتنامية. فهم لا يبرحون يتصايحون أن الفيتناميين قتلوا المواطنين المؤيدين لنا في كل مدينة استردوها، وفعلوا الفظائع هناك حتى أصبحت المقابر الجماعية تضم مئات وألوف الجثث. ينبغي أن يعامل الخائن هكذا في حرب عدوانية من طرف واحد! أي شريعة في العالم تحمي الخائن؟ إنهم يعترفون بلسانهم أن هؤلاء الناس أعوانهم. يذكرون هذا ويصورونه على أنه من الفظائع، وينسون جرائمهم التي اقترفوها في ثماني سنوات ونصف سنة!

أخشى أن هذا المرض النفسي الرهيب الذي أصيبت به أمريكا هو أشد الأخطار على سلام العالم اليوم.

قتلة مستأجرون

وهنا أضافوا شيئاً آخر رهيباً.. ذلك أنهم أقاموا مثلاً للحرب لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم كله. ولعلكم سمعتم بحروب المرتزقة، ولكن هذه حرب مرتزقة على نطاق فظيع واسع.. لم يسبق حدوث مثله في العالم. إنهم في حرب فيتنام لم يحملوا على الأقل كيس الشحادة ليتسولوا نفقات الحرب، وتحملت أمريكا وحدها ١٢٠ بليون دولار على مدى السنوات الثماني لتمطر العدوان على فيتنام. وهذا قدر هائل من المال. ولكنهم في حرب الخليج يعتمدون على المال الذي يشحذونه. أي ضمان يكون لسلام العالم إذا نُصب هذا المثال أمام الناس، وأمكن أن تحارب دول بأموال الآخرين؟ هذا يعني أن يبقى سلام البلاد الفقيرة في أيدي البلاد الغنية، فيطلقون المرتزقة ليعتدوا على الأمم الفقيرة وقتما يشاءون وكلما يريدون. هذه هي الرسالة التي يعطونها للعالم!

وهناك شعور آخر متصل بهذه الحرب.. عندما تظهر نتائجها بالتدريج ستندهبون عندما ترون أمم الغرب الأخرى تتشجع وتقول في نفسها: إذا كانت الحرب هكذا فلم لا نشارك فيها؟ كل هذا الدمار الذي وقع بالعراق والكويت أخذوا الأموال لاقتراهه؛ وسيأخذون أضعافه لإصلاح ما دمروه. فهم يجمعون المال من الوجهين: من التخريب وإعادة البناء! أنت تدفع لاستئجار القاتل مالا أقل، أما الجراح المعالج فتدفع له أكثر؛ وهم جمعوا المهنتين في أيديهم؛ هذا هو أشد الأخطار في وجه العالم. لقد ظهر تقليد جديد إذا لم يوقف فسيزداد ويتفاقم. إذا أرادوا تدمير بلد فقير فسوف يدمرونه لو دفع التكليف بلد غني؛ ويتقاضون ثمن البناء من المجني عليه؛ ويتنفعون من الجاني والضحية!

أرض أبراج الجماجم!

وختاماً أود أن أثيركم طالما تعرضت أرض العراق لأشد صنوف القمع ووقعت بها مآسٍ قاسية رهيبة. أي

اسم، يا تُرى، نطلقه على هذه الأرض؟ يمكن أن نسميها «أرض الأبراج المشيدة من الجثث والجماجم». ففي أول الأمر احتل الآشوريون منطقة العراق، وأنزلوا بالناس فظائع استمروا في كرب وفزع منها لمدة ٢٠٠ سنة. وفي عام ٨٧٩ قبل الميلاد، أي في بداية الطغيان الآشوري.. شيّد الملك الفاتح برجاً أمام قصره نُقش عليه: «أنا الملك الذي سلخ جلد من عارضني. وقد غطيتُ هذا البرج الذي ترونه بجلود البشر. والهيكَل الذي في قمته هيكَل بشري. واستخدمتُ أجساد الأحياء بدلاً من قوالب الطوب لبناء البرج». فأنا الملك الذي يسليخ الناس، وأنا ملك الموت». ومع ذلك مضى الملك يقول: «إني أفعل ذلك من أجل الفضيلة. وحرَبنا هي بين الخير والشر؛ فنحن نمثَل الخير، وسائر العالم يمثَل الشر؟»

(Chronicle of The world, By Longman Group (UK) Ltd. 1989 p. 73)

لا أعرف ما إذا كان الرئيس بوش اطلع على هذا التاريخ أم لا، ولكنه يحاول بما يفعله بالعراق تشييدَ برج رمزي شبيه بذلك البرج، ويحاول أن ينقش عليه: نحن الملوك الذين هشموا الرؤوس، وحطموا رغبة احترام النفس لدى الآخرين، وسحقناها تحت أقدامنا. من يرفع صوته علينا أو ييدي جسارة أماننا فسنتقصم ظهره، ونبني أبراجاً من الجماجم كتلك التي شيّدت في تاريخ العراق من قبل!

أما البرج الثاني فقد بُني في العراق عام ١٢٥٨م، بناه هولوكو خان من الجماجم البشرية حقاً. ومنارة
ثالثة عام ١٤٠١م بناها تيمور لنك من جماجم الناس أيضاً.

(Cambridge History of Islam, Vol. 1, P. 170, Editors)

الظهر المكسور لن يُشفى

فما أشدّ ما تعرضت له هذه الأرض من إرهاب وقمع، ليس مرة واحدة ولا اثنتين، بل ثلاث مرات بُنيت الأبراج من جماجمهم وجثثهم.. كي يخرّوا ساجدين أمام أحد الطغاة. وما يجري اليوم في العراق هو تكرار لنفس الشيء. ولا أعلم متى يحطمُ القدر الإلهي كبرياءهم وغطرستهم؛ ولكن ما أعلمه يقيناً أن القدر سوف يحطم رأس غطرستهم. وأؤكد لأمریکا أن ظهركم الذي كُسر في فيتنام لن يُشفى أبداً بعدوانكم وفظائعكم في العراق. إنكم حاولتم في الظاهر بناء برج من الجماجم، ولكن الحُفَر التي أحدثتها تفجير مليونين ونصف مليون طن من القنابل، حُفَر الخزي هذه صارت مقبرة لسمعتكم، وسيبقى اسمكم مدفوناً فيها إلى الأبد. وسوف تتضح هذه الأمور فيما سيرويه تاريخ المستقبل. وتلك البقع التي لطخت وجهكم، والتي لا يستطيع أحد عرضها على العالم خوفاً من فظائعكم ومظالمكم.. سوف يكشفها التاريخ في النهاية بمضي الوقت، وسوف تشتد الظلمات عليكم دكناً. انظروا إلى أنفسكم بعيون الآخرين، وشاهدوا الصورة التي تُرسم لكم في الخارج وتكون من نصيبكم في المستقبل. إنكم تعملون على النقيض من الغرض الذي من أجله قامت أمتكم، وبدلاً من السلام تدفعون الناس نحو الحرب إلى الأبد.

أما إذا لم تكن أمريكا مستعدة لفهم هذه الأمور، وهذا ما يبدو منها في الوقت الحاضر.. لأنهم محمورون بغطرستهم، ويحلّقون عالياً، يراقبون العالم من فوق قمة برج عدوانهم الخيالي، فماذا سيحدث في المستقبل، وماذا سييدي لهم قدرُ الله تعالى، هذا ما سوف أتحدث عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. وسوف أنصح اليهود،

وأنصح المسلمين أيضاً وسائر بلاد العالم كذلك.

إن الوقت الحاضر هو أشد الأوقات حرجاً في التاريخ الحديث للبشرية. ولا يزال هناك فرصة لتغيير اتجاه تيار العدوان والطغيان. لم يفلت الأمر تماماً من الأيدي، وإني على يقين من أنهم لو قبلوا نصحي الذي أقدمه لهم في نور التعاليم القرآنية.. فبمشيئة الله تعالى سيفلحون في تغيير مجرى تيار الطغيان.

إننا لا نملك سلطة، والحق أن موقفنا ليس إلا موقف المستضعفين من عباد الله، المتضرعين إليه في تواضع وخضوع. ولكن دعاءنا، بلا شك، يستطيع بفضل الله تعالى تحقيق تلك النتائج التي لا يستطيع جهدنا الظاهري تحقيقها يقيناً. فجهودنا لا وزن لها، ولا يملك قولنا تحريك شعرة واحدة من أمريكا. ومع ذلك فإني أعرف، وأنتم جميعاً تعرفون، أن مسار البشرية سيتغير إن شاء الله تعالى بفضل دعاء جماعة سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، بفضل ابتهاج المحبين الواهين لسيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، بفضل دعاء حار لعباد الله المتواضعين.

قوة دعوات المهدي

يقول سيدنا المهدي والمسيح الموعود صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الإلهامية: إنه لقدر الله، ولسوف يتم ذلك. عندما تذوب روح المسيح الموعود والمهدي المنتظر على العتبة الإلهية.. وتصعد في ظلمة الليل أنات الألم من قلبه.. فوالله، ستذوب قوى العالم العظمى كما يذوب الثلج في حرارة الشمس. وعندئذ سوف تشرق أيام دمار هذه القوى، وقصم ظهور غطرستهم. (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية مجلد ١٦ ص ٣١٨).

اليوم لم يعد سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام يمشي بين ظهرانينا، ولكن روحه تعيش في الجماعة الإسلامية الأحمدية. فيا أيها المسلمون الأحمديون.. يا من يحملون روح المهدي والمسيح في صدورهم، قوموا في الليالي بين يدي رب العزة، وذوبوا بصرحات الألم وشهقات الضراعة، ولتؤمنوا يقيناً أنه عندما تنصهر أرواحكم على عتبة ربكم.. فلتأتين الأيام التي تتلاشى فيها القوى العظمى الغاشمة. هذا قدر لا يستطيع تبديله أحد في هذه الدنيا.

٢٢ فبراير ١٩٩١

إني لكم ناصح أمين

عندما بدأت حرب الخليج خُيِّل إلى الناس جراء الدعاية الغربية كما لو أن عصر النازي الألماني قد عاد إلى الوجود، وتولى هتلر مقاليد السلطة مرة أخرى، وللقضاء عليه أُعيدت الحياة لتشرشل وروزفلت وستالين وبعثوا. هكذا كانت الصورة مرعبة حتى كان المراقبون في أنحاء العالم يرتجفون. والآن وقد انتهت الحرب بقيت عناصر المشهد كما هي، ولكنها ظهرت في صورة جديدة. الموقف لم يتغير، والحقيقة لم تتبدل، ولكن يمكن أن تُرى هذه الحقيقة بطريقة أخرى.

عفاريت وفرسان

لقد ذكرني انتهاء الحرب بالشخصية الروائية الأسبانية المشهورة «دون كيشوت» (Don Kuixot)، وهو فارس فكاهي دأب على تخيل أشباح وعفاريت وعماليق وهمية وفرسان عظام، ثم يركض ببغلة نحوهم ليهاجمهم. وكان يحارب طواحين الهواء على أنها أشخاصهم. ولو أننا أدخلنا تغييراً طفيفاً في الرواية، وطبقناها على الموقف الحالي لكانت مناسبة له تماماً. كان دون كيشوت يركب ببغلة مع جنراله «سانشو بانزو» (Sancho Panzo)، فشاهد طاحون هواء، فقال لجنراله مشيراً إلى الطاحون: هذا هو أقوى العمالقة وأشدّهم بأساً وأكثرهم خطورة في العالم. هلمّ نكرّ عليه سوياً. ثم هاجم صائحين راكضين. وتمضي القصة بعد إجراء تعديل بسيط فيها لتقول: وهزّما الطاحون هزيمة شديدة ومزقاها شرمزق، وبعدها أعلننا: اليوم قام أعظم فرسان الدنيا بالقضاء على أعظم عمالقتها.

حيوانات الغاب

وهكذا ترون الحقيقة باقية كما هي، ولكن المشاهد تتغير مع الزمن. وكذلك يتغير المشهد بتغير الزاوية. وإذا نظرنا من زاوية النظر الأمريكية بدا وكأن الصياد الأمريكي جعل كلاب الصيد تتبعه. فقد استتبعت أمريكا وراءها بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي وألمانيا، وجرى خلفهم غيرهم من حيوانات الغاب، في انتظار الفريسة ليسهموا في قتلها.. كل بحسب قدرته، ثم ليحصلوا على أنصبتهم منها كل بحسب مركزه. يسير هذا الجيش في طريقه يضم الصيادين وحلفاءهم، ويتعالى هتافهم: الكويت الكويت، ويحدّون أسنانهم ويتحينون الفرصة لاصطياد العراق باسم الكويت.

هذه زاوية نرى منها الموقف هكذا. ولكن هناك زاوية أخرى، فإذا نظرنا بعين إسرائيل وجدنا الإسرائيليين يحسبون، ولهم الحق في ذلك، أنهم استتبعوا أمريكا وكل حلفائها، ومن ورائهم كائنات الغاب الأخرى. وقليلاً ما يدرون أن هذا الصياد سوف يستدير إليهم فيما بعد، ويقضي على كل تلك الحيوانات التي تسير في كعبه، ثم يستمتع وحده بلحم الصيد كله. هذه زاوية أخرى للرؤية، والحقيقة واحدة. وسوف يكشف الزمن القادم عن حقيقة مَنْ كان يستتبع مَنْ؟

ثم من وجهة النظر الخاصة بالأصوات.. يفعل العقل البشري أيضاً العجائب. فالصوت الواحد يمكن أن

تفسره العقول بمعان مختلفة. ومن الأصوات المسموعة في عالم اليوم صوت يقول: الغرض من تكسير أطراف العراق ألا يتجاسر مرة أخرى على مهاجمة الكويت. وكأن الكويت هي غرض العالم كله، أو كأن كل بلد حرّ في مهاجمة أي بلد آخر فيما عدا الكويت.. لن يسمح لأحد بالهجوم عليها! هذا معنى من معاني هتاف «الكويت الكويت» الذي تسمعه الدنيا. ولكن لو سمعنا الصوت نفسه بأذن إسرائيل لكان معناه: مزّقوا العراق كل ممزق حتى لا يدور أبداً حلمُ المهجوم على إسرائيل بخلده، وليس العراق وحده.. بل كل من ينظر إلى إسرائيل نظرة سوء في هذا العالم. وهكذا ترون الصوت الواحد يصل إلى شتى الآذان في صور مختلفة، وتفسره العقول تفسيرات مختلفة.

وثمة وجه آخر جدير بالذكر. المدنيّة والأدب واللفظ والمودة ليست وقفاً على الإنسان وحده، بل إن الحيوانات الضارية المفترسة أيضاً تبدي نفس مظاهر المدنية والأدب. فما دامت لا تقفز على فريسة، ولا تقاتل عدواً، فسترى أقدامها رخوة طرية كالمخمل، وأنيابها تختفي خلف شفاه رقيقة، وتعيش سوياً في محبة وألفة، ولا تنظر ناحية الحيوانات نظرة شر. أما عندما يجين وقت الصيد، ويأتي أوان القفز على العدو.. تظهر المخالب الرهيبة من وراء الأقدام المخملية، وتبرز الأنياب الحادة من تحت الشفاه الطرية، والتي لا تعرف الرحمة بأي حيوان!

بُرودة العرب

ينبغي أيضاً تأمل هذا الموقف من هذه الناحية، ونرى ما هي الأوقات التي يُعرف فيها حقيقة البشر؟ ونعم ما قال في هذا المعنى الشاعر بالأردنية، وتعريه: أمر بسيط أفسد صداقة سنوات، ولكن هناك شيئاً واحداً طيباً.. لقد عرفنا حال الناس على حقيقته.

ولكن الأسف على هؤلاء العرب أصدقاء الغرب الذين لو نزلت الصواعق على الأمة الإسلامية، دَعَكَ من المشاكل البسيطة، فستبقى صداقتهم القديمة للغرب على حالها لا تتأثر، ولن يستطيعوا معرفة حقيقة أصدقائهم! هذا هو ملخص تلك الخلفية، وعلى ضوءها سوف أضع أمامكم مزيداً من الأمور التي تتصل في أغلبها ببذل النصح لشتى الأمم.

مبادئ السياسة

إن معظم السياسات اللادينية تتأسس على ثلاثة مبادئ مشتركة بين الشرق والغرب، فلا نستطيع القول بأنها مبادئ شرقية أو غربية؛ أو أنها مبادئ الأمس أو اليوم، فهي مبادئ الزمن كله.

المبدأ الأول

إذا كانت سياسة بلا دين ولا إيمان فأول مبدأ لها أنه إذا تصادمت مصالح الأمة والبلد أو الجماعة مع العدل فلا بد من أن تكون الأفضلية والأولية لمصالح الأمة والبلد والجماعة حتى ولو أدى الأمر إلى اغتيال العدالة. أما المبدأ السياسي الذي يقدمه الإسلام بإزاء ذلك فهو مختلف تماماً. يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة: ٩).. أي أيها المسلمون، إن سياستكم تختلف عن غيركم. فهي سياسة تنبني على التعاليم الإلهية، ومبدأها الأساسي الثابت ألا تجنحوا إلى معاملة أحد بما يخالف

العدل وإن كان من أشد أعداء الأمة. تَمَسَّكُوا بِالْعَدْلِ دَائِمًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَذَلِكَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.

المبدأ الثاني

والمبدأ الثاني في السياسة اللادينية أنك إذا كنت تملك القوة فخذ مصالحك بالقوة، لأن القوة هي الحق، ولا معنى للحق سواه. وفي المقابل يقدم القرآن مبدأً مختلفاً تماماً فيقول: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣).. أي لا يهلك إلا من شهد الحق ضده بشهادة بينة، ولا يحيى إلا من كان الحق مؤيداً له بشهادة بينة. وهذا المبدأ يناقض المبدأ القائل: القوة هي الحق، بل يقول: الحق هو القوة.

المبدأ الثالث

والمبدأ الثالث.. وهو أساسي أيضاً في السياسة اللادينية.. أن قُمْ بدعاية مزيفة دون تردد، فهذا عمل شرعي، بل كلما زاد ما فيها من خداع وتزوير كانت أفضل وفي صالح الأمة. يجب أن تهزم عدوك؛ ليس في ميدان القتال وحده وإنما أيضاً بالدعاية الزائفة، وأن تصوره للناس بصورة المهزوم أيضاً في عالم الفكر والمبادئ. وفي الجانب الآخر يقدم القرآن هذا المبدأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ..﴾ (سورة الحج: ٣١). ويقول في موضع آخر: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣). ففي حرب الكلمات.. في الجهاد بالكلمة.. لا تَدْعُ قبضتك على حبل الحق تفلت، لأن قول الزور مثل عبادة الأوثان.. ومخالف للتقوى ومناقض للطهارة. يجب عليكم أن تقولوا الحق ولا تجرحوا الصدق، وإن أضر ذلك أقرب الناس وأعزهم لديكم. منذ فجر التاريخ، ومنذ أن كان هناك سياسة.. هذه المبادئ تفعل فعلها في كل مكان، اللهم إلا في فترات استثنائية.. عندما كان الذين يديرون دفة السياسة أناساً شرفاء تتحلى على يدهم القيم الدينية والأخلاقية؛ أو عندما أتى الله لأهل الدين أيضاً السلطة الدنيوية.

سبب هزائم المسلمين

وأشد ما يعذب النفس في عالم الإسلام اليوم أنهم يعلنون الجهاد باسم الله تعالى وباسم دين سيدنا محمد ﷺ، ومع ذلك يتبنون شرائط السياسة اللادينية، وينبذون وراء ظهورهم سياسة الإسلام العالية التي جاءت في القرآن المجيد. وهذا هو السبب في أنه، باستثناء حالات نادرة، كلما اصطدم المسلمون في هذه الأيام بأعدائهم وأعداء الله تعالى.. لقي المسلمون هزيمة مخزية، في حين أن وعد الله تعالى في القرآن صريح ثابت: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (سورة الحج: ٤٠). فهو يحذر الأعداء من أولئك الذين خرجوا جهاداً في سبيله وباسمه تعالى: إذا كانوا ضعفاء فالله عز وجل ليس ضعيفاً.. سوف يعينهم، وسوف ينصرهم على أعدائهم. ثمة سؤال يزلزل عقول المسلمين اليوم بسبب هزيمة العراق، ولذلك أولية أهمية كبرى، لأشرح لقلوب المسلمين المعذبة في الشرق والغرب أن هذه الهزائم ليست هزائم الإسلام، وإنما هي هزائم أولئك الذين هزموا مبادئ الإسلام في أنفسهم.. بأن نبذوها واتخذوا المبادئ المهزومة. فهذه الحرب لم تعد حرب الحق ضد الباطل، بل حرب القوة ضد الضعف. والله تعالى لا يؤيد جانباً دون الآخر، عندما يكون الصراع بين القوة والضعف، فلا بد من انتصار القوة؛ وهذا هو معنى أن القوة هي الحق.

وفي واقعة الخليج الرهيبة دروس عميقة لنا. وأكبر هذه الدروس أنه لا بد من عودة المسلمين إلى المبادئ الإسلامية السامية التي لا تهتز ولا تنهزم. وإن لم يفعلوا فلن يتحقق لهم الوعد الإلهي: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٦). والأرض قد تكون فلسطين، وقد تكون العالم كله. لن يقدر للمسلمين النصر الدنيوي ما غاب العباد الصالحون منهم، وما داموا لا يتبعون ولا يطبقون مبادئ القرآن وتعاليمه الطاهرة الدائمة الغالبة.

دعاية مزيفة

هذه الفضائح والمظالم تنزل على رؤوس المسلمين ليقال بأن الحق في جانب الحلفاء، وأن الحق قد انتصر على الباطل. هذا القول غير صحيح قطعاً. وبهذا الخصوص ينبغي أن تعرفوا شيئاً آخر. كان جنرال أمريكي يردد قوله: نحن جميعاً من ذوي القبعات البيضاء، أما العراق وحلفاؤه فهم ذوو قبعات سوداء. هذا المفهوم الخاطئ يرد في روايات الغرب ومؤداه أن الأبطال المَهْرَة في استعمال المسدس يلبسون قبعات بيضاء، أما الأشرار فيلبسون قبعات سوداء. الواقع أن هذه الحرب لم تكن بين أبيض وأسود، ولكنهم لإثبات دعواهم يصفون صدام حسين بالطغيان والوحشية وقتل الأكراد بالغاز السام وتدمير قراهم بالقنابل. وإذا كان هذا الاتهام صحيحاً، وقد يكون بالفعل صحيحاً، فقد ارتكب جريمة شنعاء، وهو مسئول أمام الله تعالى، ومسئول أمام التاريخ. ولكن الصورة هكذا لا تكون كاملة، بل ينبغي أن نرى أين تعلم صدام حسين هذه الجريمة ومن علمه إياها.

كانت سياسة الإنجليز في عام ١٩٢٠ ترمي إلى جعل الأكراد عبيداً للعراقيين. وعندما رفع الأكراد أصواتهم ضد هذا.. ألقى البريطانيون بقنابل الغاز السام على الأكراد الضعفاء العزل، وقتلوا منهم ألوفاً بلا رحمة. ولتأكيد استعبادهم دأبوا على قصف قراهم لعدة سنوات. وقد تأثر من فظاعة هذا القصف حتى الجند الذين كانوا يقومون به. ففي عام ١٩٢٢ استقال ضابط طيار بريطاني كبير **Air Commodore L.E.O.Chalton** احتجاجاً على قسوة القصف وقال: إني لا أطيق هذا الظلم. إنهم يرتكبون الفضائح ضد الأكراد بما هو فوق الاحتمال.

ويقولون أيضاً بأن الرئيس صدام ارتكب نفس الجرائم ضد إيران، وقتل كثيراً من الإيرانيين بعذاب الغاز السام، وضرب مدتهم بالقنابل. والحقيقة أن بلاد الغرب هي ذاتها التي زودته بمعدات الغاز السام والمدافع بعيدة المدى، وموتته السعودية والكويت بمعظم العون المالي، وساندته أمريكا على طول الخط. الحق أن صدام حسين مسئول عن كل جريمة ارتكبها ضد الإنسانية، ولكن ليس من الصواب أن تلقى المسؤولية عليه وحده.. فهناك غيره كثيرون شاركوا في هذه الجرائم. وأولئك الحلفاء الذين لبسوا اليوم مسوح البررة الأبرياء.. فيهم كثير من أشد القساة الغلاظ الطغاة.. وهم أنفسهم الذين ساندوا تلك الجرائم عندما كانوا في حاجة إليها، وشجعوا العدوان عندما كان يخدم أغراضهم. فهذه الحرب ليست حرب الحق والباطل أبداً.

نصيحتان للشباب

لقد فجع المسلمون أشد الفجعة، وشباهم بصفة خاصة. وطبقاً للأخبار التي أتلقاها من أنحاء العالم.. ضرب

الحزنُ الشبابَ ذكوراً وإناثاً لمراًى ومسمع تلك الفظاعات التي تحيق بالعراق، ويكون بحرقه حتى صارت حياتهم لا تحمل. هنا في بريطانيا زارني بعض الشباب من الجنسين وسألوني: ما هذا الذي يجري؟ لماذا لا يساعدهم ربنا؟ أود أن أبين لهم أولاً: عندما يتخلى عباد الله عن تمسكهم بالتوحيد، ويتخذون لأنفسهم مبادئ أعداء الله المجردة من التقوى.. بدلاً من مبادئ البر والتقوى الإسلامية، عندئذ لا يكون الله مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؛ ولا تكون الحرب بين الحق والباطل.

ثانياً: فيما يتعلق بالحروب الدنيوية لا يتوقف مجرى الزمن عند الهزيمة، ولكن التاريخ لا ينفك ماضياً إلى الأمام.. يغير اتجاهه. والزمن يتغير دائماً، والأيام دول. إذا حدث شيء اليوم فإنه يتغير غداً. لقد قضت أمم حياتها تحت نير الطغيان والعدوان قرونًا عديدة، وفي النهاية أعطاها الله النصر على أعدائها. فينبغي عليكم أن توسعوا دائرة تفكيركم طبقاً لأوقات الله تعالى؛ فلا يفرغن صبركم بحسب وقتكم. ولكي تطمئن قلوبكم أرجع بكم إلى الوراء قليلاً في مجرى التاريخ، وأذكركم بما كان يجري في أوروبا.

الغرب يدفن الحرب!

في عام ١٩١٩، وفي مدينة فرساي (Versailles).. اجتمع حلفاء الحرب العالمية الأولى المنتصرون ليقرروا مصير ألمانيا. وكانت هذه السنة أيضاً سنة الانتخابات البرلمانية في بريطانيا. وقبل سفره صرح لويد جورج رئيس الوزراء للشعب البريطاني أنه سوف يعصر الألمان كما يعصر الليمون حتى تن البذور. وكتب أحد المراقبين عنه: عند وصوله إلى فرساي، علم لويد جورج بنوايا الفرنسيين ضد الألمان، فوجد أن نواياه بالنسبة إلى نواياهم تعد مثلاً للصفح والغفران. فقد كان لدى ممثل الفرنسيين شغف شديد بالقضاء على الألمان جميعاً فرداً فرداً. على أي حال، بعد المناقشات قرروا أنه لن يُسمح للألمان في قادم الأيام برفع السلاح ضد أي بلد. وهذه هي الصورة نفسها التي ترونها اليوم من أهدافهم نحو العراق. ثم بعد مدة، وبالتحديد في ١٩٢٨، وتأكيداً لهذا الغرض، طلب كل من فرانك كيلوج (Frank Kellog)، وزير خارجية أمريكا، ورئيس الوزراء الفرنسي عقداً مؤتمر من ١٥ دولة أوروبية ليحرّموا الحرب. وأعلنوا أنهم سوف يدفنون الحرب. وكان ممثلو الدول حاضرين في الحفل عندما كان ممثل ألمانيا يوقع الوثيقة بقلمه الذهبي، واهتزت القاعة من التصفيق. من كان يدري أنه من المقدر لهذا الجسد الذي دفنوه أن تدب فيه الحياة، ولا تمضي عليه ١١ عاماً حتى يقوم ويغادر قبره، ليس لتدمير قارة واحدة بل يرتعد من خشيته فرائص العالم شرقاً وغرباً. كان دويُّ القنابل يحجب سائر الأصوات عن المسامع!

حوّلوا آلامكم إلى الدعاء

وهكذا ترون كيف تغير المشهد فجأة؛ ومن وجهة نظر التاريخ تُعدُّ هذه الفترة القصيرة فجأة! فالله تعالى حي وسيبقى حياً.. أما أجيال البشر فتأتي وتروح. ولست أقول لكم: اعتمدوا على فرص التاريخ، بل أقول: ضَعُوا أحوال التاريخ المتغيرة هذه نصبَ أعينكم، فلا تَهِنُوا ولا تحزنوا، وضعوا ثقتكم في الله الحي الباقي.. الذي لا غالب له، القادر الذي يسيطر على قوى العالم جميعها، وقوى الكون قاطبة، بل كلها لا شيء بالنسبة إليه جل وعلا. فإذا كنتم اليوم مظلومين عاجزين، تتنون من الألم.. فحوّلوا هذه الآلام إلى تواضع وابتهاج إلى الله مولاكم،

وأؤكد لكم أنه بهذه الوسيلة سيبدل الله كل الهزائم إلى نصر.

نصيحتي للقوى المتحالفة

ونصيحتي للقوى المتحالفة ولقادة الحلفاء: إذا كنتم ترغبون حقاً في الصالح العام وخير البشرية والسلام الدائم.. وقد رأيتم كيف فشلت مبادئكم السياسية مراراً، وعجزت عن توطيد السلام في العالم.. فبالله عليكم تعلموا اليوم درساً، واتبعوا مبادئ الإسلام السياسية التي ترتبط بالتقوى، وجذورها في التقوى، وتنمو في ماء التقوى، وتزدهر وتتفتح بماء التقوى. لو أنكم اتبعت تلك المبادئ الإسلامية الثلاثة التي ذكرتها.. فهي الوسيلة الوحيدة الأكيدة ليكون في العالم سلام دائم. وإن لم تفعلوا ذلك فإن قوى الطغيان والعدوان.. في الغرب كانت أو في الشرق، في أمريكا التي ألقت القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي.. أو في اليابان التي ضربت أمثلة مدهشة من القسوة الرهيبة في إندونيسيا؛ أؤكد لكم إذا بقيت مقاصدها كما كانت مقاصد الساسة في كل الأزمنة قائمة على الأثرة بدلاً من مكارم الأخلاق، فلن يكون بوسعها أبداً تحقيق السلام للعالم. لا بد للدول العظمى أولاً أن يقتلوا الذئاب الكامنة في غابات نواياهم. إن لم تفعلوا ذلك فلن تستطيعوا بتدمير خير قوات صدام حسين ضمان توطيد السلام في العالم. وحتى لو مزقتم العراق إرباً فلن يكون بوسعكم ضمان استقرار السلام في الدنيا. إن الذئاب تكمن في نوايا الإنسان لتدميره. وما دام الإنسان لا يقتل هذه الذئاب ولا يعزم على البناء فوق أساس من العدالة.. فلا ضمان هناك للسلام العالمي.

وهنا يبرز أهم سؤال: إذا كان العالم الإسلامي نفسه لا يقبلون العدالة كما يقدمها القرآن ولا يطبقون بالعمل نظام العدالة الإسلامية في بلادهم.. وما داموا لا يُقيمون مفاهيمهم على العدالة.. فكيف يدعون العالم إلى عدالة الإسلام؟ هذا محال. فما دام العالم الإسلامي لا يقوم بنفسه على العدالة.. أي لا يقوم على مفهوم العدالة القرآني.. فلن يستطيع منح السلام للعالم، ولن يمكن أن يتوقع السلام من العالم. هناك أمور بغیضة تجري في دنيا المسلمين تدل على عدم الإخلاص والوفاء للإسلام. وبدلاً من فهم تعاليم العدل في الإسلام وتقبّلها والعمل بمقتضاها.. فإنهم يعرضون الإسلام أمام العالم على أنه دين لا يمت إلى العدالة بصلة ما.

أعظم اللوم على المشائخ و الساسة

وإن أعظم اللوم في هذا يقع على عاتق المشائخ المتعصبين والساسة. ذلك لأن مكائد كلا الفئتين تهدف القضاء على نظام العدل الإسلامي. إنهم يتصرفون طبقاً لمفاهيم ثلاثة، وينسبونها للإسلام بما يرسم للإسلام أمام العالم الخارجي صورة وحشية شوهاء؛ ويختفي بها السلام من كل بلد مسلم.

أول هذه المفاهيم الثلاثة أن استخدام السيف في نشر الإسلام عمل شرعي، بل هو ضروري، وأن تغيير المعتقدات بقوة السيف يسمّى جهاداً إسلامياً. وفي الوقت نفسه يقولون إن هذا الحق للمسلمين وحدهم، فلا يملك النصراني أو اليهود أو الهندوس أو البوذيين حق تغيير عقيدة أي مسلم.. لأن الله تعالى أعطى هذا الحق للمسلمين وحدهم! ألا ما أظلم وما أجهل هذه الفكرة! ومع ذلك فهي منتشرة في أنحاء العالم باسم الإسلام!

والمفهوم الثاني أنه لو دخل أحد من غير المسلمين في الإسلام.. فليس لأحد حق عقابه بالموت. كل إنسان في أي

مكان من العالم.. يستطيع التحلي عن عقيدته والدخول في دين الإسلام، وليس لأتباع أي دين الحق في قتل من دخل منهم في الإسلام. أمّا إذا دخل مسلم في دين آخر.. فمن حق كل مسلم في العالم أن يقتله! هذا هو المبدأ الثاني "للعدالة الإسلامية" كما يصوره حملة لواء الإسلام هؤلاء أمام العالم.. باسم الله والقرآن!

والمفهوم الثالث أن من واجب الحكومة المسلمة أن تفرض الشريعة الإسلامية حتى على المواطنين الذين لا يؤمنون بالإسلام، ولكن لا يحق للديانات الأخرى فرض شريعتهم على المسلمين. وبناءً على هذا المفهوم.. ليس لليهود الحق في معاملة المسلمين بما هو وارد في التلمود، ولا يجوز للهندوس معاملة المسلمين بالمبادئ المقررة في كتابهم. هذه هي فكرتهم الثالثة عن العدالة وهذه أمثلة ثلاثة فقط، ولكن الواقع أنك لو تفكرتم أكثر.. ستجدون أموراً كثيرة يُعرض فيها مفهوم الإسلام.. على يد مشائخ اليوم.. عرضاً يُناقض مبادئ العدالة الناصعة الواضحة في القرآن الكريم.. التي ترفض فكرهم. وإن أكثر الأسلحة استخداماً ضد الإسلام في عالم اليوم.. هي تلك المبادئ الثلاثة التي تأسست مصانعها في بلاد المسلمين. وهذه المبادئ التي صاغها المشائخ.. يعرضها اليهود اليوم بنجاح عظيم.. في دنيا الغرب وفي سائر أنحاء العالم، ويقولون: كيف تتوقعون السلام أو تتوقع السلام من هؤلاء الناس. إن أفكارهم عن العدل أفكار المجانين، وليس بها أثر للعقل. يعطون كل الحقوق للمسلمين كي يتحكموا في العالم ويحرمون غير المسلمين من كل حق!

لو أن هذه المبادئ، معاذ الله، هي المبادئ القرآنية لَحُقَّ للعالم أن يكرها، ويعتبر المسلمين خطراً على سلام العالم.

لا يكفي إذن أن نشكو غير المسلمين بسبب التجاوزات التي ارتكبوها ضدنا، بل يجب أن ننظر في داخلنا أيضاً.. ونرى لماذا تُرتكب التجاوزات، ولماذا يستخدم العدو الماكر ضدنا أسلحة صنعها المسلمون بأيديهم؟ الحق أنه أنشئت في بلاد المسلمين مصانع لأشدّ الأسلحة فتكا بالإسلام، يديرها المشائخ، وتصدّر هذه الأسلحة بكميات كبيرة إلى البلاد المعارضة، ثم تستعمل نفس الأسلحة ضدّ عالم الإسلام.

تنقصهم الشجاعة

أرى أن ساسة المسلمين يستحقون قدراً كبيراً من اللوم على هذا.. لأنهم لم يقوموا بأي محاولة من جانبهم لفهم الإسلام، وتخلّوا عن هذه المسؤولية للمشائخ، واعتقدوا أن أي صورة يرسمها المشائخ للإسلام صحيحة. ولقد رفضت ضمائرهم وعقولهم المتنيرة هذه الصور، ولكن تنقصهم الشجاعة لمعارضة هذه المفاهيم.. بالرغم من اعتبارهم إياها غير إسلامية. هذا الخلط السيكولوجي جعل من السياسة الإسلامية مريضاً منافقاً ذا وجهين. لقد ترك الساسة عامة الناس في عهدة هؤلاء المشائخ.. الذين يرجع فكرهم إلى عصور الظلام في القرون الوسطى، ولا يستمدون فكرهم من أنوار العصر المشرق.. عصر النبي الكريم.. سيدنا محمد المصطفى ﷺ. ثم خوفاً من نفوذهم، لا تواتي السياسيين الشجاعة ليقولوا صراحة بأن هذه المفاهيم خاطئة، لأنهم أنفسهم يعتبرونها أمام الناس من مبادئ الإسلام. والآن حان الوقت لتفكيك هذه الحكومات، ويصحو عالم الإسلام الذي انقسم إلى اثنين: عالم السياسة في ناحية، وعالم الفكر الديني في ناحية أخرى، وهما في صراع مستمر. وهذا وجه ثانٍ خطير، بسببه

يواجه عالم الإسلام خطراً داخلياً، ولا بدّ من اجتثاث هذا الخطر من جذوره. فهناك حاجة عاجلة لذلك وإلا لن يستطيع العالم الإسلامي أن يؤدي دوراً في خلق النظام العالمي الجديد.

يجب أن تعلن الحكومات الإسلامية، بكلمات واضحة مؤكدة، أولاً، أنّ كل مفهوم يتعارض مع نظام العدالة القرآني لا يمكن أن يسمى إسلامياً. وأنتم لا تحتاجون إلى دليل أعظم من أنّه معارض للقرآن. عليكم أن تتحدّوا المشائخ مراراً وتكراراً.. أن تعالوا وناقسوا هنا في هذا الميدان.. نحن نعلن أنّ نظام العدالة في القرآن واضح بين لا خلط فيه، وهو نظام عالمي وليس قومياً. إذا لم يكن عالمياً لا يصلح لأن يكون نظاماً للعدالة. إنّ نظام عالمي مطلق. يجب أن تقروا أولاً إذا ما كان الأمر كذلك أم لا. فإن كان كذلك.. لزم الموافقة على أنّ كل مفهوم يتعارض مع القرآن الكريم غير إسلامي.

وثانياً يلزم إعلان أنّ كلّ من يعزو فكرة جائزة للإسلام متغطرسٌ على القرآن الكريم؛ وأنّ كلّ من ينسب إلى الحديث النبوي الشريف معنى يتعارض مع مفهوم القرآن الكريم يرتكب إهانة للحديث النبوي الشريف. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تسوية التضارب الداخلي في عالم الإسلام. إذا كانت لديكم الشجاعة لقول الحق وقول العدل.. إذا كان فيكم حبّ للإسلام ولأمّته.. فمن واجبكم أن تبدؤوا الجهاد أولاً في هذا الميدان لمؤازرة الإسلام. وإذا فشلتم في كسب هذه المعركة فلن تفوزوا في أي ميدان آخر.

سياسة النفاق

مع أنّ المشاكل تزول مؤقتاً بسبب سياسة النفاق، ولكنّ الكارثة لا تزال تحلّق فوق رؤوسنا. نرى ذلك يحدث في الإسلام مراراً، فكلّما تعرّض عالم الإسلام لخطرٍ من أي اتجاه.. تأخذ الملاوية أو كهنوت المشائخ في الازدهار ويشرع الملا (أو الشيخ المتعصب) في التغلغل داخل العقول. وعندئذ تبدأ أخطار ثورة التطرف في التحليق فوق الرؤوس. وتستمر هذه العملية وتزداد شدة. وإذا لم توقف هذه العملية بالحكمة وفي الوقت المناسب، وإذا لم يتوطد الانسجام بين تفكير عامة الناس وتفكير السياسة.. ومن وجهتي النظر الدينية والسياسية كليهما.. فإنّ بلاد المسلمين ستبقى دائماً ضعيفة. ولن تزال تعاني من الزلازل بسبب الصراعات الداخلية ولن تنعم بالاستقرار.

إنّهم بحاجة إلى اتخاذ قرارات واضحة، نعم! بحاجة إلى هذه القرارات الواضحة اليوم، لأنّ الوقت ينفلت من أيدينا مسرعاً، ولن يعاملنا بالعطف أكثر من ذلك. كم من مرة عاقبنا؟ وكم من مرة أخزانا وأذلنا؟ إذا لم تصحوا اليوم فلن تقوموا أبداً. لذلك هبوا وأفيقوا، واتخذوا القرار.. موقنين أنّ الله تعالى يراقبكم، هل سترفعون صوت الحق لمنصرة الحق، وهل ستشرعون في جهاد الفكر.. الذي يسمح به القرآن الكريم بل ويؤجبه عليكم؟

فقدان الانسجام

هذه هي المخاطر التي تمنع الديمقراطية الحقّة أن تجد لها طريقاً إلى أي بلد إسلامي. يتحدّثون عن الديمقراطية.. وليس لديهم أية ترتيبات فعالة لتعليم العوام من أجل الديمقراطية، بل ويعدونهم من فكرهم السياسي وفكرهم الديني، ومع ذلك تبحث الفئة الحاكمة عن الأصوات الانتخابية باسم الجمهور، ثمّ تتلوّن وتتخذ لنفسها شخصية أخرى.

إنّ البلاد التي ليس فيها انسجام بين التفكير السياسي والنظرة الدينية للحكام والجمهور.. لو تدخلها الديمقراطية، فلن تخلق فيها إلا حكاما مستبدين، ولن تستطيع أن تجد حكاما ديمقراطيين، بل وكثيرا ما يحدث في العالم من خلال الجهود الديمقراطية ولادة حكام دكتاتوريين. وما هو أشدّ خطرا كون الحاكم المسلم يخشى دائما من تحريض المشائخ للجمهور ضده باسم الإسلام، حتى لا يترتب عليه ثورة الجماهير، مما يجعله يتجه إلى الدكتاتورية ويبالغ في استعمال القوة. ولما كان الذين يتعرضون للأعمال العدوانية بأيدي الحكام هم من الصادقين ومحبي الخير للإسلام في رأي الجماهير لذلك تنمو مشاعر الكراهية لديهم يوما بعد يوم.. فيؤيدون الملات ويُعارضون السياسة باستمرار.

فهي ليست إذن مشكلة واحدة، بل هي مشكلة ذات فروع عديدة. وثمة حل واحد لكل هذه المشاكل، ذلك الذي ذكرته آنفا.. من وجوب الاستمسك المحكم بنظام العدالة القرآني، كما يمسك بالعروة الوثقى.. وهي المتينة المأمونة، والتي لم يقدر لها أن تنحل أبدا. ذلك هو حبل الله جلّ وعلا.. الذي مدّه سيدنا محمد المصطفى ﷺ لغرس السلام بين أمم العالم. ولو تخيلتم عن هذا الحبل لن تجدوا سلاما في العالم. فاستمسكوا به بإحكام، وادعوا كلّ شعوب الدنيا التي تبحث عن السلام لتمسك معكم بنفس العروة الوثقى.

كل حروب المسلمين جهاد!!

والشيء الثاني الغريب.. ادّعاء السياسيين بأنهم يجاهدون جهادا إسلاميا، ويعلنون ذلك على رؤوس الأشهاد، ولكنهم في نفس الوقت لا يقبلون في الواقع بالمبادئ الثلاثة التي يقدمها المشائخ. وهذه جريمة السياسة الثانية. فعلى الرغم من معرفتهم بأنّ نظام العدالة الإسلامي لا يقرّ مثل هذه الحروب التي يزعم المشائخ أنّها جهاد.. فكلمّا يتعرض البلد للتهديد، وتوشك حرب سياسية أن تنشب، فإنّ السياسة يتبعون نداءاتهم، ويدعون الناس باسم الجهاد. ونتيجة لذلك تزداد الدنيا كراهة للمسلمين أكثر وأكثر، وتوقن أنّ هؤلاء السياسة يقولون في الظاهر بأنّ الجهاد الإسلامي لا يعني أبدا نشر العقائد بحدّ السيف، ولا يعني أن يستعمل اسم الله في كلّ حرب.. ولكنهم عند الضرورة يستعينون دائما بهذا المفهوم الخاطيء، ويتكرر هذا في كلّ مكان. بعد العصر النبوي المبارك لسيدنا رسول الله ﷺ.. لو أنّكم نظرتم إلى حروب المسلمين لانهشتم برؤية أنّها جميعا كانت جهادا مقدّسا! لم يحارب المسلمون معركة واحدة.. سواء أكانت مع غيرهم أو مع أنفسهم، وسواء أكانت بين أهل السنة والشيعة.. إلا كانت عند مشائخ ذلك العصر وساسته جهادا مقدّسا! من العجيب حقا أنّ المسلمين لا يواجهون حربا إلا بالجهاد! كلّ الأمم في أنحاء الأرض يدخلون حروبا سياسية، ويواجهون كلّ أنواع الحروب.. ولكنّ المسلمين ليس لديهم إلا الجهاد! وفي تاريخ هذا الجهاد قاتل الجانب الأكبر من المسلمين بعضهم بعضا، وقتل كلّ منهما الآخر باسم الجهاد. ولقد اتّخذت هذه الأضحوة صورة محنة رهيبة يجب أن تتوقف الآن. إذا نظرتم إلى الأمر بعين الدنيا.. لوجدتم أنّ هذا المفهوم هو أشدّ ما يبعث على السخرية والاستهزاء في الوقت الحاضر، ولكنهم ينسبونّه إلى الإسلام. ولو أنّكم نظرتم إليه بنظرة نابعة من قلب مسلم لوجدتم أنّه أشدّ العذاب إيلا ما ورعبا، وأنّه لم يزل يطاردنا منذ ١٣ قرنا.

فإذا أرادوا تبديل مصيرهم ونصيبهم فعليهم إحداث تغييرات صالحة في فكرهم واهتمامهم وأفعالهم. وما لم يحدثوا التغييرات الثورية على النفوس والتفكير.. فلن تكون بهم قدرة على إحداث تغييرات ثورية في العالم.

أعدّوا لهم

والأدهى من ذلك أنهم رغم إيمانهم بفكرة الجهاد.. لا يعدّون لها شيئاً، في حين أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٦١).. أي يا أيها المسلمون، جهّزوا أنفسكم واستعدّوا في كلّ وقت بكلّ ما يلزم للدفاع ضدّ كلّ عدو يهاجمكم. كونوا مستعدين من كافة الوجوه، وفي شتّى الميادين.. حتّى تثبتوا الرعب في قلوب أعدائكم القريين والبعيدين، فلا يتجاسروا على مهاجمتكم مرة أخرى. إنهم ليسوا أعداء لكم وحدكم، وإنّما هم أعداء الله أيضاً. قد تجهلون أعداءكم، ولكنّ الله لا يجهل أعداءه أبداً. وحتّى في مثل هذه الحالات التي تجهلون فيها أعداءكم، لو عملتم بأمره وجهّزتم أنفسكم، وآمنتم به من صميم قلوبكم وأرواحكم.. فإنّ الله تعالى يبشركم بستر جهلكم، ويحميكم من هجمات أعدائكم.

هذه هي مسؤوليات المسلمين بعد الإيمان بفكرة الجهاد الإسلامي، وبعد العزم على العمل طبقاً له.. وبحسب تعاليم القرآن المجيد. فأين الذين هم يعملون بها؟ وإنّما الموقف الآن في بلاد الإسلام.. أنّهم يعتمدون في تسليحهم على البلاد الأخرى.. البلاد التي يعلنون الجهاد ضدّها! يعتمدون على بلاد الغرب والشرق.. التي يرميها المسلمون بالوثنية وعبادة الأصنام، والبعد عن الله تعالى، والعداوة لله، والظلم والقسوة، كما يعلنون أنّهم مأمورون بمحاربتهم.. ثمّ بعد ذلك يمدّون إليهم يد الاستجداء ليزودّوهم بالصواريخ والسفن الحربية والطائرات والمدافع والدبابات وغيرها من صنوف الذخائر والمعدّات الحربية! هذا منتهى السذاجة، كما يقول الشاعر ما تعريبه: من ذا الذي لا يضحي بروحه على سذاجة حبيبي،

فهو يقاتل ولا سيف في يده..!

نصيحتي للعالم الإسلامي

هذه البساطة الذي يذكرها الشاعر يمكن تفهمها، ولكن سذاجتكم أشدّ حماقة وغباء. أولئك الذين تعلنون أنّهم أعداؤكم، وتحدّوهم، وتقولون إنّ تعاليم دينكم تأمركم أن تفعلوا كذا وكذا بهم حتى آخر قطرة من دمائكم.. تتوجّهون إليهم بيد ممدودة وتقولون: ليس لدينا سلاح.. فأعطونا من فضلكم سلاحاً نقتلكم به! آية حماقة أسوأ من هذه؟ إذا عزمت أمة على أن تدمّر مصالحها بأيديها.. فمن سيأتي إلى مساعدتها؟ وكيف يعينها أحد؟ إنّ الله تبارك وتعالى لا ينصر مثل هذه الأمة. يقول جلّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: ١٢). فالله لا يعين أمة، ولا يخلق تغييراً فيهم إلا إذا يغيّروا هم ما بأنفسهم. والآية تحمل المعنيين.. فالذين لا يبدلون النعم التي أنعم الله عليهم يحفظ الله لهم نعمهم من الضياع، أو أنّ الأمم التي لا تسعى لكي تصوغ قدرها ولا تحاول تغيير موقفها.. لن يبدل الله حالها.

فنصيحتي لعالم الإسلام: يجب أولاً أن تعودوا إلى الإسلام، وتتحجّوا إلى مبادئه الأبدية العالمية. وعندئذ ترون كيف

تنزل عليكم نعم الله تعالى من كل حذب وصوب.

اهتموا بالعلوم والفنون

ونصيحتي الثانية أن تهتموا بالعلوم والفنون. لقد قضيتم في الهتاف بالشعارات قرونا، وطالما جعلتم في قصائدكم بغاث الطير تقاتل الصقور، في حين أن الصقور كانت دائما تنقض عليكم، ولم تستطيعوا عمل شيء، وأما غيركم من الأمم فلم تتوقف عن التقدم في العلوم والفنون، وتتغلب عليكم في ميادين العلم والتكنولوجيا، وتتفوق عليكم بكل سبيل. تفكرون في قتالهم.. ولا تحاولون اقتناء أسلحتهم التي يستخدمونها ضدكم بنجاح.. مع أن الالتفات إلى العلوم والفنون له أقصى درجات الأهمية. لا تلعبوا بعواطف الطلاب المسلمين ولا تدفعوا بهم إلى الطرقات ليتقاتلوا وليعتادوا على لغة الشتائم. لا تعملوا على تدمير أخلاقياتهم، ولا تعملوا للقضاء على معارفهم. لا تجعلوهم يواجهون عصى الشرطة وقذائفهم. فتتحطم أجسادهم، وتداس كرامتهم. إنكم تحرضون الشباب المسلم وتشيروهم ليخرجوا إلى الشوارع باسم الإسلام، وهناك يتعرضون للمهانة والإذلال بالضرب وطلقات الرصاص.. وهم لا يعلمون لماذا يفعل بهم ذلك. بدلا من التلاعب بعواطفهم علموهم الاعتماد على النفس، وعلموهم الأخلاق، ودرّبوهم على ضبط النفس، وأخبروهم أنّكم إذا أردتم تبوأ مكان بين الأمم.. فلا بدّ من أن يكون لكم مكان في دنيا المعارف والفضائل؛ وبدونها لن تستطيعوا اكتساب مكان مرموق.

لعنة الاستجداء

أمّا عن حالهم من حيث الاستقرار الاقتصادي.. فباستثناء القلة من البلاد البترولية ذات الثروات الهائلة.. جميعهم ومعهم بلاد العالم الثالث الأخرى.. يمدون أكفّ الاستجداء إلى البلاد الغنية؛ وهي نفس البلاد التي يشكون من تجاوزاتها، وينشرون تعاليم الكراهية ضدها، ويقولون للعامة أنّ هذه الأمم جاءت لتستعبدنا وينبغي الثأر منهم.. وبهذا أيضا يخلقون تعارضا. في السعودية أو الكويت يرى العامة أنّ من يؤيد بريطانيا يستحق القتل، وكلمة أمريكا يعتبرونها سبابا. ومع ذلك فالأمة كلّها مباحة لهم، ودفعوا العربون ولا أحد يدري! فالبلاد الفقيرة منّا تحوّلت إلى شحاذين، والبلاد الثرية منّا تعتمد كلية على أعدائها. فما أشدّها من حال تثير الحزن! فالفقير والغني سواء في عدم القدرة على العيش إلا بالاستجداء، ولا يستطيع التنفس باحترام وحرية!

فإنّ أشدّ الأخطار التي تواجه العالم الإسلامي وبلاد العالم الثالث هو ما بهم من خزي نفسي. لماذا لا يدركون أنّ المتسوّل لا يمكن أن يعيش حرّاً؟ إذا قبلتم بحياة الاستجداء فسوف تقاسون دائما من العار والمذلة. قد لا تكون لدى الشعوب الأخرى تعاليم تحرّم التسوّل، ولكن بم تجيبون الله ورسوله يوم الحساب؟ ماذا تقولون عندما تشهد عليكم آيات القرآن ومنها قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١١). فأنتم يا أمة محمد ﷺ خير أمة أقامها الله تعالى لخير البشرية جمعاء. ماذا تقولون وتوجيهات الرسول ﷺ تشهد عليكم؟ ومنها قوله ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى" (البخاري، كتاب الزكاة). فاليد التي تبذل وتعطي خير من اليد التي تستجدي. لقد تخلّيتم عن خصائصكم للأغيار، وأمسيتم شحاذين تتلقون الصدقات.. حتى يتباهى ساستكم أمام الناس بأنّ أمريكا وافقت على منحة كذا وكذا، وأنّ السعودية قدّمت لنا كيت وكيت عوضا عمّا لم تؤته

أمريكا. إذا كانت دماء الاستجداء تجري في عروقكم فكيف تسيرون أمام العالم برؤوس مرفوعة؟ لقد اعتدت الحياة على قصائد الشعر وتقدّسون إقبال الذي يقول (ما تعريبه):
أيها الطير الذي قدر له الطيران إلى الله..
الموت خير لك من الطعام الذي يمنعك من الطيران.

سياسة عدم الحياء

في الإذاعات ينشد المغنّون هذه الكلمات بصوت قوي، وتملّك المسلمين النشوة لسماع أنّ الموت خير من هذا العيش.. ولكنهم من الناحية العملية يفضلون هذا الطعام الذي يقيدهم بأصفاة العبودية على كلّ صنوف الموت. لا يقبلون موت التضحية من أجل أنفسهم. حديث الطيران هذا من أحاديث الماضي، أمّا الآن فالانقضاء على كلّ حبة تحت فح التسوّل هو التحليق في أجواء الفضاء! فمن أعظم قدرًا من السياسي الذي ذهب إلى أمريكا ومعه كيس الشحاذة، فجمع الإحسان منهم! ثمّ ذهب إلى الصين فنال منهم المال، ثمّ ذهب إلى روسيا وأخذ منهم الصدقات؟ هذا في نظرهم هو المحك الذي يدلّ على التمكن من السياسة العليا! وهذا هو المقياس الذي يشير إلى علو كعبهم في السياسة! ولكنّ هذا الصنف من السياسة ليست سياسة دينية، وليست سياسة إسلامية، وبلى وليست سياسة إنسانية! إنّها سياسة عدم الحياء. ولقد صدق إقبال في قوله: إنّ الموت خير من الطعام الذي يقيد الأيدي والسيقان. لقد أخزيتهم وأذلتهم أنفسهم، ولم تُخلصوا للشعوب التي جعلتكم قادة لها، وما زلتهم تخونون أممكم، وأنتم المسؤولون عن استرقاقهم على أيدي القوى العظمى. أيها الساسة المسلمون.. أفيقوا وتوبوا.. وإلا دخلتم قفص المجرمين أمام محكمة التاريخ. وفوق ذلك كله سوف تقفون بين المجرمين أمام محكمة الله ورسوله يوم القيامة.

وثمة ضرر آخر عظيم لذلك.. فالأمّة التي تتعوّد على الاستجداء لا يمكن لها أن تحسّن حالها الاقتصادي، لأنّ سيكولوجية الأمم كالأفراد. انظروا حولكم تجدوا الذين اعتادوا التسوّل يركنون إلى حياة الراحة والدعة، ولا يتوقفون عن الاستجداء، ولذلك شاهد النبي ﷺ المتسولين في حال تلتصق جلودهم بعظامهم الخالية من لحم؛ ومعنى ذلك أنّهم لا يستطيعون ملء بيوتهم عن طريق الاستجداء. الشحاذ يبقى دائما خالي الوفاض، ولا يؤتى العزيمة والهمة لبناء اقتصاد ثابت. وما دامت الأمم لا تعقد العزم على الوقوف معتمدة على سيقانها فلا يمكن لها أن تحرز تقدماً اقتصاديا أو تحقق استقرارا.

لذلك أهيب لا بالمسلمين فقط، بل أيضا ببلاد الشرق وأفريقيا وجنوب أمريكا.. لوجه الله الكريم.. أن يستعيدوا حواسّهم ومداركهم، ويعزموا على تغيير مصائرهم بأنفسهم. لقد انقضى عليكم زمن طويل في المذلة والعار، فاخرجوا بالله عليكم من هذا الكابوس المزعج. إنّ النظام العالمي الجديد مفهوم عجيب، وهو لأعدائكم وللقوى العظمى، ولكنه أسوأ كابوس للبلاد الفقيرة من العالم الثالث. إذا كان عليكم أن تشيدوا نظاما عالميا جديدا.. فلتشرعوا فوراً في صوغ أحلامكم وتفسيرها، وتعملوا على تحويل الأحلام إلى أفعال.

انتهجوا حياة البساطة

لا يمكن لأمة في العالم أن تحقق حريتها بدون تقدم اقتصادي. وأول خطوة لذلك تكون في صون الكرامة الذاتية واحترام النفس. ولا يتحقق ذلك إلا إذا نصحوا شعوبهم في العالم الثالث بانتهاج حياة البساطة، وبدؤوا حركة تدعو للحياة البسيطة. المشكلة أن الفوارق بين الطبقات العليا والدنيا تتسع في بلاد العالم الثالث، ولكنها تضيق بين الطبقات في البلاد التي يسمونها رأسمالية، وتتجه مستويات الحياة فيها نحو التقارب. أما في البلاد الفقيرة في آسيا وأفريقيا وجنوب أمريكا فتتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء. من الضروري أن تزول هذه الفوارق الواسعة. وذلك عن طريق النصح والتوجيه أولاً، ثم بمساعدة التشريعات التي تقلل المسافة بينهما. ولفلاح هذه الدعوة ينبغي أن تبدأ من القمة، وبدون ذلك لن تنجح أبداً. وأولئك الذين بيدهم مقاليد السلطة.. عليهم أن يبدأوا حركة التقشف وحياة البساطة، وأن يمارسوها بأنفسهم، ويكونوا قدوة للشعوب.

نكتة حكمة

ينبغي أن يضعوا نصب أعينهم مبدأ ثانياً هاماً.. ذلك هو اتباع سياستين لذلك وليس سياسة واحدة، الأولى محاولة رفع مستوى حياة الفقراء وتوجيه الثروة بقدر الإمكان نحو هذا الهدف. والسياسة الثانية تخفيض مستوى حياة الأغنياء. تذكروا أن هذه النقطة تنطوي على حكمة عظيمة، لأن التوزيع الجائر للثروة لا يؤدي بقدر ما يؤدي الإنفاق المسرف الظالم. فالأثرياء الذين يستثمرون أموالهم في تشييد المصانع ويخدمون تقدم الاقتصاد، وفي نفس الوقت ينتهجون أسلوب البساطة في حياتهم.. لا يمكن أن تقوم ضدّهم حركة كراهية، لأنهم في واقع الأمر يخدمون بلادهم. أما الذين دخلهم أقلّ ولكنهم يسرفون في النفقة.. ينهار نظامهم الأخلاقي، ويكونون سبباً لإثارة الكراهية في القلوب. هناك قلة من أصحاب المصانع والتجار والأغنياء، ولكن معظم أولئك الذين اعتادوا على حياة الترف والفخامة هم من السياسيين الذين تهرأت سياستهم كما لو أكلها السوس. يستغلون السياسة لكسب المال، وإحداث النزاعات، وإرهاب الفقراء، والانتقام من الخصوم.. كما لو أن السياسة تتجه نحو تلك الأمور التي لم تخلق لها. ونتيجة لذلك باتوا جاهلين بالأمور الهامة للبلاد. لم يعد لديهم وقت للتفكير في ذلك، وإنما يتجه تيار تفكيرهم في مجموعه نحو اتجاه واحد.. هو توطيد نفوذهم والانتقام من خصومهم وكنز أكبر قدر ممكن من الثروة.. ولسان حالهم يقول حياة السياسة قصيرة، ومن يدري ماذا يحدث غداً، فلنكسب اليوم بقدر ما نستطيع، ولا مانع من بيع شرفنا أو شراء الأصوات. عندما يمكن أن يكون كل شيء في السياسة مشروعاً.. كيف يمكن للسياسة المحافظة على مصالح الأمة؟ وفي مثل هذه المواقف يلعب مستوى الحياة الزائف أشدّ الأدوار ظلماً. والأمم التي يميل فيها الناس إلى إنفاق أكثر من طاقتهم على الإنتاج يصبحون متسولين، وتتلوث أيضاً سياستهم، ويتحطم اقتصادهم، ولا يبقى لديهم شيء.

الغراب دليل قوم!

فيمن سوف تؤثر هذه النصيحة؟ أي آذان ستسمع؟ أي قلوب سوف تستثار وتتحرك لعمل شيء؟ إذا كان أساس السياسة والأخلاق والاقتصاد جميعها يهتز؛ إذا صارت المفاهيم ملتوية، إذا صارت النوايا شريرة، فلا يمكن أن

يحدث تغييراً صالحاً. ففي الوقت الذي أبذل فيه نصحي للدول الغنية أن بالله عليكم احفظوا نواياكم.. فإن الشياطين تكمن فيها، ومن نواياكم يخرج قرار دمار العالم، ولا يستطيع فكركم السياسي أن يتغلب على نواياكم، بل يتجه إلى مساندة، أنصح بالمثل المسلمين والعالم الثالث أن بالله عليكم افحصوا نواياكم واختبروها. فإذا درست الهندسة من الصغر بنيت أكل الرشوة لبناء القصور كما فعل الجيران أو غيرهم.. فبهذه النية لن تبني شيئاً. وإذا أردت أن تكون طبيياً بقصد تكديس الثروة وجمع المال وتشييد المستشفيات الفخمة، حتى تترك لأبنائك ثروة ضخمة.. فأنت بنفسك فريسة للمرض. أيها الطبيب عالج نفسك، وخير لك أن تموت من أن تعيش طبيياً بهذا الوصف. إن من يدرس الطب ولا يقصد به خير الناس ومصالحهم لن تُبارك معارفه. وفي اللحظة التي تحلم بأن السياسي الفلاني أصبح ذا نفوذ وسلطة، وقد كان من قبل موظفاً مسكيناً، فاستقال من عمله واشتغل بالسياسة وصار مليونيراً ذا مركز وسلطان، فلنتأس به ولنكن مثله.. في نفس اللحظة تكون قد عزمت على تدمير السياسة. وإذ قدر لك أن تكون قائد دولة فلسوف ينطبق عليك قول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قومٍ سيهديهم طريق الهالكينا

روح السياسة الإسلامية

لذلك يجب عليك إصلاح نواياك؛ ما فات قد فات، وفي المستقبل تفي بحقوق الزعامة لأمتك، وتؤدي واجبات القيادة كما أداها سيدنا محمد المصطفى ﷺ للعالم كله. هذا هو السبيل الوحيد لأداء واجبات القيادة، ولا سبيل سواه. عندما كان سيدنا عمر على فراش الموت، وقد اقتربت لحظاته الأخيرة، وأوشك على لفظ أنفاسه.. أخذ يتضرع باكياً باضطراب وهيجان شديدين.. ليتني أخرج منها لا لي ولا عليّ. يعني: اللهم إن كنت فعلتُ خيراً في حياتي فلن أطلب بثوابه، ولكن لا تحاسبني يا ربّ على أخطائي.. فلا طاقة لي بذلك.

هذه هي روح السياسة الإسلامية، وهذه هي الروح المطلوبة للمسلمين ولغير المسلمين اليوم. إن حل المشاكل الراهنة كلها يتطلب إعادة إحياء هذه الروح السياسية وعندئذ تدب الحياة في الإنسانية الميتة. إذا عاشت هذه الروح ماتت الحروب، إذا ماتت هذه الروح عاشت الحروب، ولن تستطيع قوة وقفها.

أحاول إنهاء الموضوع كله اليوم، ولكن الوقت قد تأخر، وعندني مزيد من النصح يتطلب وقتاً طويلاً حتى وإن أوجزته. لذلك أتوقف هنا وأملّي كبير أن ننهي الموضوع في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وبعدها نعود إلى الجهاد الأكبر.. ألا وهو ذكر الله جلّ علاه. وسوف نحاول تفهم المعاني العليا للإيمان، والغوص إلى قرار المعرفة الدينية العميقة، كي نلج شهر رمضان بإيمان كامل، بعد أن نكون طهرنا قلوبنا وأرواحنا تماماً، ونملأ جيوبنا بقدر ما نستطيع من نعم وبركات شهر رمضان. اللهم حقق لنا هذا. آمين!

أول مارس ١٩٩١

"إيدز" العالم الثالث

بدأت حرب الخليج يوم ١٦ كانون الثاني/يناير ١٩٩١، وانتهت في ليلة رهيبة يوم ٢٦ شباط/فبراير ١٩٩١. كانت ليلة حزينة مرعبة لا نظير لها في الحروب الحالية الحديثة بين البشر. كان القصف شديداً على الجيوش العراقية العائدة من الكويت، وكان الضرب عنيفا طول الليل على بغداد، بحيث لا أجد مطلقاً فيما درست من تاريخ الحروب الحديثة مثيلاً لهذا القصف.. من جانب واحد.. بهذه الدرجة من الفظاعة والوحشية في أي حرب من الحروب.

ليلة خمرة.. وغولان

يقول المراقبون عن الجيوش المنسحبة من الكويت في اتجاه البصرة.. أنها كانت هدفاً لقصف جوي شديد حتى تغطت الطريق من الكويت إلى البصرة بجنث القتلى المبعثرة، وحطام السيارات واللوريات وحاملات الجنود وغيرها من وسائل النقل المنتشرة في كل مكان. كان الدمار مشهداً مفرعاً يتعذر على الإنسان احتمالها. هكذا كان تعليق المراقبين الغربيين. كان صوت المراقب يرتجف بين الحين والآخر وهو يصف مشهد قصف بغداد؛ ويقول: لا يستطيع المرء تصور مدى القصف الرهيب الذي يجري الليلة.

وقد سبق أن ذكرت لكم أموراً حول ذلك، منها أن ما جرى كان شبحاً لمذلتهم في فيتنام الذي يسيطر على أمريكا كشعور بالنقص أو الدونية، ويريدون طرد هذا الشبح بطريقة أو أخرى. وبدأت تلك الليلة بالنسبة لهم ليلة خمر، احتسوا فيها دماء العراقيين ليغرقوا فيها أحزانهم من عار فيتنام. ولقد ثبت صحة انطباعي هذا لأن تعليقات المستر بوش كانت هكذا تماماً عندما أعلن: لعمرى قد تخلصنا من أعراض فيتنام إلى الأبد! (Harrisburg Patriot News 2.3.1991, USA). ولكن الحقيقة ليست كما يظن، بل الحقيقة أن شبح حكايات فظائعهم كان يطاردهم، فخلقوا غولاً آخر من فظائع مشابهاة. فلم تعد المسألة غولاً واحداً.. وإنما غولان. هناك الآن شبحان سوف يطاردان أمريكا: عفريت فظائعهم في فيتنام، وعفريت ثانٍ لفظائعهم في العراق. ولكنهم لا يستطيعون رؤية هذا العفريت الآن.. لأنهم يفسرونه بطريقة تختلف عما يفسره به سائر العالم. إن العالم لا ينظر إلى مقتل ٥٤ ألف أمريكي في فيتنام شحنت جثثهم إلى وطنهم، ولكن العالم يرى مصرع مليونين ونصف مليون من أهل فيتنام. ومحو آلاف القرى والبلدان من على سطح البسيطة. عندما تتغير الصورة تتغير المشاهد. فغول فيتنام حيث قُتل من الأمريكان ٥٤ ألفاً، والذي كانوا يريدون الفرار منه، يحسبون أنهم قد تخلصوا منه في العراق حيث لم يخسروا هناك مثل خسائرهم في فيتنام، ولكن التاريخ لا ينظر إليه بهذه النظرة. وإنما نَظَرَ التاريخ إلى فيتنام وسيظلّ ناظراً إليها من زاوية أن أمريكا التي كانت ترتدي رداء المدينة في العصر الحديث هاجمت دولة فقيرة ضعيفة للغاية.. ظلماً وعدواناً، وما برحت تمطرها بشقّ الفظاعات لمدة ثماني سنوات ونصف. رموهم بالقنابل بدرجة فظيعة حتى زالت من الوجود قرى بعد قرى، وأقفرت من السكان مناطق بعد أخرى. ومن ثمّ لم يمكنهم أبداً نسيان ذكرى فيتنام.. لأن العالم لن ينساه، ويضاف إليه اليوم فظائعهم في العراق.

دمويتهم ضد العراق

ولقد لخص مستر توم كنج Tom King وزير الدفاع البريطاني أمام البرلمان ما حدث من دمار فيقول: في هذا الوقت القصير.. حولنا ثلاثة آلاف قرية عراقية إلى تراب. ويمكن بذلك تصور أولئك الذين كانوا يدعون بأنهم يحاربون لتحرير العراقيين المقهورين من براثن الطاغية القاسي، وكيف حولوا ٣ آلاف من القرى والمدن العراقية إلى تراب! وليس من الضروري هنا ذكر التفاصيل الأخرى، كم قُتل من جنود العراق، وكم حطموا من سلاح وعتاد. إن تحويل ٣ آلاف قرية إلى تراب في مثل هذا الوقت القصير حدث لم يقع مثله في التاريخ قط، ولم يمطر هذا القدر من الفظائع على أمة في مثل هذا الزمن القليل.. ومع ذلك فهم يتهجون بنصرهم! إنه لأمر مذهل، وإته بالغ الخزي والعار، وهو شبيه بترتيب مصارعة بين طفل أمريكي ومصارع ياباني من الوزن الثقيل "أنوكي".. فيضرب المصارع الطفل ويفتك به. ثم تُرفع هتافات عريضة يقولون فيها: انظروا، لقد انتصرت اليابان على أمريكا! تتحد ثلاثون دولة، وتتكاتف كل قوى العالم ضد العراق، ومعهم تفوق ساحق بكل أنواع من السلاح، ولهم اليد العليا في كل مجال، ثم يبترون يد العراق وأقدامه، ويخلعون أسنانه، وكما يفعل بالذبيحة، قطعوا أوصالهم، ثم يتباهون بما حققوه من تنكيل!

على أي حال، لقد أصبح ذلك كله من أمور الماضي، أما فيما يتعلق بما لهذا الحادث من عواقب رهيبية في المستقبل، فسوف أقدم بعض المقترحات للعرب وللمسلمين ولسائر أمم العالم، وبلاد العالم الثالث بصفة خاصة.. مثلما فعلت من قبل.

نصيحة للعرب

يجب على العرب أن يسووا نزاعاتهم الداخلية على الفور، ويشركوا معهم في هذا المجال إيران أيضاً، لأن هناك ثلاث خلافات إذا لم تحسم حالا.. لن يتمكن العرب من توحيد الكلمة أبداً في مسألة فلسطين. فأولاً: لإيران خصومة تاريخية مع العرب، كانت سبباً دفع السعودية والكويت إلى مساعدة العراق في حربه ضدها. وبالرغم مما بين العراق وبين السعودية والكويت من خلافات متبادلة.. إلا أنهما لم تطبقا أن تكون إيران لصيقة بهما.

وثانياً: هناك مشكلة ما بين السنة والشيعة. وللسعودية بازاء هذه المشكلة حساسية شديدة؛ ولا يطبقون نهضة الشيعة وبروزها مهما كان الثمن.

وثالثاً: هناك مشكلة الأكراد. وفيما يتعلق بتكتيك العدو الإسرائيلي.. فإنه أشد ما يكون رغبة في تفجر هذه المشاكل. عندما قاربت الحرب نهايتها.. أثاروا تمرداً شيعياً في جنوب العراق. وكان متوقفاً أن يشب الخلاف بين العرب وإيران نتيجة هذا التمرد الشيعي. وفعلاً لجأ مشايخ الشيعة إلى إيران يناشدون عونها. ولكن يبدو أن السعودية مارست ضغطاً شديداً في هذا الصدد، وإن لم يرد شيء عنه في الأخبار، ولكنه استنتاج منطقي، وأوقفت أمريكا عن أن تكون أداة لهذه المؤامرة الصهيونية، ولولا ذلك ما توقف الأمر عند هذا الحد. ومن الوارد أيضاً أن تكون إيران قد استخدمت عقلها حتى لا يوضع أساس لحروب رهيبية في المستقبل في المنطقة. ومع ذلك

فإنّ هذا الجهد من جانب العدو لا يزال مستمرا، وإنّ ينجح يحقق للعدو هدفين هامين: الأوّل.. زيادة التباغض بين إيران والعرب؛ والثاني. اشتعال الخصومة بين السنة والشيعة. ومن الممكن أن ينجم عن هذين العاملين مزيد من التنازعات التي قد تصل إلى الحروب.

وفي هذا الوقت ثار الكرد أيضا. ولم يتطور موضوع الأكراد أكثر لأنّ أمم الغرب وإن كانت تتحدّث في الظاهر باسم السلام.. فإنّهم في الواقع لا يهتمهم شيء سوى مصالحهم الأنانية، وفي هذا الموقف ليس من صالحهم إثارة مشاكل الأكراد. والسبب في ذلك أنّ الأكراد لا ينتمون إلى العراق وحده، وإنّما تتصل مشكلتهم بأربعة بلاد: إيران وتركيا والاتحاد السوفيتي والعراق. فإذا هم أثاروا الأكراد في العراق وناصروهم باسم العدالة ضدّه.. فلا بد وأن يثوروا أيضا ضد تركيا، وإلا ضاعت مصداقيتهم لمناصرة السلام، وثبت بطلان دعواهم. كما أنّ ثوران الأكراد يثير موجة من التحرر بين جميع الأكراد، ويخلق مشاكل لإيران والاتحاد السوفيتي. هكذا أرجأ القدر الإلهي هذه المشاكل مؤقتا.

من أشدّ الأمور أهمية بالنسبة للأمم الإسلامية المتصلة بهذه المشاكل أن تبادر إلى الاجتماع وحلّ هذه المشاكل فيما بينها حلا دائما، وإلا بقيت المشكلة سيفا معلقا على أعناقهم بخيط تمسك أو تشتبك به أصابع القوى الغربية.. يسقطونه على رؤوسهم وقتما يشاءون فيجرحوهم، أو إن شاءوا يجعلونه يخرق قلوبهم. وسيبقى احتمال استغلالهم المرعب لهذه المشاكل سيفا مُصلّتا كما هو الحال بالنسبة لسائر المشاكل في العالم. فالغرب يلجأ دائما إلى إثارة بعض المشاكل الكامنة عندما يشاءون استغلالها، وهكذا تتقاتل دول العالم الثالث فيما بينها، ويدمر بعضها بعضا.

وثمة نصيحة أخرى لهم. يقولون: إنّ أمريكا تضغط على إسرائيل كي تنسحب من الضفة الغربية للأردن، ولكّني على ثقة من أنّ هذا الكلام غير صحيح. إنّهم يلعبون مسرحية ليست إلا. لو كانت أمريكا مخلصة في مسألة انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية للأردن لقبلت عرض صدام حسين من أوّل يوم.. عندما حاول ربط المسألتين سويا، وقال لأمريكا: سأنسحب من الكويت، فاطلبي من إسرائيل أن تنسحب من الأرض المحتلة، لتنتهي كلّ تلك المشاكل من دون إسالة قطرة دم واحدة. ثمّ إنّ إسرائيل تسرع في إقامة المستوطنات، وتستخدم معظم ما يُقدّم لها من أموال الغرب في توطين المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي في الضفة الغربية. فلا يجد المرء سببا معقولا لمصداقية إخلاص أمريكا في ذلك، أو أنّ إسرائيل سوف تقبل به.

وهناك خطر آخر يوضع إلى جانب هذا، إنّهم يضغطون على سوريا لتفعل ما فعلته مصر، فتعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل. ولو حدث هذا فلن يبقى بين العرب من يرعى الفلسطينيين أو يساندهم إلا العراق والأردن. ولكّكم رأيتم الموقف في العراق. أمّا الأردن فلا تملك القدرة على مواجهة إسرائيل، بل ربما تقوم إسرائيل باستفزاز الأردن باستمرار بحجة أنّ الأردن تصرف حيالها تصرفا عدوانيا ووقف في صفوف أعدائها فلا بد من احتلاله اليوم. ومن وجهة النظر هذه، فإنّه لمن الضروري جدا اتحاد ثلاث دول من الشرق الأوسط هي إيران والعراق والأردن، ومن الضروري لهم أن يصلوا إلى اتفاق مع سائر البلدان العربية، حتى لا يبقوا منفصلين عن الآخرين، وحتى تساندهم

الدول العربية الأخرى إلى حدّ ما.

الثروة البترولية

وهناك مسألة أخرى سوف تثار.. ألا وهي إعطاء الصدقات من ثروات البترول من السعودية والكويت إلى الدول العربية التي تعوزها الثروة. لو أنّ هذه البلاد قبلت معونة السعودية والكويت على أساس المنحة والصدقة، وأنّهم لا حق لهم في هذه الثروة.. فسيكون ذلك انتحارا مخيفا جداً. ونتيجة لذلك فسوف يختفي إلى الأبد كلّ ما تبقى من فرص لمعالجة المشكلة الفلسطينية. ولذلك على العرب أن يتخذوا تجاه هذه المسألة موقفاً بأن ما آتاهم الله من ثروة بترولية هو شركة بين الجميع كما عليهم أن يتفقوا على صيغة فيما بينهم بحيث يشارك الجميع في حراستها، وأن يكون اشتراكهم فيها بالعدل. وبطبيعة الحال، تنال البلاد البترولية خمس الثروة كما تقضي بذلك الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالكنوز. قد تكون هناك فروق بسيطة بين الفقهاء ترفع نصيبهم قليلاً، ولكنّ المهمّ اللازم أن يصلوا إلى اتفاق على مبدأ الثروة المشتركة. ومن الضروري أن يستقروا ويثبتوا على هذا المبدأ. وعندئذ لا يكون ما يحصلون عليه ثمرة تضحيتهم باحترام النفس، بل يكون حقاً لهم.. وهو الواقع. فكلّ الأمصار العربية كانت بلداً واحداً، مزقته الأيدي الاستعمارية الغربية، مناقضين بذلك كلّ وعودهم. لقد أعلنت الحكومة البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى وعداً مؤكداً بأن تترك وراءها عرباً أحراراً متحدين. وحتى اليوم، لم ير هذا الوعد نور الوفاء لصالح العرب أبداً. وهذا يعني أنّهم كانوا قد اعترفوا بأنّ ثروة العرب مشتركة. فعليهم أن يتبعوا هذا المبدأ ويستمسكوا به، ويتقدموا في مباحثاتهم على طول هذا الخط.

"كومونولث" اقتصادية

وهناك مسألة هامة أخرى.. يجب أن تكون هذه المنطقة بكاملها مجموعة اقتصادية متكاملة (كومونولث Common Wealth). كان مفهوم الاتحاد العربي الذي قدمه الرئيس المصري جمال عبد الناصر اتحاداً سياسياً، ولكن ليس من اللازم أن يأتي الاتحاد السياسي أولاً قبل الاتحاد الاقتصادي، بل إذا تقدم الاتحاد السياسي تضررت جوانب الاتحادات الأخرى بشدة. ولذلك عندما كان القادة الحكماء الغربيون يشكلون السوق المشتركة.. بدؤوا أولاً ما بدؤوا بمناقشة الوحدة الاقتصادية. وبعد ما تحققت لهم الأهداف الاقتصادية شرعوا بالتدرج يخطون نحو الوحدة السياسية.

وحركة توحيد العرب التي أشرت إليها بدأها في الواقع السيد جمال الدين الأفغاني قبل الرئيس جمال عبد الناصر، ثمّ تبنت فلسفتها الحركات الأخرى التي ظهرت فيما بعد. ففكرة الأفغاني عن وجوب اتحاد العالم العربي، أو بالأحرى اتحاد العالم الإسلامي.. فكرة لا يمكن للبلاد الإسلامية ألبتة قبولها بهذه الصورة، كما لم يقدم القرآن الكريم أبداً فكرة اتحاد المسلمين جميعاً تحت حكومة واحدة، بل بهذه الصورة لا يمكن حتى للبلاد العربية أن تحقق اتحاداً إلا إذا سعوا إليه خطوة بعد خطوة، وعلى مراحل متدرجة. فأعظم الخطوات أهمية هي الوحدة الاقتصادية، التي ينبغي أن يكون لها برنامج مشترك، ويعد لها خطط مشتركة. وعلى الخصوص خطوة تحويل المنطقة إلى الاكتفاء الذاتي في إنتاج الغذاء، وفي الصناعات. وعندئذ فقط.. يمكن أن يتوافر بعض الأمان لتحرر هذه البلاد.

خطر الاستعمار الاقتصادي

وبهذا الصدد هناك مسألة أخرى هامة. فالحرية الاقتصادية لا تخص هذه المنطقة وحدها، بل تخص جميع بلاد العالم الثالث. وهم يواجهون خطرا شديدا ينبغي فهمه فهما صائبا تماما منذ الآن؛ ومن الضروري أن تُتخذ له الخطوات الوقائية. إنه خطر الاستعمار الجديد. بعد الوفاق مع الاتحاد السوفيتي تخلت بلاد الكتلة الشرقية التي كانت تتبع الفكر الشيوعي عن فكرها هذا، وأسرعت الخطى نحو الأيام الخوالي، والآن ستكون المنافسة بينهم في ميدان الإمبريالية الجديدة. عندما يسترد الاتحاد السوفيتي عافيته من مشاكله الحالية ويتغلب عليها، سيكون أهمّ الأمور في سبيل المنافسة الاقتصادية أن يُخطف الأسواق من بلاد العالم الأول. وستنهض ألمانيا كقوة اقتصادية جديدة، وستنضم كثير من بلاد شرق أوروبا إلى ألمانيا، وسوف يتطلب ناتج اقتصادهم المتحد أسواقا جديدة. وهكذا سوف تواجه كلّ دول العالم الثالث أخطارا رهيبية. وزيادة على ذلك.. فأوروبا يقظة، وأمريكا يقظة.. وهدفهم المشترك أن يسيطروا على اقتصاد بلاد العالم الثالث، فلا يبقى لهم سوى الحسرة والتنهيد، ولن يجدوا أمامهم سبيلا ليحيوا حياة محترمة. بل هناك بعض البلاد الأفريقية، التي وصلت إلى حال يشق عليهم فيها أن يتنفسوا.

التعاون الاقتصادي

لذلك ينبغي على هذه الدول أن يقيموا أسواقا اقتصادية مشتركة متنوعة. فمثلا هناك الهند وباكستان وسيريلانكا وبنجلاديش.. بها إمكانية طبيعية لخلق سوق اقتصادية مشتركة. ولكن هذا ممكن فقط إذا سورا نزاعاتهم المشتركة فيما بينهم. وإذا لم يتمكنوا من تسويتها فلن يستطيعوا إقامة سوق مشتركة، ولن يكون لديهم قدرة للتوصل إلى أي حل آخر لموقفهم الحاضر السيئ. وأعني بموقفهم الحاضر السيئ أنه لو فكرتم فيه لأذهلكم أن سبيل خلاص كلّ هذه البلاد من مشاكلهم مسدود نهائيا. بعيون مغلقة لا ينفكون مستمسكين متصلبين بخط تفكيرهم ذاته، ويبدلون نفس الجهود التي لا تقدر على حلّ مشاكلهم. إنهم عند نهايات مسدودة لا يمكن المرور خلالها.

قللوا النفقات العسكرية

ومن مشاكلهم مثلا مشكلة كشمير. إن المنازعات التي خلقتها هذه المشكلة بين الهند وباكستان.. اضطرتهما إلى الاحتفاظ بجيوش كبيرة ينفقون عليها ٦٠ بالمائة من دخولهم القومية. فكيف يمكن لبد ينفق ٦٠ بالمائة من دخله أن يعيش بحرية اقتصادية؟ لن يقدر مثل هذا البلد أن يعيش بكرامة. إن البلد الذي ينفق أكثر مما يطبق اقتصاده مضطر للاستجداء كي يعيش، ولا بدّ له من التسول كي يحتفظ بقوته العسكرية. وهكذا تحت لعنة الشحاذة تعيش الهند وباكستان، وحيثما يستطيعون الذهاب.. راحوا بأكفّ ممدودة لينالوا الإحسان. والسبب الرئيسي لذلك هو نزاعاتهم المستمرة المتبادلة. هذا هو التحليل النهائي لموقفهم وليس هناك سبب آخر. فلو تُسوَّى مشكلة كشمير، والمشاكل الأخرى المشابهة يمكن إحداث تغيير ثوري في هذه المناطق.

وبالإضافة إلى ذلك هناك أمور أخرى يجب وضعها في الحسبان، ليس في الهند وباكستان وحدهما ولكن في جميع بلاد العالم الشرقي، سواء في آسيا أو في أفريقيا. وثمة مشاكل مشابهة في جنوب أمريكا.. بل وفي كلّ مكان

يواجهون نفس المشاكل. هناك الاضطراب وعدم الثقة بسبب الخلافات الإقليمية. وفي كل بلاد العالم الثالث الفقيرة ينفقون على شؤون الدفاع قدرًا كبيرًا من المال بحيث لا تنفق البلاد الغنية مثله ولا معشاره. في البلاد الغنية يتحدثون عن ٣ إلى ٥ % من الدخل للدفاع، فإن زاد إلى ٧ % قامت المناقشات منذرة بأن الإنفاق كثير ولا تتحمل مثل هذا القدر. ولكن تخيلوا ترف البلاد الفقيرة إذ ينفقون ٦٠ أو ٧٠ % من دخلهم على الدفاع! ومع ذلك يحسبونه غير كاف، فيستجدون المعونة العسكرية! لقد جعلت منهم المعونة الاقتصادية متسولين، وبعد أن صاروا كذلك فلا يمكن لأحوالهم الاقتصادية أن تتحسن أبدًا. وهذا هو حال كل بلد. فمن ولع بالعيش في مستوى حياة زائف، واعتاد الاستجداء للاحتفاظ بهذا المستوى الكاذب.. لن يكون لائقًا من الناحية النفسية ليجد الاعتماد على النفس في الناحية الاقتصادية ويسعى لتحسين ظروفه. وهكذا حال الشعوب. لا يمكن أن ترى الشحاذين يصلون إلى مستوى الازدهار والثراء. فالذين يتسولون لا ينفقون يستجدون، ويأكلون ولكنهم دائمًا في حال سيئ، وتمضي حياتهم في عذابات الأمان الكاذبة. أما القانونون.. مقارنة بالسائلين.. فأحيانًا يتقدمون من ظروف الفقر المدقع، ويصيرون إلى ثراء عريض.

كُفُوا عَنِ الاستجداء

وللأسف فإن بلاد العالم الثالث مبتلون بلعنة أخرى، فهم محرومون أيضًا من القناعة واحترام النفس. إنهم مصابون بتلك العادة القبيحة.. عادة مدّ أكفّ الاستجداء، التي جعلت مستوى حياتهم زائفًا. ولعلكم لاحظتم في بعض الأحيان أن الغني لا ينفق على طعامه في مطعم مثلما ينفق المتسول. فهذا لا يقدر للمال قيمته، لأنه يتسوله، فيشبع ويملاً معدته تمامًا، ثم يمدّ يده للوجبة التالية. ويدعو الله أن يحفظ له تلك الأيدي البارعة في التسول، وفي هذا كفايته!

هكذا سيكولوجية الأمم تمامًا، يعيشون في مستوى حياة زائف.. لا علاقة له بالحقيقة والواقع. ويبدون في بجموحة من العيش ولكنها قائمة على التسول، وبسببها يمكنون دائمًا في الخديعة. كانت مشقة الفقر كفيلة بأن تجبرهم على ضرورة الوقوف اقتصاديًا على أقدامهم، وتوجب عليهم العمل والسعي الجاد. ولكن هذا الضيق لا يشعر به سوى طائفة ممن لا حول لهم، أما أصحاب النفوذ فلا يشعرون به. فهذه الأمم منقسمة إلى فئتين: فئة قليلة العدد جدًّا، تسمى الطبقة العليا، لا تكثر بحياة الفئة الثانية.. فئة الفقراء، ولا تعرف كيف يمضي الفقير أيامه في ظروف كئيبة تحت سمعهم وبصرهم. فالذين يستشعرون الألم لا يملكون سيطرة عليه.. فهم لا يصوغون السياسة القومية، وأما العقول التي ترسم السياسات وتقررها فلا يملكون المشاعر التي تحس الألم. هذا مرض عضوي عضال، فعندما ينكسر العمود الفقري ينعدم الاتصال بين الجزء العلوي والجزء السفلي، حتى لو احترقت القدم بقي الرأس لا يدري. نعم، مرض التسول مرض رهيب، مُنيت به دول العالم الثالث.

المعونة العسكرية هي "الإيدز"

والآن عن العون العسكري، أنهم عندما يشترون أسلحة باهظة الثمن يزداد اقتصادهم سوءًا على سوء. ولما كانوا لا يستطيعون الشراء يضطرون إلى استجداء السلاح من البلاد الأخرى. فيأتي مع السلاح خبراء التدريب أو

يذهب جنودهم للتدريب هناك، وهكذا تمتد شبكات التجسس إلى بلاد العالم الثالث. والسبب الرئيسي لانتشار شبكات التجسس للأمم المتقدمة لديهم هو هذا العامل نفسه. ونتيجة لتسول السلاح يخلقون فرصة انزلاق جيوشهم تحت سيطرة البلاد الأخرى. بقدر ما تفحصت موقف الأمم التي تقدم المعونة العسكرية بازاء الأمم التي تتلقاها وجدت بحسب اعترافات كتابهم صراحة وعلانية، أنهم كلما أعطوا معونة عسكرية جعلوا من ضباط جيش الدول المتلقية للمعونة عبيدًا لهم. وهذا ما يحدث في كثير من البلاد التي تتلقى المعونة. وأشد ما في ذلك من خطورة اليوم أن أمريكا ليست هي وحدها التي تسترق الآخريين بمعونتها العسكرية، بل صارت إسرائيل الآن ذراعها اليمنى، وتفعل نفس الشيء، وتصل مساعداتها إلى حيث لا تستطيع مساعدة أمريكا أن تصل مباشرة أو علانية. وهناك أماكن نجح الاثنان معًا في جرّ أهلها تحت أغلال العبودية.

ينبغي أن نتذكروا بأن العالم الثالث لا يزال سوقًا جاهزًا للأسلحة العتيقة، وكلما ينتج الغرب طرازات من الأسلحة أكثر تقدمًا.. يقتضي الأمر فتح أسواق للسلاح القديم. وهنا يكون لزامًا أن تتساقط الرؤوس في بعض البلاد الفقيرة.. لأن النزاعات التي تقع فيما بينها تخلق سوقًا نافقة لهذه الأسلحة. وحتى الآن لم يُصدّر من السلاح الأمريكي الفائض سوى تل صغير فقط.. كما لا تزال هناك جبال من السلاح السوفييتي بحاجة للبيع، وليس بعيدا أن تدخل دول الغرب الأخرى في هذه التجارة.

إذا فعندما أشبهه العون العسكري (Aid). بمرض الإيدز (Aids).. فلا فكاهة في ذلك، وإنما هو حقيقة عميقة. فمرض الإيدز الذي يثير الرعب في عالم اليوم، والذي تخبرنا به بعض النبوءات أنه سيقتل من الناس في بلاد الغرب النصراني أعدادًا كبيرة حوالي عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨، ولا حاجة لنا الآن في تفصيل ذلك، فقد سبق وتحدثت إليكم عنه وحده في مناسبة أخرى، فإن بكتيريا هذا المرض تدخل دم المصاب وتستقر داخل نظام المناعة الدموي وتسيطر عليه. وهكذا ينقلب جهاز المناعة هذا الذي جعله الله للحماية والتغلب على المرض، فيصير نفسه مركزًا للمرض، ومن ثم لا يستطيع التحرك والتصدي ضد نفسه. وهكذا فإن العون العسكري هو إيدز الدول الفقيرة. لأن البلاد الغنية التي تعطي السلاح تسيطر على النظام الدفاعي للبلاد الفقيرة. والأدهى أنهم لا يدركون ذلك تمامًا.. كما لا تدرك الأجزاء السليمة حقيقة المرض. في بلادنا، ولا أعني باكستان وحدها، بل أعني بلاد العالم الثالث جميعًا.. تتابع أعين المخابرات الأخطار الداخلية وحدها، ويتخذون ضدها إجراءات مضادة للثورة، وينشئون الأجهزة التي تبقى يقظة فعالة ضد التمرد الداخلي. ولكي يتعلموا كل الحيل لمحاربة التمرد يتجهون في معظم الأحوال إلى أمريكا، وفي كثير من المرات إلى إسرائيل!.. بل أن سيريلانكا تعلمت الأساليب المضادة للتمرد من إسرائيل، أمّا المتمردون فقد درسوا أساليب الثورة أيضًا في إسرائيل! و في ليبيريا يقول المراقبون بأن إسرائيل قامت على حراسة رئيس الجمهورية وأحاطوا به تماما حتى أنهم منعوا أخبار التمرد من الوصول إليه! هناك قائمة طويلة بأسماء بلاد أفريقية وآسيوية تأتي أمريكا وإسرائيل في مقدمة من يعلمونها تلك الوسائل.. في حين أن الخطر الحقيقي الذي تواجهه أما هو من أولئك المعلمين! أنهم يسيطرون على هذه البلاد من خلال جيوشها. إذاً فالحاجة ماسة لتأسيس منظمة تجسس في كل بلد من بلدان العالم الثالث لتفحص الجيش وتراقب علاقاته مع القوى أي

كانت، وتتعرف على ما دخله من أفكار مسمومة وما أُقيم من صلوات، وتضع الضباط تحت المراقبة. أن الأخطار تأتي من الخارج، وهناك أخطار أقل تنبع من الداخل.. فإذا استطعتم محاربة الأخطار الخارجية كانت الأخطار الداخلية غير ذات شأن. نعم، تنشأ الأخطار الداخلية فعلا، ولكنها تكون دائما وليدة الاضطهاد، وإلا فمن المحال أن يواجه جيش الأمة خطرا من مواطنيها أنفسهم. وهذا هو الجانب الثاني الذي يحتاج إلى انتباه. الأمم المتقدمة يثيرون ضجة شديدة حول ضرورة إنهاء الدكتاتورية، في حين أن الدكتاتورية وحدها هي المناخ الأمثل الذي يناسبهم لاسترقاق شعوب العالم الثالث، ذلك لأنه حيثما تكون الدكتاتورية تتولد المخاطر الداخلية، ولحماية الدولة منها لا بد من حليف خارجي. ويجدون الحليف الخارجي بالطريقة التي شرحتها آنفاً. وما دامت الدولة تتمثل لأوامر الحليف الخارجي فسوف يمدّها بالمساعدة، ولكن لو حدثت وفعلت أي شيء لا يناسبه رفع عنها تأييده على الفور. هذه هي اللعنة التي تعاني منها بلاد العالم الثالث. والآن.. حان الوقت ليستعملوا عقولهم. لقد بدأت مرحلة جديدة من الاستعمار، وبرزت أخطار شديدة. فلحماية حريتك الشخصية، وللمحافظة على احترامكم لأنفسكم، ولخلق احتمالات الحياة الكريمة مع الأخوة بين الأوطان.. لا بدّ من أن تتفكروا بجدية وعمق في كل هذه الأمور، وتتخذوا الخطوات السريعة التي تكفل تحقيقها.

أضرار المعونة الاقتصادية

وأوجز لكم الأضرار التي تترتب على قبول المعونة من البلاد الغنية:

أولاً: البلد المعطي يعطي المعونة بعد أن يجعل البلد المتلقي لها يعاني الخزي والإذلال، ويتعامل معه باستعلاء، ويهدد بقطع المعونة لو حاول المتلقي استعمال حقه في حرية الفكر والضمير، كما فعل بوش بالملك حسين مؤخراً.

ثانياً: يضع البلد المعطي قيوداً على معونته تضر بالحرية الوطنية.

ثالثاً: تحتوي المعونة على قدر كبير من القروض ذات الفائدة الربوية، وتضاف عليها أعباء ثقيلة كتكاليف الخبراء المستشارين. يدخل ذلك كله في قيمة القرض مما يستهلك مقداراً كبيراً من المعونة. وهناك حالات عديدة ومريرة في إفريقيا وآسيا حيث بيعت للدول الفقيرة تحت اسم المعونة معدّات وآلات بدائية بأسعار مرتفعة، ولا تستطيع معظم هذه الصناعات منافسة منتجات التكنولوجيا الحديثة. وبالإضافة إلى هذا.. هناك كثير من العيوب تعاني منها صناعات العالم الثالث باستمرار.. مما يقلل من قدرتهم على سداد القروض، ويستمر عبء الديون في ازدياد. ولقد أصبحت كلّ بلاد أمريكا الجنوبية تقريباً مقيدة بأغلال القروض. ولم أرَ دولة قطّ تتلقّى المعونة من أمريكا أو غيرها من الدول الغنية وخفّ عنها عبء الديون. إنه وُزِرَ يزداد يوماً بعد يوم حتى يستنفد شطراً كبيراً من الدخل القومي في سداد الفوائد، لذلك لم نرَ أبداً البلاد التي تتلقّى المعونات أو التي تستجديها واقفة على ساقيها مرة أخرى. ومع المعونة هناك المعاملة المخزية، والتهديد بوقفها عند الخلاف، وهذا إلى جانب تخريب الاقتصاد وتدمير الشخصية القومية أيضاً. لذلك، وليس حفاظاً على الكرامة فقط، وإنما لمصالح بعيدة المدى، يستلزم الأمر رفض المساعدات المقدّمة من القوى العظمى مع الشكر.

نظام اقتصادي للمساعدات

والبلاد الإسلامية التي حباها الله تعالى بالثروة البترولية.. عليها واجب إقامة نظام جديد للمعونة تحت ظل مبادئ الإسلام، بالتعاون مع البلاد غير الإسلامية المستعدة للتعاون على البرّ. وفي مثل هذا النظام تُعطى الأفضلية فوراً للتحوّل إلى الاكتفاء الذاتي في إنتاج الطعام بالبلاد الفقيرة التي يُعلّق سيف المجاعات على رقابها، أو لتقوية اقتصادهم ليقدروا على شراء طعامهم من الخارج.

أن مسلك العالم تجاه المجاعات التي تضرب بلاد أفريقيا حالياً مسلك مخزٍ وغير مُجدٍ. أن المجاعات لا تحدّ فجأة كالزلازل أو البراكين، بل بوسع الاقتصاديين معرفة أين ستكون المجاعة قبلها بسنوات. أنهم بتجرد عن الرحمة ينتظرون حتى تقع المجاعة، ويضعف الناس من الجوع.. ليقدموا لهم الطعام مصحوباً بالمساومات السياسية والعقائدية، وليربطوا الجوعى بقيود العبودية.

فعلى ضوء الشروط التي وضعها الإسلام، ينبغي أن يصوِّغوا نظاماً للمساعدات يحرّر الناس ولا يستعبدهم. ولهذه الغاية لو أن بلاد البترول الثرية أعطت لوجه الله تعالى ورحمة لبي الإنسان ٢,٥% من دخلهم زكاةً.. لأمكن أن تزول لعنة الجوع من معظم البلاد الفقيرة. وينبغي أن يضمّوا معهم اليابان في هذا المجال، ويجب أن تتفق بلاد العالم الثالث مع اليابان صراحة حول ما إذا كانت اليابان تريد العيش مع بلاد العالم الثالث، أم تحسب نفسها في عداد بلاد الغرب. إذا أرادت أن تعيش مع بلاد العالم الثالث فينبغي أن تقدم تعاوناً كاملاً لحل مشاكل العالم الثالث، وخصوصاً مشاكلهم الاقتصادية، والأحرى بها أن تقودهم وتلعب دوراً قيادياً.. وبدون ذلك لن تبقى مع العالم الثالث، كما لن تعدّ من بين الأمم ذوي البشرة البيضاء.

كيف تحل مشكلة كشمير

ولنتحول ناحية المشاكل الداخلية وندرسها. أعتقد أن هناك ثلاثة حلول بالنسبة لقضية كشمير تستحقّ النظر، لأن الموقف الحالي قطعاً غير مقبول، ولو استمرّ هذا الوضع لانتهى بتدمير البلدين. وأوّل هذه الحلول هو استفتاء الأقاليم الثلاثة التي تتكوّن منها كشمير: آزاد كشمير، جامو، ووادي كشمير، هل يرغبون في البقاء سوياً، أم تنضمّ آزاد كشمير إلى باكستان، وتنضم جامو إلى الهند، ويبقى وادي كشمير مستقلاً؟ وأمّا الحلّ الثاني أن يستقلّ وادي كشمير وحده، ويستقلّ القسمان الآخران جامو و آزاد كشمير على حدة. والحلّ الثالث أن تتحد الأقسام الثلاثة في دولة واحدة.

أن القرار متروك لتلك البلاد لتتخذة بنفسها وهذا حقّهم. أمّا بقدر ما أرى فالحلّ الأوّل هو أكثرها ملائمة وقدرة على الاستمرار، وأفضل لتوطيد السلام في المنطقة.. فشعب آزاد كشمير لهم طباعهم المشتركة، ولكنهم مختلفون عن شعب وادي كشمير بطباعهم و شخصيتهم المنفصلة، كما أن أهل جامو لهم شخصية منفصلة تماماً، وهم أقرب ديناً إلى الهند. فإذا أرادوا الاستقرار والثبات فحلّ هذا الحلّ أفضلها. ولكن ينبغي أن يعطوا الحرية مشروطة بعدم الدخول في محالفات مستقلة مع بلاد أخرى، حتى لا يتهدد سلام الهند وباكستان. ويمكن تقرير هذا وتسويته باتفاقية مشتركة. وإذا لم يتم ذلك، ولم يصلوا إلى سلام مع الشيخ أيضاً، ولم يسوّوا بعض المسائل الداخلية

الأخرى.. فلن يستقر السلام في المنطقة.

تصحيح الظروف الداخلية

وهناك اختلال في التوازن البشري داخل باكستان يتطلب تصحيحاً.. مثلاً ما بين السندي والبنجابي والبلوتشي والباتاني. ثم هناك فوارق دينية. كل هذه الأمور تشبه المفرقات أو البراكين، يمكن أن تنفجر في أي وقت. وهذه هي نفس المشاكل التي تستغلها الأمم الأخرى. لذلك، وقبل أن تجد دولة أخرى فرصة لاستغلالها.. يجب أن تصححوا الظروف الداخلية عندكم، وتصححوا أيضاً العلاقات مع جيرانكم. وأعظم الفوائد التي تجنونها بذلك أن يتوجه انتباهكم نحو تحسين مركزكم الاقتصادي. وبالتعاون المتبادل.. وبروح ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾.. بدون إقحام الدين في ذلك.. تُزداد احتمالات التعاون في كل شيء طيب، وينخفض الإنفاق العسكري. وكلما نقص الإنفاق العسكري تقدم وازدهر الاقتصاد، وزادت احتمالات التحسن في موقف الفقير. قلتُ (احتمالات)، لأن كل هذه الأشياء وحدها ليست كافية لتحسين وضع الفقير.. ما دام حال الحكام غير سليم. إذا كان فكر الحكام سقيماً.. لا يباليون ولا يحسون، ولا يستحون، ولا ينفكون بينون الفنادق الفخمة والمطاعم الفاخرة، ويؤمها جماعات الناس من بعد غروب الشمس وإلى ساعات متأخرة من الليل، ويسهرون في الفنادق وينغمسون في حياة اللهو والترف، ومدينة لاهور مضيئة، وكراتشي تتوهج بالألوان، إذا استمر هذا الميل، ولم يلتفت أحد بنظره إلى حقيقة ما تحت هذه الأضواء من ظلمات الظلم، ولو تحتل نظرة داخل هذا الظلام فسترى صوراً مؤلمة لإنسانية مضطربة، تقشعر منها الجلود، فلن تتحسن حال الفقير. أضع أمامكم مثلاً صغيراً.

ذهبت ابنتي (فائزة) إلى قاديان للاجتماع السنوي للجماعة. وفي طريق عودتها كانت تنتظر القطار مع طفلها في محطة (أتاري). فأخرجت شيئاً من حقيبتها ليأكلوا، وإذا بحشد من الأطفال الصغار الجوعى يلتف حولهم فجأة. كان من الواضح أنهم جوعى وليسوا متسولين. فوزعت عليهم الطعام، ثم وزعت عليهم ما أهدي لها من صديقاتها في قاديان مما يصلح للطعام. أمّا الذي أريد بيانه لكم فليس توزيعها للطعام.. فكل شخص له قلب إنساني ينبض سوف يفعل مثلما فعلت، لكن ما يستحق الملاحظة بصفة خاصة أن في هؤلاء القوم الفقراء أخلاقيات عالية راسخة. أنك تجد من الإنسانية في الطبقات الدنيا أكثر مما في الطبقات العليا. قالت ابنتي: بعدما وزعت عليهم كل ما كان معي بقيت معي علبه صغيرة من "الكوكا"، فناولتها لبنت كبيرة منهم. فأخذت منها رشفة، ثم أعطت لكل طفل منهم رشفة، وفي كل مرة كان ينعكس من وجهها شعور بالرضا والارتياح مثل شعور الأم وهي تطعم أطفالها. ثم نظرت إلي ابنتي مبتسمة كأنها تقول: انظري كم استمتعت بها! كان هناك صف من الأطفال، واحداً بعد الآخر، كلما أخذ أحدهم رشفة أحس كأنما أُعطي ماء الحياة. وفيما بعد.. تحرك القطار، فجرى الأطفال يدفعهم شعور الامتنان، يلوحون بأيديهم، والشرطة تحاول منعهم، ولكنهم استمروا على ذلك حتى اختفوا عن ناظرها.

عندما كانت ابنتي تروي لي هذه الحادثة لم أكن أدري: هل كانت نظرتي لها أشد حبا أم نظرات الأطفال الذين رمقوها بنظرات الحب بسبب حنانها؟

القيم الإنسانية تنقذ العالم

ثم تفكرت أن مثل هذه الحوادث تقع في الحياة عندما تسود القيم الإنسانية على روابط الدم، وأن أعظم العصور التي تحققت فيها غلبة القيم الإنسانية على روابط القربى كان عصر سيدنا محمد المصطفى ﷺ. لا شك أنه عصر أخذت فيه روابط القرابة الأسرية مقاماً ثانوياً، ورفعت عظمة سيدنا محمد ﷺ القيم الإنسانية عالية حتى أقامها على مكارم الأخلاق. هذه القيم الإنسانية الأخلاقية هي التي سوف تنقذ العالم الثالث. وهذه هي القيم التي تُداس اليوم تحت الأقدام. وقدّر الله تعالى يدعكم تُداسون تحت أقدام الأمم القوية. لم لا تدركون هذه العلامة من قدر الله؟ أنه لما يدعو للثناء أن هذين البلدين.. في جشعهم لامتلاك جنة كشمير، دفعوا ببلادهم إلى نار الجحيم! مهما اتخذتم من حلول لمشاكل العالم الثالث.. فما دمتم لا تُحيون فيهم احترام النفس، ولا تجددون مشاعر العطف، ولا تعزمون على حماية القيم الإنسانية، ولا تتخذون الخطوات لتحقيق هذا العزم.. فأن مصير العالم الثالث لا يمكن أن يتغير، ولن يستطيع العالم الثالث أن يتحرر.

وبلاد العالم الأوّل، البلاد المتقدمة.. لا ينعمون بالحرية فحسب، بل ويزدادون نشاطاً وفعالية لاستعبادكم أكثر من ذي قبل. وكما قلتُ آنفاً.. تتحرك خطواتهم الاقتصادية في اتجاه يضطّهرهم فيما بعد، أرادوا أو لم يريدوا، إلى سحق أمم العالم الثالث تحت أقدامهم أكثر وأكثر، لأنهم لن يخفضوا مستوى حياتهم، لأن سلطاتهم الإدارية غير قادرة على نصح الناس بالنزول عن شيء من مستوى حياتهم المرتفع، وأي حزب سياسي سوف يُقدم على ذلك يخسر معركة الانتخاب. فهم مقيدون بإحكام في فخّ شرير.. بحيث تجدونهم مضطرين لارتكاب الفظائع تلو الفظائع. فعلى أمم العالم الثالث أن تنهض بنفسها للدفاع عن نفسها، وبدون ذلك لا يمكنهم التحرر لا من جيوشهم، ولا من شرورهم ومفاسدهم، ولا من كل تلك اللعنات التي ذكرتها.

عندما تصير الأمم فريسة لمثل هذه الشرور والأمراض.. فما فائدة شكواهم من أنهم يموتون والنسور تقبع بجوارهم تنتظر هلاكهم؟ إن المرض يتطوّر بداخلكم للقضاء عليكم، وهذا المرض نفسه يدعو البكتيريا لتدخل في أجسادكم. لا شك أن البكتيريا تسبب المرض، ولكن البكتيريا لا تستطيع إيذاء الجسم الصحيح. المرض ينشأ بداخلكم ولا يأتيكم من الخارج. عندما تضعف القوة الدفاعية للجسم تنمو بالبكتيريا وتتغلب على الجسد وعندما تكتمل لها السيطرة.. يكون الجسم عند فم الموت، وتحتشد النسور لتلتهم اللحم وتنهش العظم. إنها عمليات طبيعية تأتي حتماً واحدة إثر أخرى. والواقع أنها قدر لا تستطيع قوة في العالم إنقاذكم منه.. ما لم تعزموا أنتم على ذلك. فقبل أن تصلوا إلى هذه النهاية حيث تُلقى أجسادكم في العراء عيرة للآخرين، أو تصيرون من أهل القبور.. اعزموا من الآن أن تجعلوا من القيم الأخلاقية وتعاليم سيدنا محمد المصطفى ﷺ قانون عملكم، فتحفظوا هذه القيم الأخلاقية السامية وتعيدوا إلى الحياة ما فقدتم من القيم الإنسانية.. فهذه السبيل، لا غيرها، هي الوسيلة الوحيدة لتحريركم من عار العبودية.

تشكيل "أمم متحدة" جديدة

وثمة أمر هام آخر.. فقد لُفنت حرب الخليج وما جرى خلالها من أحداث، درساً آخر لدول العالم الثالث، هو

أن منظمة الأمم المتحدة صارت عتيقة مهملة فيما يتعلق بمصالح العالم الثالث، وتستحق النبذ في سلة المهملات. وما دامت أمريكا في نزاع مع الاتحاد السوفييتي، وكان هذا منافسا لها.. لم تكن الأمم المتحدة بقادرة على تدمير الدول الفقيرة. ذلك لأن كلا من أمريكا وروسيا تملك حق استعمال الفيتو والوقوف إلى جانب البلاد الفقيرة، وكان القرار يتوقف على ما إذا كانت البلد صديقة لأمريكا أم للاتحاد السوفييتي. والآن لم يعد في العالم سند للدول الفقيرة. لقد اتحدت القوتان الكبيرتان.. لا على هدف صالح، وإنما لغرض شرير. ولذلك لما قال القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (سورة المائدة: ٣). لم يُرد مجرد التعاون.. وإنما التعاون فيما هو خير وليس في الشر. ولكن سياسة العالم تتحد بلا اعتبار لخير أو شر. يتعاونون فقط فيما لهم فيه مصالح مشتركة. هذه هي القرارات التي اتخذت في هذا العالم، وهذه الاتفاقيات التي تمت بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا، وألقوا بالبين جانبا حتى الآن بطريقة تجعلها بلا حول للتدخل، وتزداد ضعفا اقتصاديا حتى تضطر للكروع أمامهم. وإذا استمر الحال هكذا، فسيفتصر عمل الأمم المتحدة وما يلحق بها من منظمات كمجلس الأمن مثلا.. على قهر البلاد الضعيفة، ولن تكون وسيلة تحقق مصالح البلاد الضعيفة، بل سوف تستخدم لصالح أولئك الذين يقبلون بالعبودية للقوى العظمى ويلعقون أقدامها. هؤلاء تكون هذه المنظمة الدولية مصدر ثراء، وهبئ لهم التسهيلات، وتسبغ عليهم ألقاب الشرف، وتمد لهم يد الصداقة والمودة. ستحصل بلاد العالم الثالث على كل المصالح، ولكن بالاستجداء في خزي ومذلة. وأما إذا أرادت أمة في هذا العالم أن تعيش على صلة بالأمم المتحدة، رافعة رأسها على أساس من الكرامة والاحترام، فلن يتاح لها ذلك.

ويمكن حل هذه المسألة أنه كما أنشئت عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩، وتأسست الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، يجب الآن بعد هذه الحرب الخليجية المريعة التي أشعلها جانب واحد أن تتأسس أمم متحدة لدول العالم الثالث، لا تضم سوى الأمم الفقيرة العاجزة. إن حركة عدم الانحياز، أو مجموعة الأمم المحايدة، قد أصبحت اليوم عتيقة بلا معنى ولا حياة. يجب الآن أن تبدأ حركة جديدة، يمكن أن تلعب فيه الهند وباكستان والعراق وغيرها دورا هاما. ولكن ينبغي عليهم أولا إزالة التحيزات الدينية. لذلك فنصحي للبلاد الإسلامية هي أنه، وإن كان من الواجب أن يكونوا على علاقات المحبة فيما بينهم، والوفاء بمسئولياتهم في جو من الأخوة الإسلامية الخاصة، ولكن عليهم ألا يدعوا الهوية الإسلامية تتصارع مع الهوية غير الإسلامية. لو استمر استقطاب المسلمين في جانب وغير المسلمين في جانب آخر، وفي اعتباركم أن قوة الغرب وحدها غير إسلامية.. فاعلموا أن دول العالم الأخرى أيضا توجس منكم خيفة. لا تنسوا أن اليابان غير مسلمة، وكذلك كوريا وفيتنام والهند. فكل هذه القوى العظيمة في العالم يرون أن رسالتكم قد وصلتهم أيضا. ولذلك لو جعلتم الهوية الإسلامية في قتال مع غير الإسلامية لوقعتهم في سياسة انتحارية غاية في الحماسة، فلن تجنوا شيئا، بل ستفقدون ما لديكم.

وإذن فلا يستطيع العالم الثالث أن يتحد ما داموا لا يعملون وفقا لتعاليم القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وهو تعليم لا يشير إلى الفوارق الدينية، بل طبقا له يمكن التحالف مع الوثني أو اليهودي أو النصراني

أو حتى مع الملحد. فقط ينبغي أن تتعاملوا بالبر والتقوى، وتعاونوا على ما هو خير فقط. على هذا المبدأ من التعاون ينبغي أن تبسطوا يد التحالف إلى هذه الأمم. ولذلك فمن الضروري جدا إنشاء مجلس الأمم المتحدة للأمم فقيرة.

ويجب أن يتضمن دستور هذه المنظمة ما يلزمها بإصدار القرارات التي تستطيع تنفيذها حقاً. كما يجب أن يتعهد كل عضو فيها بالتزامه بقبول حكومة العدل في كل حال. وينبغي أن يكون هناك نظام فعال وعادل، للتداول والتشاور تحت إشراف هذه المنظمة، لحل القضايا والمشاكل المتعلقة بدول العالم الثالث. كما لا بد وأن يتقوى في هذه الأمم الضعيفة الاتجاه الذي ينأى بهم عن اللجوء إلى الأمم القوية لحل قضاياهم والتدخل في شؤونهم.

تناقضات "الأمم المتحدة"

إن بهيئة الأمم المتحدة الحالية تناقضات متأصلة، وينبغي أن نتعلم منها حتى لا تنطوي مؤسساتنا على تناقضات. وكما قلت.. إنها قاعدة قهرية ظالمة.. أن أية دولة من الدول القوية دائمة العضوية، مثل أمريكا أو الاتحاد السوفيتي أو فرنسا أو بريطانيا أو الصين، لو أرادت أن تعتدي على دولة وتهاجمها بنفسها أو عن طريق دولة عميلة تابعة لها، فلا يملك أحد حق الانتقام من المعتدي.. ما دامت واحدة من الدول الدائمة في مجلس الأمن مصررة على حمايتها من العقاب، اعتماداً على حق الفيتو أي الاعتراض على قرارات المجلس. إنهم لم يقرروا حتى اليوم الصفات الأساسية لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بالضبط، هل هي محكمة؟ وإذا كانت محكمة فما فائدة محكمة العدل الدولية؟ وإذا لم تكن محكمة.. فما نوع القرار الذي يمكنها اتخاذه بصدد النزاعات؟ وإذا لم تكن محكمة فلا سلطان لها على وضع قراراتها موضع التنفيذ. وإن كانت محكمة فإلى أي مدى يمتد تأثير قراراتها؟ وهل تؤثر على الدول غير الأعضاء فيها؟ أما إذا كانت هيئة استشارية فلا مجال لتنفيذ قراراتها بالقوة، اللهم إلا إذا كانت القواعد قواعد أخلاقية فقط، متفقا عليها للتطبيق على كل الأمم على السواء. وإذا كانت منظمة ليتعاون أعضاؤها فيما بينهم فكيف ينشد هذا التعاون؟ وأي الوسائل تتخذ لذلك؟ وإذا لم تحصل دولة على التعاون فماذا تفعل؟ هذه هي المسائل التي يجب اتخاذ قرارات بشأنها.

وإذا كانت منظمة لمساعدة الأمم الفقيرة فيما هو للصالح العام.. فيجب في هذا الحال أيضا بسط موقفها بوضوح، ويجب أن تعلق عن اعتبارات السياسة واللون والجنس، وتضع برنامجاً لمساعدة البلاد الفقيرة أو المنكوبة بالكوارث الطبيعية.. بحيث تكون إدارة المنظمة قادرة على اتخاذ قرارات حرة مستقلة، كما تطلق يدها في تنفيذ ما تصل إليه من قرارات.

وهناك مسألة يجب حسمها.. تلك هي كيفية تنفيذ أحكام محكمة العدل الدولية للأمم المتحدة بحيث تلتزم بقبولها الدول جميعاً بما فيها القوى العظمى. وما لم يكن هناك جواب كاف لهذه المسائل يضمن حماية حقوق الدول الفقيرة والضعيفة.. ستبقى هذه المنظمة أداة خديعة تحتكرها الأمم القوية لصالحها وحدها.

وأهم النقاط هي أنه إذا كانت هيئة الأمم محكمة فيبرز هنا سؤال: إذا صدر قرار بالأغلبية في صالح دولة مسكينة لا تحظى بمساندة من أمريكا أو روسيا أو الصين أو فرنسا أو بريطانيا، وقرر المجلس بأغلبية الثلثين أن هذه الدولة

معتدى عليها وينبغي مساعدتها.. فكيف ينفذ هذا القرار؟ أي نوع من المحاكم هذه التي لا تحظى بتعاون القوى القادرة على تنفيذ قراراتها، وليس لها وسائل معينة لنشاندان هذا التعاون.

هذا يماثل تماما ما حدث عندما تقاضى الهنود الحمر الأمريكان ذات مرة أمام المحكمة العليا الأمريكية ضد الحكومة الأمريكية. قالوا: لقد وقَّعت معنا الحكومة معاهدات مرات ومرات، وأعطينا المواثيق المسجلة بأن أرض كذا وكذا تخصنا.. ومع تكرارها؛ ومنحونا الحماية الكاذبة مرات ومرات، وأعطونا المواثيق المسجلة بأن أرض كذا وكذا تخصنا.. ومع ذلك دخلوها وطرَدونا منها عنوة، وما برحوا يدفعوننا حتى أوصلونا إلى حال لا نستطيع معه البقاء بين الأحياء، ووصل الموقف الآن إلى حد إما الحياة وإما الموت. فأصدرت المحكمة الأمريكية العليا حكمها في صالح الهنود الحمر، وقالوا: إن شكواكم صحيحة، وكان موقف الحكومة الأمريكية معكم مجافيا للعدل، ومن حقكم إلغاء تلك القرارات الحكومية السابقة وتنازلون حقوقكم. ولما عُرض حكم المحكمة هذا على الرئيس الأمريكي قال: إننا بالفعل نعلن إعجابنا بحكم المحكمة، وعلى المحكمة أن تنفذ الحكم!

هذا بالضبط هو موقف هيئة الأمم المتحدة اليوم. إذا قررت، ولو دولة واحد فقط من الدول الأعضاء الدائمة الخمس، عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فلا يمكن تنفيذه. إنها منظمة للعدل غريبة حقا؛ فلو اتحدت الأمم القوية واتفقوا على العدوان.. فسوف يتم تنفيذ كل شيء؛ أما إذا قرروا أن يسدوا الطريق أمام أي قرار فلن تستطيع تنفيذه دول العالم منفردة أو مجتمعة، ذلك لأن إحدى الدول دائمة العضوية تقف ضد القرار وترفض تنفيذه. وإن كانوا جميعا يوافقون عليه، كما هو الحال في قضية فلسطين.. التي وافقت القوى العظمى الخمس على الحلول القاضية بانسحاب إسرائيل من الأرض العربية المحتلة، فلن يمكن تنفيذ القرار. فعجيب أمر هذه المنظمة لسلام العالم، وغريب شأن هيئة الأمم المتحدة هذه إذ لها القدرة على اتخاذ القرارات ولا قدرة لها على تنفيذها. وإنما القدرة على التنفيذ في يد القوى العظيمة التي تجبر جميع بلاد العالم على الشعور بأنها مدينة لها. إن مثل هذه المنظمة لا يصلح للبقاء.. لأنها منظمة لاستمرار العبودية، وهي منظمة لحماية الاستعباد، وليست منظمة لحماية الحرية! فإذا لم تنهض دول العالم الثالث ضد هذه المنظمة، أو نقول: إذا لم تدفعوها إلى التعاون باسم العدل وتغيير قوانينها الجائرة.. فلن تتحرر أمم الأرض، بل وستبقى هذه المنظمة لتخلق لهم مزيداً من الأخطار، وتستخدم لأهداف رهيبه مرات ومرات، ولا داعي الآن للدخول في تفصيل أكثر.

منظمة "أوبك" جديدة

ومن الضروري بالمثل أن تنشئ البلاد المنتجة للبتروول منظمة (أوبك) جيدة، فلا يضم هذا المجلس عبيدا مخلصين لأمريكا من مصدرّي البتروول. لا مانع أن تشترك فيه الدول التي تتعامل مع أمريكا، إذ ليس مبدؤنا أن تؤسس التحالفات من أجل العداوة، فالقرآن الكريم لا يذكر ذلك في أي موضع. فينبغي أن يقوم التعاون على الفضيلة. أما لو تحالف أحد من القوى الكبرى بهدف انتهاك المبادئ فيعرض بذلك مصالح البلاد الفقيرة للخطر، فعندئذ يجب أن تتحالف الدول الفقيرة للدفاع عن نفسها. لذلك ينبغي أن تلتقي مع الدول البتروولية في العالم الثالث.. مثل نيجيريا وإندونيسيا وإيران والعراق وماليزيا وسبا، وغيرها من الدول المنتجة الأخرى.. في منظمة أوبك

جديدة خاصة لهم. وإذا صاغوا سياستهم معا فلن تستطيع قوى الغرب أن تفرض عليهم عدوانا يمثل ما فعلت مع العراق وأكرهته على تصرف غير حكيم. من الممكن أن تضغط عليهم السعودية والكويت لفترة لما لثروتهم البترولية الكبيرة من قوة، ولكن لو أنهم صمدوا وثبتوا على مبادئهم وأهدافهم فسيرون بعد فترة من الزمن أن الدول المنتجة للبترول تجني منافع أكثر.

أما دول العالم الثالث غير البترولية.. فعليهم أن يشكّلوا اتحادا للدول غير المنتجة للبترول؛ ذلك لأنه عندما يحدث في العالم نزاع من أي نوع تحدث اضطرابات وحروب، فتعاني الدول الفقيرة أشد الخسارة. فعليهم إذن أن يتحدوا لحماية مصالحهم، ويعقدوا اتفاقيات طويلة الأمد مع البلاد البترولية، وذلك كي يتمكنوا على ضوء خبراتهم الماضية من حماية أنفسهم من أخطار المستقبل المحتملة.

اتحاد الدول المصدرة للأيدي العاملة

وهناك اتفاقيات صغيرة أخرى لازمة، إذ ينبغي على الشعوب المصدرة للأيدي العاملة إلى بلاد البترول ألا يتركوا عمالهم يُذلّون ويُهانون ويُعاملون معاملة ظالمة، ليس لهم من يرفع حقوقهم؛ إذ تتضرر بذلك كرامتهم القومية، ويتولد فيهم نوع من عدم الحياء. لم تكن عندي فرصة لزيارة هذه البلاد، ولكن حكايات المعاملة التي تبدأ منذ الوصول إلى المطار.. يرويها السياح والعاملون في بلاد الخليج بما يبين أنها معاملة غير كريمة، لا يتحمل سماعها من لديه إحساس بالشرف. يقولون مثلا بأنه عند وصول الطائرات الباكستانية إلى المطارات الخليجية.. يضرب رجل الشرطة المحلية كعوبهم بهراوته آمراً: قف هنا! تعال هنا! كل ذلك بطريقة مخزية كما تساق الأنعام في بعض البلاد المتوحشة؛ لأنهم في البلاد المتقدمة يبدون احتراماً أكثر للماشية والحيوانات. فكم سيطول بهم احتمال ذلك؟ يعاملونهم كالعبيد، ولا حماية لحقوقهم؟ ما أفضعه من جور أن يعمل هؤلاء الفقراء عملا شاقا يستحقون عليه أجرا يبلغ مائة ألف أو مائتي ألف.. ثم يكون بوسع صاحب العمل الامتناع عن الوفاء بحق العامل إذا شاء! وإن ذهبوا إلى المحكمة فلا يسمع أحد للعمال. وإذا كان صاحب العمل ظالما قاسيا، مطمئنا إلى حرته في أن يفعل ما يشاء بالعامل.. فإن ذلك يزيد في إذلال العامل بما هو أشد من ذل العبيد.

يجب على هذه البلاد: الهند وباكستان والفيليبين وغيرها من البلاد المصدرة للأيدي العاملة.. أن يتفوقوا سويا على حماية شرف وكرامة عمالهم. فإذا لم يجدوا استجابة فليتحذروا ويلقنوهم درسا بكل ما لديهم من إمكانيات. وبهذه الطريقة، وعلى هدي نصيحتي لهم، سيصلون إلى شيء من التوازن يؤدي إلى تحقيق السلام. والتوازن اسم ثانٍ للعدل.. الذي يسميه القرآن الكريم بـ (الميزان). لا يتوطد السلام بأوامر من ملوك القوى العظمى والرؤساء والمستبدين؛ ولكن السلام يتوطد ولا ريب، نتيجة للتوازن. والتوازن يحقق العدل، بل الواقع أنهما اسمان لمسمى واحد. هناك حاجة لإقامة توازن جديد في سياسة العالم، وهناك حاجة للتصميم على أن تكون كل منظمة وكل تحالف بيننا مؤسساً على سيادة العدل. وكل المؤسسات التي أشرت إليها تقوم على شريطة أن تعزم كل دولة مشاركة على قبول سيادة العدل وليس على سيادة المصلحة الفردية. ثم عليهم أن يضعوا الترتيبات التي تخلق وسائل إقامة العدل. وينبغي استبعاد أي بلد لا يقبل بهذا المبدأ خارج المنظمة على الفور.

نصيحة وإنذار لإسرائيل

والمسألة الأخيرة التي أود ذكرها لكم موجهة إلى إسرائيل، وتتضمن نصيحتي لها. هناك انطباع عام بين المسلمين بأن قيام إسرائيل كان نتيجة لمؤامرة الغرب ودهاء اليهود، ولهذا الانطباع مبرراته. ولكن إذا لم يشأ القدر الإلهي ذلك ما أمكن حدوثه أبدا. من الضروري أن نتفهم هذا القدر الإلهي، الذي أثار موضوع إسرائيل، لنجد حلا للمشكلة.

أود أن أفسر لكن الموضوع استنادا إلى القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ، وأقترح شيئا على إسرائيل، لأن السلام العالمي يتوقف اليوم على إسرائيل وقرارها، وهذا ما نتعلمه من القرآن أيضا. في سورة الإسراء، وتسمى أيضا سورة بني إسرائيل.. هناك آيات تتعلق بهذا الموضوع الذي سأعرضه عليهم.

وعدود بشأن اليهود

تقول السورة: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين ولتعلنَّ علواً كبيراً﴾ (الآية: ٥) أي قدر الله تعالى في الكتاب.. وهو سفر مزامير داود، أو كتاب القدر والمصير.. أن تعكر إسرائيل صفو السلام في الأرض، وتقوم بتمرد كبير.

﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾ (الآية: ٦).. عندما يأتي وقت إنجاز الوعد الأول نرسل عليكم محاربين أشداء يخرقون إلى داخل بيوتكم. وسيتم هذا الوعد حتما، ولا يملك أحد إرجاءه. ستقومون بثورتكم الأولى وتناولون العقاب المقدر لها.

﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ (الآية: ٧).. بعدها نعيد إليكم القدرة عليهم، ونساعدكم بوسائل شتى من مال وبنين، فتكثرون وتصيرون قوة عظيمة.

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تبييراً﴾ (الآية: ٨).. فإذا كنتم طيبين عطوفين، وأقلعتم عن مساوئكم ومعاصيكم السابقة.. فسيكون عطفكم في الواقع لأنفسكم. أما إذا انتهجتم سبيل الشرور التي كنتم ترتكبونها من قبل فسيرتد عليكم هذا الشر. والواقع أن ما تفعلون من شر تفعلونه بأنفسكم. وعندما يأتي موعد تحقق العهد الثاني، وترتكبون الشرور مرة أخرى، فسوف تذوقون تبعات سوء أفعالكم، وتلقى وجوهكم الخزي والكآبة.. فيدخلون عليكم ويدمرون معبد سليمان.

﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ (الآية: ٩).. عسى تعني أن ذلك ممكن، أو ممكن تماما، فإذا شاء الله تعالى بعد ذلك رحمكم. ولكن تذكروا، وأنتم تنعمون برحمة الله، أنكم إذا عدتم إلى ارتكاب الشرور والإصرار عليها.. فلسوف نعود عليكم بالعقاب الذي ذقتموه من قبل مرتين. ويبدو من ذكر عقاب جهنم في آخر الآية أنهم لن يقعوا في خطأ رابع في هذه الدنيا.. وبعد ذلك تنتهي أمور الدنيا وسيكون القرار الأخير يوم الحساب حيث ينالون عقاب الجحيم.

الدمار الأول

أخبركم بإيجاز عن العهدين السابقين وكيف تحققا. بدأ العهد الأول عام ٧٢١ ق.م، عندما قضى الآشوريون على المملكة الشمالية من الملكتين اليهوديتين واحتلوها. وكانت هذه المملكة ترتبط بمدينة ساماريا وتدعى مملكة إسرائيل. بدأ العهد الأول بهذه الواقعة عام ٧٢١، ثم اكتمل ابتداءً من عام ٥٩٧ ق.م، ووصل ذروته عام ٥٨٧ ق.م. أي أن عملية التدمير التي استهلها الآشوريون بدأت مرحلتها الثانية بعد ١٢٤ عام. وفي هذه المرحلة هاجم نبوخذنصر ملك بابل المملكة الثانية وكانت تسمى يهوذا أو اليهودية، وعاصمتها اورشليم.

وساق عددا كبيرا من اليهود أسرى على بابل، وكان من بينهم سيدنا حزقيال النبي. ونعلم من كتاب حزقيال في أسفار العهد القديم.. أن العقاب الذي نزل باليهود كان بحسب القول الإلهي الوارد بالكتاب في مثل المدينتين اللتين كانت كعاهرتين تاجرًا بجسديهما وتجاوزتا كل الحدود بلا حياء، ولم تتورعا عن عمل علاقات مع الأعراب، ففقطعتا علاقتهما بالله. هكذا يصورهم المثل في أبشع صورة، ويقول بأن العقاب المقدر لفعالهما هذا هو أن قطع الله صلته بهما، وقال: أيتها المرأتان العاهرتان.. أنتما لمن تبيعان جسديكما لهم. وبالفعل أقصى الله هؤلاء العاهرات من الأرض كلها، ونقض كل حجر في معبد سليمان.

وفي عام ٥٥١ أو ٥٥٣ ق.م، وبجهود النبي حزقيال، بدأت عملية اتصاهم مع أهل فارس. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الفترة ومحاولة حزقيال الاستعانة بهم فيما ورد بسورة البقرة عن هاروت وماروت. ومع أن الثورة وقعت فيما بعد إلا أنها بدأت في زمن سيدنا حزقيال. وبعد ٤٨ عام من الهجوم الذي دمر فيه نبوخذنصر اورشليم وفلسطين تماما.. تغلب اليهود على الأرض المقدسة مرة ثانية بمساعدة من شعب فارس عام ٥٣٩ ق.م، حيث عادوا بمعونة من الملك "قورش" الذي أخذهم ليستقروا مرة ثانية في اورشليم، وتمكنوا من العيش فيها قرونا طويلة.

الدمار الثاني

كما وردت نبوءات في كتب أخرى أن هاتين المدينتين ستكونان كعاهرتين، وتصيران شريرتين مرة أخرى، وتعاقبان على شرورهما مرة ثانية كذلك. فالصورة التي رسمها القرآن الكريم من أنكم ستفعلون الشرور في فلسطين مرتين، وترتكبون التمرد والعصيان مرتين.. كل ذلك تحقق تماما. فهم أولا ارتكبوا الشرور، ثم جاءت الأمم لعقابهم، ثم ناروا، ثم تم سحقهم.

في المرة الثانية بدأ العقاب عندما احتل الإمبراطور "بومبي" (Pompey) مملكة يهوذا عام ٦٣ ق.م، ومن وقتها بدأ دمارهم الثاني الذي اكتمل عام ١٣٢م. وذلك في زمن الإمبراطور "هادريان" (Hadrian) العظيم ذو المكانة الكبرى بين الأباطرة الرومان، والذي امتد ملكه من بريطانيا شمالا إلى أفريقيا جنوبا ونهر الفرات شرقا، وجاء إلى بريطانيا حيث بنى في شمالها سورا مثل سور الصين، قيل إن طوله يبلغ ٧٠ أو ٨٠ ميلا، ولا يزال موجودا حتى اليوم. لما بلغه تمرد اليهود استدعى قائده الذي كان حاكما على بريطانيا وقتئذ، وكان معروفا بكفاءته، وكلفه بسحق الثورة اليهودية. كان ذلك عام ١٣٢ أو ١٣٤م على خلاف بين المؤرخين. فلقتهم القائد درسا رهيبا. ويقول المؤرخون أنه قتل نصف مليون من اليهود. كنت أحسب هذا الرقم مبالغا فيه أو خطأ، ولكن بعد

قراءة الوعد القرآني بزيادة عددهم وأولادهم تأكدت عندي السجلات التاريخية عن قتل نصف مليون يهودي وهدم المسجد مرة أخرى. هكذا بُنيَ معبد سليمان مرتين وهدم مرتين.

وعد آخر

بعد تحقق كل ذلك يقول الله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم. وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾. لقد تحققت النبوءتان السابقتان في موعدهما المعين، ولكن متى يتحقق قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾؟ وكيف سيتحقق؟ ففي هذا الصدد جاءت في أواخر السورة نفسها آية تشير إلى زمن سيدنا محمد المصطفى ﷺ، وتشكل جزءا من هذا الموضوع عينه.. مما يعني أن وعد الرحمة هذه سوف يتحقق في الأيام الأخيرة، في زمن أمة سيدنا محمد المصطفى ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض. فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيها﴾ (الآية: ١٠٥).. أي عندما يأتي العهد الأخير نجتمعكم من كل أجزاء الأرض ونأتي بكم إلى هنا. فقدّر الله تعالى أن تجتمعوا كلكم سويا. وقد حدث ذلك اليوم الأول مرة. لقد عاش اليهود بأرض فلسطين مرة بعد مرة.. ولكن لم يحدث قط، ولا مرة واحدة، أنهم اجتمعوا وتجمعوا سويا من الشتات (Diaspora).. أي من جميع البقاع التي تشتتوا فيها. هذه هي الواقعة الأولى في تاريخ العالم. وهكذا ترون.. أن النبوءات القرآنية تحققت تحقفاً مذهشا مجيدا في الماضي، وسوف تتحقق في المستقبل أيضا.

لذلك أود أن أخبر اليهود في ضوء النبوءة السماوية في قول الله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ أنه بعد ما نزل بكم من فضائع لا مثيل لها على يد النازي في ألمانيا، لقد قدرّ الله بأنكم قد عانيتم كثيرا، ولعلكم تعلمتم درساً، لذلك صفح عنكم وأعاد لكم الفوز مرة أخرى.. ولن يكون لدى الدول الإسلامية طاقة على كسر حكمكم. لأننا نعلم من أقوال رسول الإسلام ﷺ أن مؤامرة شريفة سوف تطل برأسها من هذا السبيل.. في هذا البحر الصغير الواقع بين سوريا والعراق.. وهو في إسرائيل، وسوف تستهلك كل ماء البحر. أما البحر الصغير الذي ورد في الحديث النبوي الشريف فهو بحيرة طبرية التي يمر منها نهر الأردن. قال النبي ﷺ إن جيشا كبيرا سوف يحتشد هناك، ثم يرتحل، ويقول بهجوم مفاجئ.

فإذا كانت إسرائيل لم تتعلم درسا من الدمارين التاريخيين الماضيين، ولم تتعلم من تجاربها المريرة.. فسوف تنشأ فتنة من إسرائيل تعكر صفو السلام العالمي. وهذا قضاء الله لا تستطيع قوة في الأرض تبديله. يقول الله تعالى أنه سوف يدمر تلك الفتنة.. ويقوم بكسرها وتحطيمها مع كل القوى التي معها وتساندها، وسيجعلها عبرة لمن يعتبر.

تنبؤات عن الفتنة الإسرائيلية و"الإيدز"

والرسالة النهائية في حديث الرسول ﷺ.. أن الله تعالى سوف يصيب رقابهم بالأورام التي تقضي عليهم بمئة مريضة وعلى نطاق واسع. إنه مرض الإيدز الذي سبق أن ذكرته. وفهمي هذا مبني على قول النبي الكريم ﷺ: عن النواس بن سمعان، رضي الله عنه، قال: "ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فحفص فيه ورفع.. أي تحدث عنه بتفصيل كثير، والحديث طويل جاء فيه: "إنه خارج خلة (أي منطقة) بين الشام والعراق. فعاث يمينا وعاث شمالا (أي نشر الخراب والفتك حيثما اتجه) قلنا: يا رسول الله ما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح (أي دفعته، كما تسير الطائرة النفاثة اليوم). فبينما هو كذلك.. إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت عبادا لا يدان لأحد بقتالهم (أي لا يقدر أحد قتلهم) ويعت الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون (أي يأتون مسرعين من كل مرتفع من الأرض). فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذا مرة ماء. (يعني أين ذهب الماء؟ وفي مثل هذا الموقف الرهيب) فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى (أي يتهلون إليه بالدعاء). فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم.. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. (والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وفرسى يعني قتلى. أي أن الله يخلق في رقاب يأجوج ومأجوج الجراثيم التي تقضي على أكثرهم في سرعة كبيرة). (صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، وأبو داود، والترمذي وأحمد والحاكم وابن ماجه)

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا." (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات)

إي إذا أصيبت أمة بعدم الاحتشام الجنسي، وجهروا به علنا.. فسوف ينتشر فيهم نوع من الطاعون لم يظهر فيمن قبلهم من الناس.

ويشير هذا الحديث بوضوح إلى مرض الإيدز، وهو يوصف بكونه نوعا من الطاعون، ويقولون إنه لم ينتشر من قبل في العالم.

ومما هو جدير بالذكر أن الله تعالى أخبر سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام مرزا غلام أحمد مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، عن نوع جديد من الطاعون سوف ينتشر في أوروبا وغيرها من بلاد النصرى. (مجموعة إلهامات المهدي والمسيح، التذكرة ص ٧٠٥). فهذا نوع من الدمار المقدر.. إن لم يكن اليوم فغدا. وإذا لم تصلح هذه الأمم من نفسها، فلسوف يكون لأفعالها الشريرة عواقب وخيمة.

الوعيد مشروط دائما

وهنا ينبغي تفسير النبوءات الإنذارية أو الوعيد بلغة القرآن المجيد. إنها نبوءات شرطية دائما، سواء أفصحت عن الشروط أم لا. والمثال الواضح لذلك نجده في واقعة سيدنا يونس التي نُسخت فيها نبوءة قاطعة بعقاب قومه.. ذلك بسبب بكائهم وتوبتهم. وهكذا.. ومع أن قرار استمرار إسرائيل أو هلاكها يتقرر في السماء.. ولكن لو استطاعت العناصر الطيبة والمحبة للسلام منهم أن تتغلب على الصهاينة، فقلّموا برائن شهوتهم إلى الانتقام الوحشي

الذي حُفِر في طبيعتهم، وقام اليهود كأمة بهذا العزم الثوري على معاملة المسلمين والنصارى وسائر الأمم معاملة عطوفة.. فإني أؤكد لهم، وفقاً لوعدهم القرآن، أن الله جل وعلا سوف يعاملهم بالحسن؛ وأن المسلمين بدورهم يعاملونهم بالعدل والعطف. وعليهم ألا ينسوا بأن طبيعة المالكي والشيوخ المتعصبين ليست هي طبيعة الإسلام السمحة، بل إن الطبيعة التي أضفها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ على المسلم لي بها مشاعر الانتقام؛ وإنما تتسم وتتميز بالعفو والصفح والرحمة.

نصيحة للغرب

وأود أن أوضح للأمم الغربية النصرانية، بمشاعر مخلصة، أننا نجد في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي ﷺ نبوءات بشأنكم.. تشير إلى عقوبات رادعة. ويجب عليكم ألا تنظروا إليها بعين الكراهية أو السخرية. إن كتابات السماء لا يمكن أن تُلغى بالمكر الدنيوي؛ ولكن إذا أمكن وقفها فذلك بالتوبة وطلب المغفرة والصفح من الله تعالى والتوجه إلى الصلاح والتقوى. إذا فعلتم ذلك.. فعفو الله تعالى، الذي يسع غضبه، له القدرة على أن يلغي كل عقاب قد قدر.

لذلك ينبغي عليكم أن تحدثوا تغييراً أساسياً في طريقة تفكيركم السياسي والاقتصادي والأخلاقي والاجتماعي. وفي كل مجال بلا استثناء.. يجب أن تسود متطلبات العدل على متطلبات المصالح القومية والعنصرية. يجب أن تعاملوا الدول الضعيفة والفقيرة بالعطف. إذا لم تستطيعوا قبول الإسلام.. فعودوا على الأقل إلى التعاليم الصالحة في التوراة والإنجيل، وطهروا مجتمعكم بصفة خاصة من عدم الحياء الذي يتزايد باستمرار. لو فعلتم ذلك فلسوف يتبدل قدركم السيئ إلى خير. وبتعاونكم مع أهل الإسلام وسائر البشر تتمكنون من بناء نظام عالمي جديد، ويتحول السلام العالمي من فراغ الأحلام إلى حيز الحقائق الواقعة.

وإن لم تفعلوا ذلك، فلسوف ينهدم النظام القديم ويتحطم على أي حال.. ولكن في نفس الوقت سوف تتحطم عظمة كثير من الأمم، ويزول شرفها ومجدها للأبد. ولكن رغبتى ودعائى أن يشيد النظام العالمي الجديد.. ليس على أنقاض الأمم التي عانت من الدمار، وإنما بمادة الأمم التي تبدلت وتحسنت.

بالدعاء.. لا بالسلاح

وفيما يتعلق بنا.. فقد أخبرنا ربنا من قبل أننا ضعفاء. لقد وعظنا سيدنا ونبينا محمد ﷺ منذ ١٤ قرناً بأن الله تعالى سوف يرفع في المستقبل أمماً عظيمة قوية، لا قبل لأحد بقتالهم، فينبغي ألا يدور بخلدكم قتالهم بأسلحة الدنيا. ذلك مسطور في كتب الحديث. ارجعوا إلى أحاديث المصطفى ﷺ في صحيح مسلم كتاب الفتن، وبوسع كل إنسان أن يطلع عليها. لقد أخبرنا النبي ﷺ أن كل ما نتوصل إليه سيكون من خلال الدعاء. إن قدر الله تعالى هو الذي سوف يدمر القوى العظمى إذا ما عزمت على فعل الشر في العالم. أما وقد جعل الله سائر العالم بلا سلاح ولا حيلة من ناحية، وأعطى القوى العظمى فرصة لعمل الشر من ناحية أخرى، فإن مسؤولية حماية الضعفاء تكون في يد الله يقينا.

هناك إذن وسيلة وحيدة للحصول على التأييد السماوي.. ذلك أن تقيموا علاقات مع الله تعالى، ويصلح المرء نفسه بقدر ما بوسعه. يجب أن لا ترتكبوا أي شر باسم الإسلام. يجب أن تمحوا فكرة الإرهاب من قاموس المسلمين. إن فعل الفوضى والشر وتخزين المشاكل لإيذاء الآخرين هي أفعال الحمقى.. ولا علاقة لها بالإسلام بتاتا. ينبغي عليكم أن تدخلوا في السلم وتصلحوا أعمالكم ومعاملاتكم فيما بينكم وعلاقاتكم مع الأمم الأخرى، وتنتظروا بصبر.. وسترون كيف يتغلب قدر الله تعالى على خداع الماكرين الأشرار.

٨ مارس ١٩٩١

الدعاء الدعاء!

في رمضان القادم ينبغي أن تدعو بصفة خاصة لعالم الإسلام. لقد وضعت أمامكم كثيرا من الأمور وأوضحتها لكم في خطبتي السابقة. وبوسعي رؤية كثير من المخاطر لا وقت لتفصيلها الآن، وكانت هناك أخطار لم أذكرها وإن كنت قد ألفت إليها. ولما كانت قد انتهت من هذا الموضوع.. فلا أرى أن نتناوله مرة أخرى، ولكن ينبغي أن أخبركم بإيجاز أنه في الشهور القلائل القادمة يمكن أن تتخذ قرارات رهيبية، ليس ضد المسلمين فحسب، بل ضد الإنسانية كلها؛ على إثرها قد يتلى القرن كله بكثير من الأسى، وتمر الإنسانية بفترة شديدة من الآلام. وقد تتخذ قرارات تتمكن الإنسانية بها، وخاصة المسلمون، من الدفاع ضد الهجمة الشرسة الشيطانية الأخيرة.. لأنه لو ينجح المسلمون في هذا الدفاع.. يجد الجنس البشري كله حماية في مظلة الدفاع الإسلامي. وتقع المسؤولية الكبرى لحماية المسلمين على الأحمديين. وقولي هذا مبني على حديث الرسول ﷺ القائل بأنه في الأيام الأخيرة عندما تكون البلايا والحن على أشدها فإنما هي دعوات المسيح الموعود مجيئه في الأمة الإسلامية التي سوف تحمي الإسلام والعالم من الهجمة الضارية للأعداء.

ومن هذه الزاوية يجيء رمضان هذا في الوقت المناسب.. عندما أصبحت الكوارث بينة أمامنا، وهم أغراض خفية أسوأ مما يبدو.. قدرناها وتوقعناها، وبعد هذه الكارثة ستكون كوارث أخرى. وفي هذا الوقت الذي ندخل فيه الشهر المبارك ستكون لدينا فرصة خاصة للدعاء. فلتجعلوا من شهر رمضان هذا شهراً خاصاً للذود عن الإسلام والمسلمين، وللدب عن الإنسانية. ادعوا الله: يا ربنا.. مع كل جهودنا لا نستطيع القتال ضد هذه القوى العظيمة التي خلقتها بيدك، وأخبرنا عنها الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ منذ ١٤ قرناً. نحن ضعفاء بلا سلاح ولا حول لنا.. وقد آتيت تلك القوى التي نواجهها تفوقاً دنيوياً فلا حيلة لنا إزاءهم. فيا ربنا نسجد لك، ونتوجه إليك وحدك، ونبتهل لك وحدك، بكل خشوع وتواضع، ونسألك أن تحقق الوجه الثاني لتلك النبوءات ببركة دعاء المسيح الموعود. هذه القوى العظيمة تملك من كنوز الدنيا ما تبدو بالنسبة لهم مفلسين. إنهم يشترتون إيمان الناس في هذا العالم. أنت وحدك القادر يا ربنا على إنقاذ الناس من أضرار ثرائهم. إنهم يكذبون من السلاح جبلاً ضخماً، ويملكون من قوى الدمار.. كما يقول العلماء عن مخزون القنابل الذرية وحدها لدى الأمريكان والسوفييت.. ما يكفي لتدمير العالم مرات كثيرة، بل إن أسلحتهم لا تقتل كل سكان الأرض فحسب، وإنما تقضي أيضاً على كل مظاهر الحياة فوق سطحها.. فنبتهل إليك يا ربنا.. أنت الذي آتيت هذه الأمم المشعومة ثراء عظيماً لا تُقارن به ثروة العالم الإسلامي كله؛ والجماعة الأحمدية فقيرة للغاية.. لقد أعطيتهم سلاحاً يكفي جزء منه لتدمير أمة كبيرة، ومحوهم من فوق الأرض. كلفتنا يا ربنا بقتالهم ونحن لا نملك شيئاً. ولقد بشرتنا يا ربنا وقلت: إنني سوف أستجيب دعاءكم، وبركة دعاءكم سوف أقصم ظهور هذه الأمم هائياً. إن الملح يذوب الجليد. هكذا رسم لنا المصطفى ﷺ الصورة عندما قال إن قوى الدجال سوف تذوب كما يذوب الثلج. هذه القوى المعادية للإنسانية والحق.. سوف تنصهر وتختفي كأن لم تكن من قبل.

إن لديكم قوة الدعاء، وينبغي عليكم معرفة عظمة هذه القوة. وهذه العظمة في التواضع.. فلا تنسوا هذه الحقيقة أبدا. هذا هو الفرق الأساسي بين قوى الدنيا وقوى الدين. تقوم قوى الدنيا على الغطرسة، وقوى الدين تقوم على التواضع. ويكتسب الدعاء قوة أعظم عندما تستشعرون قلة الحيلة. وانطلاقاً من فهم هذا الموضوع ينبغي عليكم الانتفاع من رمضان بقدر استطاعتكم. سوف تسجدون لله تعالى مع شعوركم بقلّة الحيلة والتواضع والخشوع، وتدعون قائلين: اللهم ربنا دمرّ الأهداف الضارة لهذه القوى العظمى، ولا تُبقِ منها سوى الطيب الصالح.

ليس مسموحاً لنا بكرهية أي قوم بوصفهم أمة. لم نُوضع البغضاء في طباعنا، ومن ثم لا نستطيع فعل ما يفعله الجهال.. فندعو على أمم الغرب. ولا يمكن أن تنطوي صدورنا على مشاعر الكراهية للناس، وإنما نكره الشر. فوجهوا دعاءكم ضد ما هو شر. لا تدعوا أبداً بمشاعر قومية أو عنصرية ضد قوم ما. بل ادعوا وقولوا: يا ربنا امح ما هو شر في عبادك الأذلاء من أهل الشرق، ودمّر اللهم الشر في القوى العظمى من بلاد الغرب المسيطرة على العالم. فشرور القوي تكون دائماً أشد خطراً.. لأن فيها قدرة أكبر على الانتشار، ولها القدرة على تدمير الخير في العالم.

ولا نقول بأن بلاد العالم الثالث خالية من الشرور، ولا نقول بأن بلاد الشرق أكرم وأن بلاد الغرب أخس، وإنما نقول: إن قدرة الغرب على نشر الشر لم تُعط من قبل لأية أمة في تاريخ العالم. وقد صرح بذلك سيدنا المصطفى ﷺ فقال بأن الدجال سوف ينشر الشر بالعالم في آخر الزمان، وستكون له من القوة على نشره بحيث حذر أنبياء الله جميعاً منذ خلق الدنيا من شرور الدجال.

فعليكم إذن بالدعاء دون أي مشاعر عنصرية أو فوارق قومية.. وهذه النبوءات موضع اعتباركم.. كي تصيبوا الهدف الصحيح.. وإلا فإن هذه المقاصد السيئة التي تشوب الدعاء.. كمشاعر التعصب والنعرة القومية وغيرها من الشرور التي تتسرب في الخفاء إلى الدعاء وتسمم مقاصد الإنسان.. قد يترتب عليها ألا يقبل هذا الدعاء. وقد ظهرت الحاجة إلى توضيح هذا الموضوع بالتفصيل.. لأن الدعاء لا يُقبل بمجرد البكاء والعيول، بل إن قبول الدعاء يتطلب تطهراً خاصاً وخشية خاصة. يجب أن تتبعوا نفس الأسلوب الذي كان سيدنا المصطفى ﷺ يتبعه وعلمنا إياه. يجب أن تطهروا نفوسكم من شرورها الداخلية، وكذلك طهروها من سائر الشرور الخارجية. واجعلوا دعواتكم خاصة لوجه الله ﷻ، وليس بسبب مشاعر الكراهية لبعض الأمم. لو فعلتم ذلك فإني على ثقة بأن الله تعالى سوف يقبل دعاءكم بوسع فضله، وسوف يجعل كفة الإسلام هي الراجحة في هذه المرحلة التاريخية. إن قدر انتصار الإسلام نافذ لا محالة في أي حال، فهو قدر لا يتبدل، ولكن ينبغي أن ندعو ونسعى كي نشهد هذا القضاء الإلهي يتحقق أمام أعيننا.

مقتبس من خطبة ١٥ مارس ١٩٩١

المراجع

(١)

- * القرآن الكريم
- * صحيح البخاري
- * صحيح مسلم
- * سنن الترمذي
- * سنن ابن ماجه
- * سنن أبي داود
- * سنن النسائي
- * موطأ الإمام مالك
- * مسند الإمام أحمد ابن حنبل
- * الكتاب المقدس
- * مرزا غلام أحمد القادياني، الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية مجلد ١٦
- * مرزا غلام أحمد القادياني، حمامة البشرية، الخزائن الروحانية مجلد ٧
- * مرزا غلام أحمد القادياني، التذكرة (مجموعة إلهامات وكشوف)
- * محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٣
- * السيرة النبوية لابن هشام، دار الجليل، بيروت
- * أخبار "الحكم" ج ٥ عدد ٣٧ العاشر من أكتوبر ١٩٠١

(2)

- * Abbott, G.F., Israel in Egypt, London, 1907
- * Amin Maalouf, The Crusades through Arab Eyes
- * Anwar G. Chejne, Muslim Spain, its History and Culture University of Mannisota Press, 1974
- * Barbara W. Tuchman, Bible and Sword, How the British came to Palestine
- * Benjamin Beit-Hallahmi, The Israeli Connection
- * Bermant, C., Israel, London 1967 P.15
- * Britain and the United Nations. Published by Her Majesty's Stationary Office, London 1970
- * British Parliamentary Election Results. 1918-1949
- * Cambridge Medieval History, VII
- * Cambridge History of Islam, Vol.1 Editors Holt, Lambton & Lewis, 1970
- * Chaim Bermant, Israel, London. 1967
- * Christopher Culpin, Making History
- * Chronicle of the World, by Longman Group U.K. 1989
- * Churchill Winston, Thornton Butteworth Ltd. London
- * Churchill Randolph Winston, The Six Day War
- * Clayton to Fo, Foreign Office Papers 3386, December 6, 1918
- * Colliers Encyclopedia
- * David Gilmour, Dispossessed The Ordeal of Palestine
- * Dictionary of 20th Century History, 1900-1982
- * Encyclopedia of Britannica, London (15th edition)
- * Encyclopedia of Historic Places, Vol. 1 A-L, by Courtlandt Canby
- * Europa Year Book, 1990
- * Garaudy R., The Case of Israel, London 1983
- * George, L., War Memoirs, London, 1933
- * Graetz, H, History of the Jews, translation by Bella Lowy, Philadelphia. Vol III
- * H. C. Armstrong, Gery Steel, London, 1939
- * Hancock Smutts W, H., The Sanguine Years 1870-1919. London, 1962
- * Harold Wilson. The Chariots of Israel, Britain, America and the State of Israel London 1981
- * Heinemann book, 1967
- * James Cameron, Making of Israel, Seeker & Warburg, London, 1976
- * Jean Plaidy, The Rise of the Spanish Inquisition, Published by, Robert Hall & Co, London
- * Jewish Encyclopedia, IX John Connell, The Most Important Country (London, Cssel & Co)
- * Joshua Praver, The World of the Crusades
- * M. Lombard, The Golden Age of Islam, Elsevier Published by Oxford 1975
- * Mary & Sarge Bromberger, secrets of Suez (London, Pan books)
- * Michael Foot and Mervyn Jones, Guilty Men 1957 (New York Rinehast & Co 1957)
- * Mohammed Heikal, Cutting the Lion's Tail Suez Though Egyptians eyes
- * Moshe Dayyan, a New Map... a New Relationship, Maariv, Tel Aviv, 1969
- * Nutting, No End of a Lesson
- * Origins and Devolution of the Palestine Problem, 1917-1988, By United Nations, New York 1990
- * Paul Harper, The Arab Israeli Issue, Wayland Ltd.; Hove East Sussex England. 1986
- * Philip Ziegler, Black Death, London, 1969
- * Prados John Dr. The President's Secret Wars. William Morrow & Co. Inc., New York. USA 1986
- * Richie Ovendale, The Origins of the Arab-Israeli Wars
- * Robert Gottfried, Black Death, London, 1983
- * Roderic H. Davidson, Turkey, New Jersey, 1968
- * Simon Schama, Two Rothschilds and the Land of Israel, 1978
- * Statesman's Year Book 1990-91
- * Sydney D. Bailey, Four Arab Israeli Wars and the Peace Process, London, Macmillan 1990

- * Tabawi A.L. Anglo Arab Relations and the Question of Palestine, 1914-1921 London U.K
- * Treaties and Alliances of the World, Keesing's references publications, fourth edition
- * Victor Ostrovsky & Claire Hoy, By Way of Deception, The Making and Unmaking of a Mossad Officer, St. Martind Press, New York 1990
- * Walter Eytan, The First Ten Years, a Diplomatic History of Israel, London, Weiden Field, 1958
- * Walter Eytan, The First Ten Years, a Diplomatic History of Israel, London, Weiden Field, 1958
- * Webster's Biographical Dictionary
- * Weizmann, C., Trial & Error, London, 1949
- * William Prescott, History of the reign Of Ferdinand and Isabella the Catholic, London 1888
- * World Book of the United Nations. 1970
- * Yehoshafat Harkabi, Israel's Fateful Decisions
- * Zara Steiner, The Foreign Office and The War. London 1967

Newspapers & Periodicals

- * Al- Arab. London February 01, 1991
- * Aviation Week & Space Technology Sept 24, 1990
- * Calgary SUN July 19, 1992
- * Canadian Ecumenical News. Jan/Feb. 1991
- * Financial Times London January 14, 1991
- * Guardian February 12 & 16, 1991
- * Harrisburg Patriot News (USA) March 02, 1991
- * New York Times, March 31, 1957
- * New Canada Weekly, February 08, 1991
- * New York Times, November 05, 1956
- * New Scientist, February 02, 1991
- * Newsweek, October 23, 1990
- * The Socialist Standard
- * The Record, February 03, 1991
- * The Economist, January 26, 1991
- * The Plain Truth, October 1990
- * The Independent, December 20, 1990
- * The Sunday Times, February 03, 1991
- * Toronto Star, January 27, 1991; July 21, 1991; August 02, 1992
- * Toronto Sun, February 24, 1991
- * Washington Post, February 15 & 16, 1991